UNIVERSITY OF CALICUT

SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION

STUDY MATERIAL

M. A. ARABIC

PAPER IX : CLASSICAL ARABIC LITERATURE

Study Materials prepared by:

K. ALI NOUFAL
Lecturer
Post Graduate & Research Department of Arabic
Farook College
Calicut

Copyright reserved
2008

CUP 6566/08/1000/SDE-1

Contents

SL NO.	UNIT	TITLE	Page
1	Unit – I	القرآن الكريم	5 – 19
2	Unit – II	الحديث الشريف	21 – 25
3	Unit – III	الفقه الإسلامي	27 – 30
4	Unit – IV	النثر في العصر الإسلامي	32 – 36
5	Unit – V	فن المقامة	38 – 46
6	Unit – VI	الشعر في العصر الجاهلي	48 – 61
7	Unit – VII	خصائص الشعر الجاهلي	63– 69
8	Unit – VIII	الشعراء في العصر الجاهلي	71 – 76
9	Unit – IX	الشعر في العصر الأموي	78– 88
10	Unit – X	سورة الإنسان	90 – 98
11	Unit – XI	سورة الحجرات	100 – 121
12	Unit – XII	الحديث الشريف – الصابوني	123 – 147
13	Unit – XIII	نهج البلاغة	149 – 158
14	Unit - XIV	الملحقات – لنهج البلاغة	159 - 174
15	Unit – XV	خطبة البتراء	176 – 179
16	Unit – XVI	قصيدة امرئ القيس	181– 191
17	Unit – XVII	قصيدة حسان بن ثابت	193 – 194
18	Unit – XVIII	غزل عمر بن أبي ربيعة	196 – 197
19	Unit – XIX	قصيدة جرير	199 – 200
20	Unit – XX	قصيدة الفرزدق	202 - 203

PART – I
GENERAL STUDY

SECTION – A
CLASSICAL PROSE

UNIT – I
(HOLY QURAN)

الباب الأول
القرآن الكريم

أنــزل هــذا القرآن الكريم منجماً في بضع وعشرين سنة ، فربما نزلت الآية المفردة ، وربما نــزلت آيات عدة إلى عشر ، وذلك بحسب الحاجة التي تكون سبباً في النزول ، وليُثَبِّتَ به فؤاد النبي صــلى الله عليه وسلم ، فإن آياته كالزلال الروحية ، ثم ليكون ذلك أشد على العرب وأبلغ في الحجة عليهم وأظهر لوجه إعجازه وأدعى لأن يجري أمره في مناقلاتهم ويثبت في ألسنتهم ويتسلسل به القول .

ولــولا نزوله متفرقاً : آية واحدة إلى آيات قليلة ، ما أفحمهم الدليل في تحديهم بأقصر سورة مــنه إذ لو أنزل جملة واحدة كما سألوا لكان لهم في ذلك وجه من العذر يُلبس الحق بالباطل ، وينقس عليهم أمر الإعجاز . ولكن الآية أو الآيات القصيرة تنزل في زمن يعرفون مقداره بما ينزل في عقبها ثــم هم يعجزون عن مثلها في مثل هذا الزمن بعينه ، وفيما يربو عليه ويُضعِف ، وعلى انفساح المدة وتراخي الآيات بعد ذلك إلى نفَسَ من الدهر طويل.

ثــم إن ســؤالهم هذا تولى الله تعالى الإجابة عنه في موضعين من قرآنه : قال تعالى : {وقال الذين كفروا لو لا نُزِّل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً } وقال أيضاً : { وقــرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً } . فبين القرآن الكريم حِكماً وأسراراً غفل عنها المتطفلون باقتراحهم ، اقتضت نزول القرآن مفرقاً

ولــو أنــنا تفحّصنا ما كان ينزل من القرآن الكريم في ابتداء الوحي واستمر بعد ذلك من لدن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي حراء فيتحنث فيه الليالي ، إلى أن هاجر من مكة لوجدناه من قصار السور ، على نسق يترقى إلى الطول في بعض جهاته.

لقد كان إبتداء الوحي في سنة /611/ للميلاد بمكة ، ثم هاجر منها النبي صلى الله عليه وسلم في سنة /622/ إلى المدينة المنورة فنزل القرآن مكياً ومدنياً ، كانت عزيمة النبي صلى الله عليه وسلم والأصحاب متوجهة أول الأمر نحو جمع القرآن في القلوب بحفظه واستظهاره لأنه نبي أمي بعثه الله فــي الأميين ، كما أن أدوات الكتابة لم تكن ميسرة لديهم فكان التعويل على الحفظ في الصدور يفوق الــتعويل علــى الحفظ في السطور . وعلى أي حال لم تصرفهم العناية بحفظ القرآن واستظهاره عن العــناية بكتابته ونقشه بمقدار ما سمحت به وسائل الكتابة . فكان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل من القرآن ابتداء من أنفسهم ، أو بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم فيخطونه على ما اتفق لهم يومئذ من

بعـد أن أتمّـت اللجـنة نسخ المصاحف أنفذ عثمان إلى آفاق الإسلام ينسخ منها وأرسل مع كل مصـحف من يوافق قراءته فأمر زيد بن ثابت أن يقرئ بالمدني وبعث عبد الله بن السائب مع المكي والمغيرة بن شهاب مع الشامي وأبا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي وعامر بن عبد القيس مع البصري وتلقـى التابعون في كل قطر قراءة إمامهم وتفرغ قوم منهم لضبط القراءات حتى صاروا أئمة يُرحل إليهم.

الإعجاز في القرآن الكريم

المعجـزة لغة : ما أعجز به الخصم عند التحدي (القاموس المحيط) وهي أمر خارق للعادة يعجز عنه البشر متفـرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله يجعله الله على يد من يختاره لنبوته ، ليدل على صدقه وصحة رسالته.

والقـرآن الكريم كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو المعجزة العظمى الباقية على مـرور الدهور والأزمان ، المعجز للأولين والآخرين إلى قيام الساعة. قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : [مـا من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات على ما مثله آمن البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة#1585؛ي : كتاب فضل آيات القرآن (،)ومسـلم ، كـتاب الإيمـان. (

ولـيس المراد في هذا الحديث حصر معجزاته صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم ، بل المراد أن القرآن الكريم هو المعجزة التي اختص بها دون غيره ، لأن كل نبي أعطي معجزة خاصة به ، تحدى بهـا من أرسل إليهم ، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه ، ولهذا لما كان السحر فاشياً في قوم فرعون ، جاءهم موسى عليه السلام بالعصا على صورة ما يصنع السحرة ، لكنها تلقف ما صنعوا ، ولم يقع ذلك بعينه لغيره.

ولمـا كان الأطباء في غاية الظهور ، جاء عيسى عليه السلام بما حيّر الأطباء من إحياء الموتى وإبـراء الأكمـه والأبرص ، وكل ذلك من جنس عملهم ولكن لم تصل إليه قدرتهم .ولما كانت العرب أرباب الفصاحة والبلاغة والخطابة ؛ جعل الله عز وجل معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكـريم الـذي (لا يأتـيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل حكيم حميد) (فصلت:42.) وتتميز معجـزة القرآن الكريم عن سائر المعجزات ؛ لأنه حجة مستمرة باقية على مر العصور ، والبراهين التي كانت للأنبياء انقرض زمانها في حياتهم ولم يبق منها إلا الخبر عنها ، أما القرآن الكريم فلا يزال الحجة البالغة ، لذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة.

عندما اتسعت الفتوحات الإسلامية انتشر الصحابة رضي الله عنهم في البلاد المفتوحة يعلمون أهلهـــا القـــرآن وأمور الدين وكان كل صحابي يُعلِّمُ بالحرف الذي تلقاه من الأحرف السبعة فكان أهل الشام يقرأون بقراءة أبي بن كعب رضي الله عنه ، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق ، وإذا أهل العراق يقرأون بقراءة عبد الله بن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهلُ الشام فيُكفر بعضهم بعضاً .

وعـــندما اتجه جيش المسلمين لفتح (أرمينيه) و(اذربيجان) وكان الجنود من أهل العراق وأهل الشـــام فكـــان الشقاق والنـــزاع يقع بينهم ورأى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه اختلافهم في القراءة وبعض ذلك مشوب باللحن مع إلف كل منهم لقراءته واعتياده عليها واعتقاده أنها الصواب وما عداها تحريف وضلال حتى كفر بعضهم بعضاً فأفزع هذا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فقال والله لأركبن إلـــى أمير المؤمنين (يعني عثمان بن عفان رضي الله عنه) وكان عثمان قد رأى نحو هذا في المدينة فقد كان المُعلم يُعلم بقراءة والمعلم الآخر يعلم بقراءة فجعل الصبيان يلتقون فينكر بعضهم قراءة الآخر فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فقام خطيباً وقال : (أنتم عندي تختلفون فيه فتلحنون فمن نأى عني من الأمصار أشد فيه اختلافاً وأشد لحناً ، اجتمعوا يا أصحاب محمد ، واكتبوا للناس إماما) .

فلمّـــا جـــاء حذيفة إلى عثمان رضي الله عنهما وأخبره بما تحقق عند عثمان ما توقعه ، وقد روى البخاري في صحيحه قصة ذلك الجمع في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (إن حذيفة بـــن الـــيمان قدم على عثمان وكان يُغازي أهل الشام في فتح (أرمينيه) و(أذربيجان) مع أهل العراق فأفـــزع حذيفـــة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يخـــتلفوا فـــي الكـــتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان) .

تاريخ هذا الجمع : كان ذلك في أواخر سنة 24 وأوائل سنة 25 كما قال ابن حجر العسقلاني رحمـــه الله تعالـــى . فكرة الجمع : ولما سمع عثمان رضي الله عنه ما سمع وأخبره حذيفة رضي الله عنه بما رأى استشار الصحابة فيما يفعل ، فقد روى إبن أبي داود بإسناد صحيح – كما يقول ابن حجر – مـــن طريق سويد بن غفلة قال، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه (يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيراً في المصاحف .. فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منّا جمـــيعا ، قـــال ما تقولون في هذه القراءة ؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول إن قراءتي خير من قراءتك ، وهذا يكاد أن يكون كفراً ، قلنا : فما ترى ؟ قال : نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف . قلنا : فنعم ما رأيت .. قال علي : والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل) .

اللجنة المختارة : اختار عثمان رضي الله عنه أربعة لنسخ المصاحف هم : زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام ، وهؤلاء الثلاثة من قريش . فقد سأل عثمان رضي الله عنه الصحابة : من أكتب الناس ؟ قالوا : كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت قال : فأي الناس أعرب ؟ وفي رواية أفصح . قالوا : سعيد بن العاص ، قال عثمان : فليُمل سعيد ، وليكتب زيد .

المنهج في هذا الجمع : بعد أن اتفق عثمان مع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين على جمع القرآن على حرف سلك منهجاً فريداً وطريقاً سليماً أجمعت الأمة على سلامته ودقته. فبدأ عثمان رضي الله عنه بأن خطب في الناس فقال : (أيها الناس عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في القرآن وتقولون (قراءة أبي) (قراءة عبد الله) يقول الرجل (والله ما تقيم قراءتك) !! فأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به ، وكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن حتى جمع من ذلك كثرة ، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلاً فناشدهم ، لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أملاه عليك ؟ فيقول نعم)

وأرسل عثمان رضي الله عنه إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نعيدها إليك ، فأرسلت بها إليه ، ومن المعلوم أن هذه الصحف هي التي جمعت في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أدق وجوه البحث والتحري .

ثم دفع ذلك إلى زيد بن ثابت والقرشيين الثلاثة وأمرهم بنسخ مصاحف منها وقال عثمان القرشيين : (إ ذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم) .

إذا تواتر في آية أكثر من قراءة تكتب الآية خالية من أيّة علامة تقصُر النطق بها على قراءة واحدة فتكتب برسم واحد يحتمل القراءتين أو القراءات فيها جميعاً مثل :

أ. (فتبينوا) التي قرأت أيضاً فتثبتوا .

ب. (ننشزها) قُرأت أيضاً ننشرها .

أما إذا لم يكن رسمها بحيث تحتمل القراءات فيها فتكتب في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة ، وفي مصاحف أخرى برسم يدل على القراءة الأخرى مثل :

أ . (ووصى بها إبراهيم) هكذا تكتب في بعض المصاحف وفي بعضها وأوصى .

ب . (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم) بواو قبل السين في بعض المصاحف وفي بعضها بحذف الواو .

وبعد الفراغ من نسخ المصاحف بعث عثمان بنسخ منها إلى الأمصار الإسلامية حيث نشط المسلمون في نسخ مصاحف منها للأفراد وكان زيد بن ثابت في المدينة يتفرغ في رمضان من كل سنة لعرض المصاحف فيعرضون مصاحفهم عليه وبين يديه مصحف أهل المدينة .

مزايا جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه :

تميز هذا الجمع بمزايا عديدة منها :

1. الاقتصار على حرف واحد من الأحرف السبعة ، قال ابن القيم رحمه الله : (جمع عثمان رضي الله عنه الناس على حرف واحد من الأحرف السبعة التي أطلق لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القراءة بها لما كان ذلك مصلحة) .

2. إهمال ما نسخت تلاوته :

فقد كان قصد عثمان رضي الله عنه جمع الناس على مصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أثبتَ مع تنزيل ، ولا منسوخ تلاوته كُتب مع مُثبتٍ رسمه ، ومفروض قراءته وحفظه ، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعده .

3. الاقتصار على ما ثبت في العرضة الأخيرة وإهمال ما عداه :

فقد روى ابن أبي داود في المصاحف عن محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال : لمّا أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثنى عشر رجلاً من قريش والأنصار فيهم أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت قال فبعثوا إلى الربعة التي في بيت عمر فجئ بها ، قال وكان عثمان يتعاهدهم فكانوا إذا تدارأو في شيء أخروه ، قال محمد : فقلت لكثير وكان منهم فيمن يكتب : هل تدرون لم كانوا يؤخرونه ؟ قال : لا ، قال محمد : فظننت ظناً إنما كانوا يؤخرونها لينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الأخيرة فيكتبونها على قوله .

4. الاقتصار على القراءات الثابتة المعروفة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وإلغاء ما لم يثبت .

5. كان مرتب الآيات والسور على الموجه المعروف الآن ، قال الحاكم في ا لمستدرك : (إن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة ، فقد جُمع بعضه بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم جمع بعضه بحضرة أبي بكر ال صديق ، والجمع الثالث هو في ترتيب السور وكان في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين) .

الفروق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان رضي الله عنهما :

كان معنى (الجمع) ظاهراً في جمع القرآن في عهد أبي بكر فقد كان القرآن مفرقاً فأمر بجمعه كما قال المحاسبي : (كان ذلك بمنـــزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها القرآن منتشـــر ، فجمعهـــا جامـــع ، وربطهـــا بخـــيط حتـــى لا يضـــيع مـــنها شـــيء) .

إذا فمعنـــى الجمع فيه ظاهر لا يحتاج إلى تفريق بينه وبين الجمع في عهد الرسول صلى الله عليه وســـلم ، لكن الإشكال واللبس هو في الجمعين الثاني والثالث ، إذ كيف يأمر عثمان بجمع القرآن وهو مجموع في عهد أبي بكر رضي الله عنهما ؟ ولذا فإن العلماء يولون التفريق بين جمع القرآن في عهد أبي بكر وجمعه في عهد عثمان عنايتهم لإزالة هذا اللبس ، ويذكرون فروقاً :

قـــال القاضي أبو بكر في الانتصار : (لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع القرآن بين لوحين وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم وإلغاء ما ليس كذلك) وقـــال ابـــن التين وغيره : (الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يـــذهب من القرآن شيء بذهاب حملته لأنه لم يكن مجموعاً في أي موضع واحد فجمعه في صحائف مرتباً لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم وجمع عثمان كان لما كثُر الاختلاف فـــي وجوه القراءة حتى قرءوه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئه بعض فخشي من تفاقم الأمر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره ، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجاً بأنه نـــزل بلغتهم .

ومن هذين النصين نستطيع أن نستخلص أهم الفروق وهي :

- أنّ الباعث لجمع القرآن في عهد أبي بكر خشية أن يذهب شيء من القرآن بذهاب حفظته وذلك حـــين استحر القتل بالقراء في حروب الردة ، أما جمعه في عهد عثمان فلكثرة الاختلاف في وجوه القراءة .
- أنّ جمع أبي بكر على الأحرف السبعة ، أما جمعه في عهد عثمان فقد كان على حرف واحد
- أن جمع أبي بكر كان مرتب الآيات ، أما جمع عثمان فقد كان مرتب الآيات والسور

إنفاذ المصاحف :

بعـد أن أتمّـت اللجـنة نسخ المصاحف أنفذ عثمان إلى آفاق الإسلام ينسخ منها وأرسل مع كل مصـحف من يوافق قراءته فأمر زيد بن ثابت أن يقرئ بالمدني وبعث عبد الله بن السائب مع المكي والمغيرة بن شهاب مع الشامي وأبا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي وعامر بن عبد القيس مع البصري وتلقـى التابعون في كل قطر قراءة إمامهم وتفرغ قوم منهم لضبط القراءات حتى صاروا أئمة يُرحل إليهم.

الإعجاز في القرآن الكريم

المعجـزة لغة : ما أعجز به الخصم عند التحدي (القاموس المحيط) وهي أمر خارق للعادة يعجز عنـه متفـرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله يجعله الله على يد من يختاره لنبوته ، ليدل على صدقه وصحة رسالته.

والقـرآن الكريم كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو المعجزة العظمى الباقية على مـرور الدهور والأزمان ، المعجز للأولين والآخرين إلى قيام الساعة. قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : [مـا من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات على ما مثله آمن البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة#1585؛ي : كتاب فضل آيات القرآن (،)ومسـلم ، كـتاب الإيمـان. (

وليس المراد في هذا الحديث حصر معجزاته صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم ، بل المراد أن القرآن الكريم هو المعجزة التي اختص بها دون غيره ، لأن كل نبي أعطي معجزة خاصة به ، تحدى بهـا من أرسل إليهم ، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه ، ولهذا لما كان السحر فاشياً في قوم فرعون ، جاءهم موسى عليه السلام بالعصا على صورة ما يصنع السحرة ، لكنها تلقف ما صنعوا ، ولم يقع ذلك بعينه لغيره.

ولمـا كان الأطباء في غاية الظهور ، جاء عيسى عليه السلام بما حيّر الأطباء من إحياء الموتى وإبـراء الأكمـه والأبرص ، وكل ذلك من جنس عملهم ولكن لم تصل إليه قدرتهم .ولما كانت العرب أرباب الفصاحة والبلاغة والخطابة ؛ جعل الله عز وجل معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكـريم الـذي (لا يأتـيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل حكيم حميد) (فصلت:42.) وتتميز معجـزة القرآن الكريم عن سائر المعجزات ؛ لأنه حجة مستمرة باقية على مر العصور ، والبراهين التي كانت للأنبياء انقرض زمانها في حياتهم ولم يبق منها إلا الخبر عنها ، أما القرآن الكريم فلا يزال الحجة البالغة ، لذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة.

والقــرآن الكريم آية بينة ، معجزة من وجوه متعددة من جهة اللفظ ، ومن جهة النظم والبلاغة في دلالة اللفظ على المعنى ، ومن جهة معانيه التي أمر بها ومعانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصــفاته وملائكته ، وغير ذلك من الوجوه الكثيرة التي ذكر كل عالم ما فتح الله عليه به منها ، ومن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم .

الإعجاز البياني والبلاغي

مــن الإعجــاز القرآني ما اشتمل عليه من البلاغة والبيان والتركيب المعجز ، الذي تحدى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك قال تعالى : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) (الإسراء:88)

وقال تعالى : (أم يقولون تقوّله بل لا يؤمنون ، فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين) (الطور: 33-34). فلــم يستطيعوا الإتيان بمثله – وأنى لهم ذلك – ولم يكونوا من الصادقين: وتحداهم أن يأتوا بعشر سوره مثله.. (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سوره مثله مفتريات وادعوا من استطعتم مــن دون الله إن كنتم صادقين) (هود:13.) وعجزوا أيضاً عن ذلك : فأفسح لهم في التحدي (وإن كنــتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) (البقرة: 23-24)

وثبت التحدي في هذه الآية للعرب المعاصرين لنزول القرآن الكريم ولمن يأتي بعدهم إلى آخر الــزمان وأكــد التحدي ، وقطع بعجزهم حيث قال : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) (الإسراء:88)

الإخبار عن الغيوب

مما يدل على أن القرآن الكريم معجزة من عند الله العلي القدير ، أنه اشتمل على أخبار كثير مــن الغــيوب التــي لا علــم لأحــد مــن المخلوقــين بهــا ، ولا ســبيل لبشــر أن يعلمها.

والإخبار بالغيب أنواع:

النوع الأول : غيوب الماضي ، وتتمثل في قصص الأنبياء والسابقين وأقوامهم ، وما أخبر به الله عن ماضي الأزمان وبداية الخلق.

الــنوع الثاني : غيوب الحاضر : حيث أخبر الله عز وجل رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بغــيوب حاضرة مثل كشف أسرار المنافقين ، والأخطاء التي وقع فيها بعض المسلمين ، أو غير

ذلـــك ممـــا لا يعلمـــه إلا الله وأطلـــع علـــيه رســـوله صـــلى الله علـــيه وســـلم.

الـنوع الثالث : غيوب المستقبل ، أخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأمور لم تقع ، ثم وقعت كما أخبر ، وعلى أمور سوف تحدث في الأزمان والقرون التالية والتي سوف تأتي بعد ذلك ، مما يجتهد العلماء في فهمه وتأويله.

الإعجاز التشريعي

جاء القرآن الكريم لهداية الإنس والجن، على أن يتبعوه ويعملوا بتشريعاته ، التي تفي بحاجات جمـيع البشر في كل زمان ومكان، لأن الذي أنزله هو العليم بكل شيء ،خالق البشر ، الخبير بما يصـلحهم ومـا يفسدهم ، وما ينفعهم وما يضرهم ، فإذا شرع أمراً جاء في أعلى درجات الحكمة والخبـــرة (ألا يعلـــم مـــن خلـــق وهـــو اللطـــيف الخبيـــر) (الملـــك:14. (ويـزداد الوضوح عند التأمل في أحوال الأنظمة والقوانين البشرية التي يظهر عجزها عن معالجة المشـكلات البشرية ومسايرة الأوضاع والأزمنة والأحوال ، مما يضطر أصحابها إلى الاستمرار في التعديل والزيادة والنقص ، فيلغونَ غداً ما وضعوه اليوم ، لأن الإنسان محل النقص والخطأ ، والجهـل بأعماق النفس البشرية ، وبما يحدث في أوضاع الإنسان وأحواله المختلفة ، وبما يصلح البشـرية في كل عصر ، فهذا هو الدليل الحي الشاهد على عجز جميع البشر عن الإتيان بأنظمة تصـلح الخلـق وتقـوم أخلاقهم ، وعلى أن القرآن الكريم كفيل برعاية مصالح العباد دون خلل . وهدايتهم إلى كل ما يصلح أحوالهم في الدنيا والآخرة إذا تمسكوا به واهتدوا بهديه.

قـال تعالى : (إن هذا القرآن يهدي للتي هو أقوم ويبشر ا لمؤمنين الذي يعملون الصالحات أن لهـم أجراً كبيراً) (الإسراء:9) وإجمالاً فإن الشريعة الإسلامية الغراء التي جاء بها كتاب الله تعالى مدارها على ثلاث مصالح

المصلحة الأولى : درء المفاسد عن ستة أشياء : حفظ الدين ، والنفس والعقل والبدن والعرض والمال.

المصلحة الثانية : جلب المصالح في جميع الميادين وسد كل ذريعة تؤدي إلى الضرر

المصـلحة الثالـثة : الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات ، ولم يترك القرآن الكريم جانـباً من الجوانب التي يحتاجها البشر في الدنيا والآخرة إلا ووضع لها القواعد وهدى إليها بأقوم الطرق وأعدلها ، وإذا دققنا النظر وأمعنا الفكر لوجدنا أن به الحلول لجميع المشاكل العالمية التي عجز البشر عن إيجاد الحلول الحاسمة لها .

ويتصـــل بمـــا ذكر من إعجاز القرآن الكريم في إخباره عن الأمور الغيبية المستقبلية ، نوع جديد كشف عنه العلم في العصر الحديث ، مصداقاً لقوله تعالى : (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) (فصلت:53)

وقـــد تحقق هذا الوعد في الأزمنة الأخيرة ، فرأى الناس آيات الله في الآفاق ، وفي جسم الإنسان وأجســـام باقي المخلوقات وأجهزته الحيوية ، بأدق الأجهزة وأحدث الوسائل ، التي لم يتم اختراعها إلا في العصر الحديث.

التفاسير المشهورة
في ظلال القرآن
(سيد قطب)

ولد السيد قطب في مصر حفظ القرآن في طفولته المبكرة أتم دراسته الثانوية في القاهرة وتعلم فـــي كلية دار العلوم بالقاهرة وحصل على شهادة الليسانس في الآداب مع دبلوم في التربية من جامعة القاهرة. ثم عمل مفتشا بعد تخرجه مباشرة في وزارة التربية ثم ذهب عام 1949م في بعثة للدراسات العلـــيا فـــي الـــولايات المـــتحدة وعاد منها بعد عامين وأخرج كتاب "معالم في الطريق" فاتهم بتدبير مؤامرات لقلب نظام الحكم بالقوة وصدر عليه الحكم بالإعدام في سنة 1966م.

وقد ألف كتبا كثيرة مستمدة من القرآن الكريم والحديث الشريف في ضوء الظروف العصرية ومن أهم كتبه "منهج التربية الاسلامية" و"شبهات حول الاسلام" و"هل نحن مسلمون" و"معركة الاسلام والرأســـمالية" و"معالم في الطريق" والكتاب الذي أتم البرهان الكامل على تفوقه العلمي وفكرته السليمة الواضـــحة واطلاعه الواسع على أسرار القرآن ومعانيه هو تفسير القرآن المسمى ب"في ظلال القرآن في ستة مجلدات كبار.

يقـــول سيد قطب في مقدمة في ظلال القرآن : الحياة في ظلال القرآن نعمة لا يعرفها إلا من ذاقهـــا نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه ... والحمد لله لقد من علي بالحياة في ظلال القرآن فترة من الـــزمان. ذقـــت فـــيها مـــن نعمته ما لم أذق قط في حياتي. ثم يقول: تسلم الإسلام القيادة بهذا القرآن والتصـــور الجديـــد الـــذي جاء به القرآن وبالشريعة المستمدة من هذا التصور فكان ذلك مولدا جديدا

للإنسان أعظم في حقيقته من الذي كانت به نشأته... لقد يعز على خيالها تصوره مجرد تصور قبل أن ينشئه القرآن إنشاء.

يقـول محمـد يوسـف موسى: لقد عنى المسلمون بالقرآن منذ فجر الاسلام فتناولوه بالدرس والـبحث والتنقيب من كل نواحيه فمنهم من عنى ببيان ناسخه ومنسوخه ومنهم من عنى ببحث أسباب النزول لكثير من آياته ومنهم من عنى ببيان وجوه إعجازه ومن اهتم ببحث ما فيه من ألوان الفصاحة والـبلاغة ومن كان همه بحث ما فيه من النحو والإعراب واللغة ... أما الأستاذ الفاضل السيد قطب الداعـية الإسلامي والباحث المعروف في مصر والعالم الإسلامي والعربي عامة فإنه يفسر القرآن في كـتابه "فـي ظلال القرآن" على غير النحو الذي ألفناه وقد اتبع منهجا سليما في ذلك وهو عمل جليل يتميز بالبيان الرائع المشرق والأسباب السهل الممتع.

تفسير المنار
(سيد رشيد رضا)

رشـيد رضـا علـم مـن أعلام الإسلام في العصر الحديث وهو من الشام ولكن حبه للعلم والإصـلاح جـاء بـه إلى مصر حيث يعيش مع الشخصية الفذة فيلسوف الإسلام الأستاذ محمد عبده فالتزمه وتلمذ عنده وأصدر المنار في ظله لسانا للإصلاح الإسلامي الذي كان يدعو إليه الشيخ الإمام وعلامـة علـى ذلـك الطـريق من العمل لتجديد الإسلام وفتح باب الإجتهاد والربط بين الدراسات الإسلامية وبين معالجة قضايا العالم الإسلامي السياسية.

كـان رشـيد رضا في جوهر شخصيته وطابع فكره عالما ممتازا موسوعيا فقد أحاط بالتراث الإسـلامي إحاطـة ضـخمة عميقة ومستوعبة وعاش مرموق المكانة في عالم الدراسات الإسلامية والقضـايا العربية والإسلامية وتوفي عام 1935م وقد خلف وراءه أعمالا فكرية عظيمة لا تزال هي مصدر الاستلهام والاستيحاء.

أمـا تفسير المنار فهو من مؤلفاته وآثاره الجليلة بدأ هذا التفسير أستاذه ومرشده الأستاذ محمد عبده دروسا في التفسير في المجلة "المنار" في عام 1317 هـ وانتهى منه في 1323 هـ عند تفسير "وكان الله بكل شيء محيطا الآية 26 من سورة النساء ثم توفي الإمام فرشح رشيد رضا نفسه لإكمال التفسير وفي رأي بعض الباحثين أنه فاق أستاذه وقد أتم الشيخ رشيد رضا للتفسير 12 جزء من أجزاء القـرآن ونشر بعض آيات من أول الجزء الثالث عشر ويرى بعض الباحثين أنه التفسير الأوحد الذي بـين للناس أوجه الاهتداء بهدى القرآن وإن الشيخ رشيد رضا أوتى من الاطلاع على السنة ومعرفة عللها وتمييز الصحيح من الضعيف ما يجعله صحة وثقة في هذا المقام وما أرشده إلى فهم القرآن حق

فهمـــه فـــي الرد على الشبهات وأقوال الماديين ومسائل العمران والآيات الكونية ويرى الأستاذ محمد لطفـــي المراغي أن رشيد رضا كان محيطا بعلوم القرآن وقد رزقه الله عقلا راجحا في فهمه ومعرفة أسراره وحكمه وكان واسع الاطلاع على السنة وأقضايا الصحابة وآراء العلماء.

تفسير الجلالين
جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي

ألـــف هـــذا التفسير الإمامان الجليلان : جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي. أما جلال الدين السيوطي هو حافظ جلال الدين ابو الفضل عبد الرحمان بن أبي بكر بن نحمد السيوطي الشافعي المسند المحقق صاحب المؤلفات الفائقة النافعة ولد في رجب سنة 849هرة وتوفي والده وله من العمر خمس سنوات وسبعة أشهر وأسند وصايته إلى جماعة منهم الكمال بن الهمام فقره في وظيفة الشيخونية ولحظه لنظره وختم القرآن الكريم وله من العمر ثمان سنين وحفظ كثيرا من المتون وأخذ من شيوخ.

وكـــان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه رجالا غريبا ومتنا وسندا واستنباطا للأحكام ولقد أخـــر عن نفسه أنه يحفظ مائتي ألف حديث قال لو وجدت أكثر لحفظت ولما بلغ الأربعين سنة تجرد للعـــبادة وانقطـــع إلى الله تعالى وارض عن الدنيا وأهلها وترك الإفتاء والتدريس واعتند عن ذلك في مؤلف سماه بالتنفيس وأهم روضة المقياس ولم يتحول عنها إلى أن مات وله شعر كثير جيد أغلبه في الـــوائد العلمـــية والأحكام الشرعية وتوفى في سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادي الأولى سنة 911 هجرة في منزله بروصة المقياس فرضي الله عنه وارضاه بك.

وأمـــا جـــلال الدين المحلي فهو جلال الدين أحمد بن محمد بن ابراهيم المحلي والشافعي ولد بمصـــر ســـنة 891 هجرة واشتغل وبرع في الفنون فقها وكلاما وأصولا ونحوا منطقا وغيرها وكان علامـــة آيـــة في الذكاء والفهم حتى كان بعض أهل عصره يقول فيه لا يقبل الخطا ولم يك يقدر على الحفظ.

وكـــان غـــرة عصـــره في سلوك طريق السلف على مبلغ عظيم من الصلاح والورع وأمرا بالمعـــروف ناهـــيا عـــن المنكر لا تأخذه في الحق لومة لائم فكان يواجه بالحق أكابر الظلمة والحكام وكانـــوا يأتون إليه فلا يلتفت إليهم ولا يأذن لهم في الدخول عليه وكان حديد الطبع لا يراعي احدا في القـــول وقـــد عرض عليه القضاء الأكبر فلم يقبله وولى تدريس الفقه بالمؤيذية والبرقوقية وسمع من

جماعـــة وكان مع هذا متقشفا في معيشته يكتسب بالتجارة، وقد ألف كتبا كثيرة تشد إليها ارحال وهي غايـــة فـــي التحرير والتنقيح وسلامة العبارة وحسن المزج والحل وقد اقبل الناس على مؤلفاته شرح جمـــيع الجوامـــع في اصول وشرح المناهج في فقه الشافعية وشرح الورقات في الأصول ومنها هذا التفسير الذي نحن بصدده . توفى رحمه الله في أول يوم من سنة 864 هجرة.

قـــد اشـــترك فـــي هـــذا التفسير كما قلنا الإمامان الجليلان جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي أما جلال الدين المحلي فقد ابتدأ تفسيره من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس ثم ابتدأ الفاتحـــة وبعـــد أن أتمها اخترمته المنية فلم يفسر ما بعدها . وأما جلال الدين السيوطي فقد جاء بعده الجـــلال الدين المحلي فكمل تفسيره فابتدأ بتفسير سورة البقرة وانتهى عنه آخر سورة الإسراء ووضع تفســـير الفاتحـــة في آخر تفسير الجلال الدين لتكون ملحقة به. وهذا هو الواقع ويقول صاحب كشف الظـــنون عـــند الكلام على تفسير الجلالين إنه من أوله إلى آخره سورة الإسراء للعلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي المتوفي سنة 864 هـــ ولما مات كمله الشيخ جلال الدين عبد الرحمان بـــن أبي بكر السيوطي المتوفي سنة 911 هـــ كما يقول بعد ذلك بقليل وكأن المحلي لم يفسر الفاتحة وفسرها السيوطي تفسيرا مناسبا.

ولكـــن الســـيوطي في مقدمة هذا التفسير وقبل الكلام على سورة القرآن يقول بعد الديباجة ما نصه هذا ما اشتدت اليه حاجة الراغبين في تكمله تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الإمام العلامة المحقق جـــلال الدين المحلي وقام هو بتفسيره من أول سورة القرآن إلى آخر سورة الإسراء. ويقول في آخر ســـورة الإســـراء ما نصه قال مؤلفه هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق جلال الدين المحلي الشافعي رحمه الله تعالى ..."

هـــذا من ناحية تعين القدر الذي فسره كل منها وأما من الناحية الأخرى وهي ادعاء صاحب كشـــف الظنون أن المحلي لم يفسر الفاتحة وانما الذي فسرها هو السيوطي فهي أيضا دعوى يظهر لنا أنها غير صحيحة وذلك لما يقول الشيخ سليمان الجمل في مقدمة حاشيته على هذا التفسير أما الفاتحة فسرها المحلي تجعلها السيوطي في آخر تفسيره المحلي لتكون منضمة تفسيره وابتدأ هو من أول سورة البقرة...." ولقوله في الحاشية نفسها عند نهاية ما كتبه على تفسير سورة الفاتحة وانه أي الجلال الدين المحلـــي كان قد شرع في تفسير نصف الأول وأنه ابتدأ بالفاتحة وأنه اختلسته المنية بعد الفراغ منها قبل الشروع في البقرة.

فـــالجلال الدين المحلي فسر الجزء الذي فسره بعبارة موجزة محررة في غاية الحسن ونهاية الدقـــة والجـــلال الدين السيوطي تابعه على ذلك ولم يتوسع لأنه التزم أن يتم الكتاب على النمط الذي جـــرى علـــيه الجلال الدين المحلي كما أوضح هو ذلك في مقدمته وذكر في خاتمة سورة الإسراء أنه

ألف الجزء الذي ألفه في قدر ميعاد الكلم وهو اربعون يوما كما ذكر في هذا الموضوع نفسه أنه استفاد تفسيره من تفسير الجلال الدين المحلي وانه اعتمد عليه في الآراء المتشابهة كما أنه اعترف جازما بأن الذي وضعه الجلال المحلي في قطعته أحسن مما وضعه هو بطبقات كثيرة.

وعلى الجملة فالسيوطي قد نهج في تفسيره منهج المحلي من ذكر ما يفهم من كلام الله تعالى والإعتماد على الأرجح الأقوال واعراب ما يحتاج إليه والتنبيه على القرائة المختلفة المشهورة على وجه لطيف وتعبير وجيز وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية واعاريب علها كتب العربية. ولا شك إن الذي يقرأ تفسير الجلالين لا يكاد يلمس فرقا واضحا بين طريقة الشيخين فيما فسراه ولا يكاد يحس بمخالفة بينهما في ناحية من نواحي التفسير المختلفة اللهم إلا في مواضع قليلة لا تبلغ العشرة كما قيل.

فمن هذه المواضع أن المحلي في سورة (ص) فسر الروح بأنها جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه . والسيوطي تابعه على هذا التفسير في سورة الحجر ثم ضرب عليه لقوله تعالى في الآية 75 من سورة الإسراء ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا فهي صريحة أو كالصريحة في أن الروح من علم الله تعالى فالإمساك عن التعريف بها أولى. ومنها ان المحلي قال في سورة الحجر السائبون فرقة من اليهود والسيوطي في سورة البقرة تابعه على ذلك وزاد عليه أو النصارى بيانا لقوله تعالى ثان..... وهكذا تلمع الخلاف بين شيخين قليلا نادرا.

ثم ان هذا التفسير غاية في الإختصار والإنجاز حتى لقد ذكر صاحب كشف الظنون عن بعض علماء اليمن أنه قال عددت حروف القرآن وتفسيره لجلالين فوجدتهما متساويين إلى سورة المزمل ومن سورة المدثر التفسير زائد على القرآن فعلى هذا يجوز حمله بغير الوضوء. ومع هذا الإختصار فالكتاب قيم في بابه وهو من أعظم التفاسير انتشارا وأكثرها تداولا ونفعا وقد طبع مرارا كثيرة وظفر بكثير من تعاليق العلماء وحواشيهم عليه ومن أهم هذه الحواشي حاشية الجمل وحاشية الصاوي وهما متداولتان بين أهل العلم.

نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان
(حميد الدين الفراهي)

هو حميد الدين أبو أحمد عبد الحميد الأنصاري الفراهي ولد سنة 1280 هـ في قرية "فريها" من مديرية أعظم كراه في أتر براديش بالهند وكان ابن خال الشيخ شبلي النعماني. طلب العلم واستقى من حياض كتبه ثم انقطع إلى تدبر القرآن ودرسه والنظر فيه من كل جهة وكان يرى أن ا لقرآن يفسر بعضه بعضاً فأعرض عن القصص وما أتي به المفسرون من الزخارف والعجائب. هذا كان دأبه في تفسيره الذي سماه "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان".

وكان للإمام الفراهي منهج فريد في التفسير اشتهر به في شبه القارة الهندية وقد أفاض القول في بيان أصوله في مقدمة تفسيره (فاتحة نظام القرآن) وأبانت عنه اجزاء التفسير التي صدرت في حياته. وقف عليها سيد رشيد رضا الذي بعث إليه الفراهي بنسخ منه فكتب كلمة في مجلة "المنار" أثنى فيها على منهجه ومما قال "وقد ألقينا على بعض هذه الرسائل لمحة من النظر فإذا طريق جديد في أسلوب جديد من التفسير يشترك مع طريقنا في القصد إلى المعاني من حيث هي هداية دون المباحث الفنية العربية ... وإن للمؤلف لفهما ثاقبا في القرآن وإن له فيه مذاهب في البيان ..."

تأويل الفرقان بالفرقان فهو أصل معروف متفق عليه ولا يحتاج إلى بيان غير أن منهج الفراهي يتميز بالتمسك الشديد بهذا الأصل والاستفادة منه على أنحاء غفل عنها كثير من المفسرين. "والمراد بالنظام أن تكون السورة كلاما واحدا ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة أو بالتي قبلها أو بعدها فكما أن الآيات ربما تكون معترضة وكذالك ربما تكون السور معترضة وعلى هذا الأصل ترى القرآن كله كلاما واحدا ذا مناسبة وترتيب في أجزاءه من الأول إلى الآخر ... فالنظام هو يعطي السورة وحدانيتها التي بها صارت سورة كاملة مستقلة بنفسها ذات عمود تجري إليه أجزاؤها ... ولا بد من حسن النظام من أن يكون الكلام حين الترتيب حسن التناسب قوى الوحدانية" والنظام عند الفراهي ليس أمرا مقصودا بذاته وإنما هو المنهج الصحيح لتدبر القرآن"

ويظهر من كلام بعض المتقدمين أنهم قد توصلوا إلى فكرة النظام ولكن لم يبلغ أحدهم في تأصيله واستيعات وجوه القول فيه ما بلغ الإمام الفراهي وفي الكشف عن نظام القرآن لا يلجأ الإمام الفراهي إلى مناهج أهل الفلسفة والمنطق أو المتصوفة وإنما يعتمد على القرآن نفسه. وفي ذلك يقول " أجمع أهل التأويل من السلف إلى الخلف أن القرآن يفسر بعضه بعضا وفي الحقيقة الأصل الأول – النظام – أيضا راجع في حقيقة الأمر إلى الأصل الآخر وهو تفسير القرآن بالقرآن".

UNIT – II

(HADITH LITERATURE)

الباب الثاني
الأحاديث النبوية

الحديث الشريف أو السنة النبوية هو ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول وفعل أو تقرير. والحديث النبوي يجعل في الرتبة الثانية بعد القرآن الكريم وذلك أنه يبين كثيرا من الآيات القرآنية أو يقيدها أو يخصصها.

قال أحمد أمين في كتابه "فجر الإسلام" "كان للحديث أكبر الأثر في نشر الثقافة في العالم الإسلامي فقد أقبل الناس عليه يتدارسونه إقبالا عظيما وكانت حركة الأمصار العلمية تكاد تدور عليه وكل علماء الصحابة والتابعين كانت شهرتهم العلمية مؤسسة على التفسير والحديث – والحديث كان أوسع دائرة – وسبب حرص الناس على رواية الحديث رحلة العلماء إلى أقاصي المملكة وطوافهم في البلجان يأخذ بعضهم عن بعض فكان من ذلك تبادل الآراء العلمية ووقوف علماء كل مصر على ما عند الآخرين حتى لتكاد الحركة العلمية توحد...

وعن طريق الحديث النبوي انتشرت في العالم الإسلامي أنواع من الثقافة عدة فالتاريخ الإسلامي بدأ بشكل حديث كالذي ترى في كتب الحديث من معاز وفضائل أشخاص وفضائل أمم ثم تطور التاريخ إلى صار كتبا قائما بنفسها ودليلنا على ذلك أن كتب التاريخ الأولى كسيرة ابن هشام وما يروي ابن جرير عن ابن إسحاق والبلاذري في فتوح البلدان يكاد يكون نمطها وأسلوبها نمط الحديث واسلوب الحديث وقصص الأنبياء وما إلي ذلك جاءت في القرآن وتوسع فيها الحديث ثم توسع القصاص فكان القصص والحكم وقواعد الأخلاق وشيء من فلسفة اليونان والهند والفرس وضعت في الحديث وضعا وانتشرت بين الناس على أنها دين فكان لها من الأثر في الناس ما ليس للتعاليم الدنيوية وفوق ذلك كان الحديث أوسع منبع للتشريع في العبادات والمسائل المدنية والجنائية وغير ذلك. وعلى الجملة فقد كان الحديث أوسع مادة للعلم والثقافة.

جمع الأحاديث النبوية وتدوينه

كاد القرن الأول الهجري أن ينتهي ، ولم يصدر أحد من الخلفاء أمره بجمع الحديث وتدوينه ، بل تركوه موكولاً إلى حفظ العلماء والرواة وضبطهم ، وبعض الكتابات الفردية ، وكان مرور مثل هذا الزمن الطويل كفيلاً بتركيز القرآن وتثبيته في نفوس الناس ، فقد أصبح يتلوه القاصي والداني ، ويعرفه الخاص والعام ، ولا يختلف فيه أحد أو يشك في شيء من آياته ، كما كان مرور هذا الزمن الطويل أيضاً كفيلاً بأن يذهب بكثير من حملة الحديث من الصحابة والتابعين في الحروب والفتوحات

، وأن يتفـرقوا فـي الأمصار ، مما هيأ لأهل الأهواء والبدع – الذين ظهروا في هذه الفترة – أن يزيدوا في حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأن يُدْخلوا فيه ما ليس منه مما يؤيد بدعتهم ويلبي انحرافهم ، كما أن انتشار الإسلام وتوسع الدولة الإسلامية جعل العرب يختلطون بغيرهم من الأعاجم في البلدان المختلفة مما نتج عنه قلة الضبط في نقل حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بسبب ضعف ملكة الحفظ عند الناس .

وفـي العام التاسع والتسعين للهجرة تولى الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه خلافـة المسـلمين ، فنظر إلى الأحوال والظروف التي تمر بها الأمة ، فرأى أن عليه البدء بكتابة الحـديث وتدوينه حفظا له من الضياع والتحريف ، حيث أن المانع الذي كان يمنع تدوين الحديث قد زال ، ومصلحة المسلمين باتت تستدعي جمع الحديث وتدوينه .

فكتب إلى عُمَّاله وولاته يأمرهم بذلك ، حيث أرسل إلى أبي بكر ابن حزم ــ عامله وقاضيه على المدينة ــ قائلاً له : " انظر ما كان من حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فاكتبه ، فإنـي خفـت دروس العلم وذهاب العلماء " ، وطلب منه أن يكتب ما عند عَمْرة بنت عبد الرحمن الأنصـارية ، والقاسـم بن محمد بن أبي بكر ، وكتب إلى علماء المسلمين في الأمصار المختلفة " انظـروا إلـى حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فاجمعوه " ، وكان ممن كُتب إليهم الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أحد الأئمة الأعلام ، وعالم أهل الحجاز والشام المتوفى سنة 124 هـ ، حيث استجاب لطلب عمر بن عبد العزيز فجمع حديث أهل المدينة وقدمه له ، فبعث عمر إلى كـل أرض دفتـراً مـن دفاتـره ، وكانت هذه هي المحاولة الأولى لجمع الحديث وتدوينه بشمول واستقصـاء ، وكان تدوين الإمام الزهري للسنة عبارة عن جمع ما سمعه من أحاديث الصحابة من غيـر تـبويب علـى أبواب العلم ، وربما كان مختلطاً بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ، وهذا ما تقتضيه طبيعة الشروع في كل أمر جديد ، وبذلك مهد الإمام الزهري الطريق لمن أعقبه من العلماء والمصنفين ، ووضع حجر الأساس في تدوين السنة في كتب خاصة .

ثـم نشطت حركة التدوين بعد ذلك ، وأخذت في التطور والازدهار ، وتعاون الأئمة والعلماء فـي مختلف الأمصار ، فكتب ابن جريج بمكة ، وكتب مالك وابن اسحاق بالمدينة ، وكتب سعيد بن أبي عَروبة والربيع بن صُبيح وحماد بن سلمة بالبصرة ، وكتب سفيان الثوري بالكوفة ، وكتب أبو عمرو الأوزاعي بالشام ، ، وكتب عبد الله بن المبارك بخراسان ، وكتب معمر باليمن ، وغيرهم من الأئمـة ، وكانت طريقتهم في التدوين هي جمع أحاديث كل باب من أبواب العلم على حدة ، ثم ضم هذه الأبواب بعضها إلى بعض في مصنف واحد ، مع ذكر أقوال الصحابة والتابعين ، ولذلك حملت المصنفات الأولى في هذا الزمن عناوين مثل " مصنف " و " موطأ " و " جامع " .

ثـم جاء القرن الثالث فحدث طور آخر من أطوار تدوين السنة تجلى في إفراد حديث رسول الله – صـلى الله عليه وسلم – بالتصنيف دون غيره من أقوال الصحابة والتابعين ، فألفت المسانيد التي جمعت أحاديث كل صحابي على حدة ، من غير مراعاة لوحدة الموضوع ، كمسند الإمام أحمد ، ومسـند إسـحاق بن راهُوْيَه ، ومسندعثمان بن أبي شيبة وغيرها من المسانيد ، ولم تقتصر هذه المسانيد على جمع الحديث الصحيح بل احتوت على الصحيح وغيره مما جعل الإفادة منها والوقوف علـى أحاديث مسألة معينة من الصعوبة بمكان إلا على أئمة هذا الشأن ، خصوصاً وأنها لم ترتب على أبواب الفقه ، مما حدا بإمام المحدثين في عصره محمد بن إسماعيل البخُاري أن ينحو بالتأليف منحـىً جديدًا اقتصر فيه على الحديث الصحيح فحسب دون ما عداه ، فألف كتابه الجامع الصحيح المشـهور بـ" صـحيح البخاري " ، وجرى على منواله معاصره وتلميذه الإمام مسلم بن الحجاج القشيري فألف صحيحه المشهور بـ " صحيح مسلم" ، وقد رتبا صحيحيهما على أبواب الفقه تسهيلاً علـى العلماء والفقهاء عند الرجوع إليهما لمعرفة حكم معين ، فكان لهذين الإمامين الفضل بعد الله عز وجل في تمهيد الطريق أمام طالب الحديث ليصل إلى الحديث الصحيح بأيسر الطرق .

وقـد تابعهمـا في التأليف على أبواب الفقه أئمة كثيرون سواء ممن عاصرهم أو ممن تأخر عـنهم ، فألفت بعدهما السنن الأربعة المشهورة وهي سنن أبي داود ، والنسائي ، والترمذي ، وابن ماجه ، إلا أن هؤلاء الأئمة لم يلتزموا الصحة كما التزمها الإمامان البخاري ومسلم ، فوُجد في هذه المؤلفات الصحيح وغيره ، وإن كان الصحيح هو الغالب .

وقد اعتبر العلماء القرن الثالث الهجري أزهى عصور السنة وأسعدها بالجمع والتدوين ، ففيه دونـت الكتب الستة التي اعتمدتها الأمة فيما بعد ، وفيه ظهر أئمة الحديث وجهابذته ، وفيه نشطت رحلـة العلمـاء فـي طلـب الحديث ، ولذلك جعل كثير من أهل العلم هذا القرن الحدَّ الفاصل بين المتقدمـين والمتأخـرين مـن نقـاد الحـديث .

وبانـتهاء هذا القرن كاد أن ينتهي عصر الجمع والابتكار في التأليف ، فقد اقتصر دور العلماء في القـرون التالية على الاختصار والتهذيب والترتيب ، والاستدراك والتعقيب ، وانصب اهتمامهم على الكتب المدونة ، وقلّت بينهم الرواية الشفهية .

ومـن خـلال مـا سبق يتبين لنا أن تدوين الحديث النبوي قد مر بمراحل منتظمة ، وأطوار متلاحقة ، حققت حفظه ، وصانته من العبث والضياع ، وكان لجمع الحديث وتدوينه أعظم الأثر في تسهيل الطريق للاجتهاد والاستنباط ، وبهذا نعلم مقدار الجهد العظيم الذي بذله الأئمة في جمع السنة وتبويبها ، حيث تركوا لنا تراثاً عظيماً في عشرات المصنفات والدواوين ، حتى أصبحت هذه الأمة تمتلك أغنى تراث عرفته البشرية ، فجزى الله أئمة الإسلام عنَّا خير الجزاء .

الصحاح الستة

فـــي غرة النصف الثاني من القرن الثاني الهجري أدرك المحدثون أخطاء السلف وشطحاتهم بالنسبة لمنعهم الحديث وكتابته ، فبدؤا بتدوين الحديث وتأليفه.

بـــدأ علم الحديث يتحرك نحو التقدم بعد أن قضى تلك الفترة الطويلة التي عاشها في الجمود والســـكون ، ولعـــل كان ذلك رد فعل ناشئ عن الانفعال الذي برز أثر منع الحديث ، ففي خلال قرن واحـــد – أي مـــن ســـنة 150 – 250 هـ – ظهرت على الساحة كتب كثيرة كلها تحمل اسم الصحاح والمسانيد والمستخرجات وغيرها.

وكان هدف مؤلفي هذه الكتب في هذه الفترة الزمنية منصبا على جمع الحديث فقط ، ولم تبوب وتقســـم الأحاديـــث بعد إلى الصحيح والحسن والضعيف ، وكان الحديث من دون فرق بين الصحيح وغيـــره يشـــكل المحـــتوى الأصـــلي للكتب والمسانيد حتى جاء عصر البخاري – 256 هـ – وسائر الصحاح .

قـــال ابـــن حجر : فلما رأى البخاري هذه التصانيف ورواها وانتشق رياها واستجلى محياها وجـــدها بحسب الوضع جامعة بين ما يدخل تحت التصحيح والتحسين والكثير منها يشمله التضعيف ، فلا يقال لغثه سمين فحرك همته لجمع الحديث الصحيح الذي لا يرتاب فيه أمين.

ثم جاء بعده تلميذه مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري عام 261 هـ فألف الجامع الصحيح ، ومـــن بعده محمد بن يزيد بن ماجة القزويني – 273 هـ – فصنف سننه ، ثم كتب أبو داود سليمان بن داود السجستاني سننه – 275 هـ – وبعده محمد بن عيسى بن سورة الترمذي – 279 هـ – دون جامعه المعروف سنن الترمذي ، وبعده أحمد بن شعيب النسائي – 303 هـ – دون سننه ويقال له المجتبى .

وهـــذه الكـــتب الستة تشكل الركن الأصلي لجوامع أهل السنة ، فهم يرجعون إليها ويعتمدون عليها في العقائد والفروع والتفسير والتاريخ ، واشتهرت فيما بعد بالصحاح الستة ، ويطلق تارة على صحيح البخاري وصحيح مسلم الصحيحين ، وعلى الكتب الأربعة الأخرى بالسنن.

وبعـــد هذه الكتب صنفت المئات من الجوامع ، وسميت بالمسند والمستدرك والمستخرج ، إلا أنه لم ينل أي واحد منها مرتبة وشأنا عند أهل السنة كما كان شأن الصحاح الستة

الفــرق بين الصحاح والمسانيد : الصحيح اصطلاحا هو الحديث الذي اتصل سنده عبر رجال عــدول ومتدينــين إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) أو أحد الأئمة (عليهم السلام). والكتب الستة ســميت بالصــحاح لأن أحاديثها وما تحتويها مثل الراوي والسند والمتن حائزة لشروط الصحة وإن اخــتلف أصحابها في شروط صحة الحديث ، قد يكون حديث صحيحا عند أحدهم ، وعند الآخر غير مكتمل شروط الصحة ، وادعى أرباب الصحاح أن كل ما ورد في صحاحهم متوفر الشرائط وصحيح ، وأمــا المســانيد والكــتب الأخرى لم ترتق إلى هذه الدرجة من الصحة ولم يصحح مؤلفوها كل ما أخــرجوه في كتبهم إذ كانت عادتهم في ذلك جمع الأحاديث الصحيحة وغير الصحيحة ، وحتى الإمام أحمد بن حنبل الذي جمع أربعين ألف حديث في مسنده لم يلتزم بصحتها جميعا.

UNIT – III

(FIQH LITERATURE)

الباب الثالث
أدب الفقه الإسلامي

وعلـــم الفقـــه هو الباحث عن الحلال والحرام ، والباعث على التمييز بين الجائز والفاسد من وجوه الأحكـــــــــام ، ويحتاج إليه الخواص والعوام ، في جميع الأوقات والأيام

لقـــد مر الفقه الإسلامي بعدة مراحل، كان منها ظهور المذاهب الفقهية وذلك في أوائل القرن الثانـــي الهجـــري. فالمجـــتهدون العظام ظهروا في هذا الدور وأسسوا مذاهبهم الفقهية، واشتهر منها المذاهب الأربعة المنسوبة لأئمة عظام كان لهم بالغ الأثر في ازدهار الفقه ونمائه وتقدمه ، وقد أسسوا مدارس فقهية انضوى تحت لوائها فقهاء كبار، وهذه المذاهب الأربعة ليست تجزئة للإسلام ولا إحداث تشـــريع جديـــد ، وإنمـــا هي مناهج لفهم الشريعة، وأساليب في تفسير نصوصها، وطرق في استنباط الأحكام من مصادرها : الكتاب والسنة والإجماع والقياس.

وهـــذه المـــذاهب هـــي :الحنفية نسبة للإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله المولود سنة 80هـــ والمتوفـــى ســـنة 150هـــ ، والمالكية نسبة إلى للإمام مالك بن أنس رحمه الله – المولود سنة93 هـــ والمتوفـــى ســـنة 179هـــ ، والشافعية نسبة للإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله – المولود سنة 150هـــ والمتوفى سنة 204هـــ ، والمذهب الحنبلي والمنسوب إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله - المولود سنة 164هـــ والمتوفى سنة 241هـــ.

نشأة المذاهب في الفقه الإسلامي

نشأت الأحكام الفقهية مع نزول التشريع الإسلامي في صدر الإسلام وهو يمثل الناحية العملية للرســـالة المحمدية التي لا تصدر إلا عن وحي من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم، فقد استنبطت الأحكـــام العملـــية من الآيات القرآنية التي تتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الأحاديث النبوية الشريفة.

وفي عهد الخلفاء الراشدين كذلك قام الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ بهذا الأمر فكانوا يأخذون الأحكـــام فهماً واستنباطاً وتطبيقاً من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذه مصادر الفقه الرئيسة.

وبعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى لم يكن الصحابة بحاجة ماسة إلى الاجتهاد إلا في النادر؛ وذلك لصفاء نفوسهم، وصدق نيتهم وسلامة ذوقهم ومعرفتهم بأساليب اللغة العربية وفهم أسرارها، وكانوا إذا أشكل عليهم شيء اجتهد علماؤهم في ضوء الكتاب الكريم والسنة النبوية الصحيحة وهما الذكر الوارد في قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر:9.

فقد تكفل الله تعالى بهذا الحفظ المؤدي للحفاظ على الشريعة الإسلامية المتكاملة والمتوازنة والمتضمنة لجميع مصالح العباد ،فسخر الله تعالى العلماء جيلا بعد جيل للقيام بهذه المهمة فبعدت بذلك المصادر الإسلامية عن التحريف، وحفظت من التبديل والتغيير الذي أصاب الكتب والشرائع السابقة؛ ولذلك جعل الله عز وجل هذه الشريعة ناسخة للشرائع السابقة بما فيها من خصائص وصفات وبما تحمله من مميزات ومؤهلات، قال الله تعالى:"وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا " المائدة 43، و جعلها صالحة لكل زمان ومكان، وأهلها لتكون لها الهيمنة والسيطرة والمكانة البارزة على ما سبقها كيف لا وهي المستمدة من فوق سبع سموات.

وبعد انتشار الإسلام وزيادة عدد أتباعه : دعت الحاجة إلى إيضاح كثير من القضايا الفقهية، فزاد الفقه بشكل واسع حتى أصبح علماً أساسياً نافعاً، وصار مورداً عذباً لبيان مقاصد الشريعة، وكيفية استنباط الأحكام من النصوص بوساطة العلماء المؤهلين المواظبين على حفظ ودراسة أصول الشريعة وفهم مقاصدها، وتعلم اللغة العربية وإتقان قواعدها، وهنا دعت الحاجة إلى نشأة الفقه واستقلاله، و قيامه كعلم مستقل مدون و متكامل يوضح المقصود لكثير من النصوص الشرعية، ويبين مقاصدها.

نشوء المذاهب الإسلامية. أو بيان كيف نشأت المذاهب الفقهية :(2) المدارس أو المذاهب الفقهية نشأت بصورة تلقائية نتيجة انتشار العلم وانتقال العلماء لبيئات جديدة تحتاج إلى حل مشكلاتها بيسر وسهولة ,ونظراً لعدم قدرة كثير من الناس على تعلم الأحكام والتفرغ لذلك أو عدم قدرة جميع من يطلب العلم على الاجتهاد والاستنباط من الأدلة أو من الكتاب والسنة مباشرة؛ دعت الحاجة الماسة لمعرفة أحكام الدين عن طريق سؤال العلماء واتباعهم؛ لذلك نشأت تلك المذاهب الفقهية .

ويجدر الإشارة إلى أن الأصل هو عدم المذهب بمذهب فقهي معين، وكان جميع أئمة المذاهب يدعون لعدم التعصب لمذهب محدد، واتباع الدليل من الكتاب والسنة لمن كان مؤهلاً لذلك، فقد كان أئمة المذاهب الفقهية حريصين على تقديم الكتاب والسنة والتحاكم إليهما، وقد صح عن كثير منهم (أي أئمة المذاهب الفقهية وتلاميذهم) أنه قال: " إذا صح الحديث فهو مذهبي."

نشأة المدرسة الفقهية الأولى في المدينة النبوية في عهد الصحابة رضي الله عنهم حين يتوجه الناس بأسئلتهم لعلماء الصحابة الذين اشتهروا بحب العلم والفقه وبرزت ملكة الاجتهاد عندهم نتيجة حفظهم القرآن الكريم ووقوفهم على تفسير آياته وحرصهم على ملازمة الرسول صلى الله عليه وسلم ومصاحبته وحفظ سنته وفهمها. وقد عُرف عدد كبير من الصحابة بالعلم والفقه؛ فمنهم المكثر من الفتيان كعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وعبد الله ابن عباس وعبد الله بن عمر وأم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهم جميعاً. ومنهم المقل) كأبي بكر الصديق وعثمان ابن عفان) رضي الله عنهم جميعاً .

الانتقال بين الأمصار ونشر العلم :ثم انتقل عدد من الصحابة لمختلف الأمصار الإسلامية، وتتلمذ على أيديهم عدد كبيرٌ من التلاميذ، الذين أخذوا علمهم ونشروه وعلّموه للناس، واستمر نقل العلم إلى أن وصل للأئمة الأربعة وغيرهم، ولكن نظرا لاهتمام تلاميذ الأئمة الأربعة بتدوين علمهم ونشر كتبهم؛ اشتهرت هذه المذاهب على غيرها، وأصحاب المذاهب الأربعة المشهورة هم:

1. الإمام أبوحنيفة النعمان بن ثابت (ولد80 هـ وتوفي 150هـ)
2. الإمام مالك بن أنس الأصبحي (ولد 93هـ وتوفي 179هـ)
3. الإمام محمد بن إدريس الشافعي) ولد 150هـ وتوفي 204هـ)
4. الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ولد 164هـ وتوفي241 هـ)

وقام تلامذة الأئمة الأربعة بالاستمرار في تدوين كتبهم، وشرحها ونشر علمهم بين الناس، وظهر علماء آخرون في مختلف الأمصار الإسلامية وآراؤهم محفوظة في الكتب الفقهية، ولم ينشط تلاميذهم أو أصحابهم في نشره كتبهم وخدمتها وشرحها، أو نشر فقههم ومذهبهم، فلم يُكتب لها البقاء والانتشار، وبقيت المذاهب الأربعة المعروفة لأهل السنة إلى يومنا هذا، وتوجد عوامل أخرى ساهمت في انتشار فقه الأئمة الأربعة كالعامل السياسي، مثل: حمل بعض الحكام الناس على الالتزام بمذهب معين، ونشر كتبه دون غيره.

أما سبب انتشار أصحاب المذاهب الأربعة دون غيرهم من العلماء : أنهم قاموا بتأليف كتب تحمل فتاواهم وآراءهم، بينما لم يقم معظم الفقهاء بهذا الأمر .إضافة إلى قيام تلاميذ هؤلاء الفقهاء الأربعة بخدمة كتب مشايخهم، و شرحها ونشرها بين الناس، والعناية بتدريسها، ولذلك سنعرف بمذاهب هؤلاء الأئمة الأربعة .وبعد هذا السرد التاريخي لنشأة المذاهب الفقهية يمكننا أن نعرف المذهبية أو المذاهب الفقهية .فالمذهب الفقهي: اصطلاح ظهر خلال القرن الثاني، واتضح في القرن

الـــرابع الهجـــري، بعـــد تميز المذاهب الفقهية تماما، وهو عند الفقهاء: الاتجاه الفقهي في فهم أحكام الشـــريعة والطـــريقة التـــي يـــنهجها المجتهد أو عدد من المجتهدين في الاستنباط، وكيفية الاستدلال، والفـــروع التـــي تضاف في ضوء أصول المذهب .المذاهب الفقهية الأربعة ليست تجزئة للإسلام ولا إحداث تشريع جديد، وإنما هي مناهج لفهم الشريعة، وأساليب في تفسير نصوصها، وطرق في استنباط الأحكام من مصادرها الكتاب والسنة والإجماع والقياس

وأصـــول المذاهب تتميز عن بعضها بسبب اختلاف أصحابها في مناهج الاجتهاد والاستنباط، ولـــيس في الأصول الكلية أو الأدلة الإجمالية. إذ المنهج الاجتهادي الخاص، واختيارات كل إمام فيما يأخذ به من الأدلة التبعية، هو الذي يميز بين "أصول المذهب" و"أصول الفقه."

UNIT – IV
(PROSE IN ISLAMIC PERIOD)

الباب الرابع
النثر في العصر الإسلامي والأموي

النثر الأدبي في عصر صدر الإسلام والأموي يتمثل في الخطابة والرسائل، وإذا كان القصد من النثر الأدبي هو التأثير وإثارة العواطف، فإن الخطبة والرسالة لهما الأثر الكبير في إثارة العواطف ومن ثَمَّ التأثير في الناس، والخطبة تؤثر في الناس أكثر من تأثير الرسالة.فأول فنونه وأكثرها ازدهارًا فن الخطابة، الذي نهضت به عوامل مختلفة، أبرزها العوامل السياسية ممثلة في الفرق والثورات المختلفة، ثم عروبة بني أمية وولاتهم من أمثال الحجاج بن يوسف الثقفي، ثم هناك عامل الجهاد الذي اتسع في عهد الدولة الأموية بحكم رغبتهم في توسيع رقعة الدولة الإسلامية. وهناك عامل آخر مهم هو نمو تيار الوعظ الديني، الذي تمخض عن خطباء كثر.

وأشهر الخطباء الأمويين معاوية نفسه وعبد الملك بن مروان وعمر ابن عبد العزيز. ومن ولاتهم الحجاج بن يوسف الثقفي وزياد بن أبيه. أما خطباء الفرق، فإن أشهرهم من الخوارج أبو حمزة الشاري ونافع بن الأزرق والطرمَّاح بن حكيم ومن خطباء الزبيريين رئيسهم عبد الله بن الزُّبير نفسه .

وإلى جانب الخطابة السياسية عرف العصر الأموي الخطابة الدينية الوعظية، ومن أشهر خطباء هذا التيار: سعيد ابن جُبير وعبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيِّب والحسن البصري. وقد اتسع هذا التيار الخطابي وكثر رجاله، وزخرت المصادر بنصوصه. كما وُجدت خطابة الوفود إذ كان معاوية بن أبي سفيان أول من فتح أبواب قصره للوفود التي وفدت إلى ساحته : وممن خطب بين يدي معاوية سحبان وائل والأحنف بن قيس

فن الخطابة:

الرسول صلى الله عليه وسلم معدود من فصحاء العرب وبلغائهم قبل البعثة، وعندما بعث أخذ يدعو الناس إلى عبادة الله ونبذ الشرك، وكانت الخطابة هي الوسيلة التي توصل تعاليم الإسلام إلى قريش خاصة ثم إلى العرب عامة. وقد كانت خطابة الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة قبل أن يهاجر إلى المدينة من أقوى الخطب التي يسمعها العرب، ولولا تأثير تلك الخطب في قريش ثم في العرب القادمين للحج لما حصلت الخصومة بين النبي صلى الله عليه وسلم وأهل مكة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبدأ خطبته بقول: "الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

ومن خطبه صلى الله عليه وسلم في مكة خطبته في قريش عندما نزل عليه قوله تعالى: **{وأنذر عشيرتك الأقربين}** فقد جمع قريشاً وخطب فيهم، ومن تلك الخطبة: "إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم حقاً والى الناس كافة"

وعندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أصبحت خطبه توضح التشريع الإسلامي. وقد شرع الإسلام خطبة الجمعة والعيدين وخطبة الحج، أما الخطب التي تقال في المناسبات فهي قوية ومؤثرة، ومن تلك الخطب خطبة أبي بكر يوم السقيفة، وخطبة عمر يوم تولى الخلافة، ولعلي ابن أبي طالب خطب جيدة في مناسبات كثيرة.

والخطابة الإسلامية تختلف عن خطب الجاهلية؛ فخطب الجاهلية تعتمد على السجع في أسلوبها، أما الخطبة في الإسلام فتتميز بسهولة الأسلوب، ووضوح المعنى، وهي تستقي معانيها من القرآن والحديث.

ومن عادة الخطيب أن يخطب واقفاً، ويكون ذلك فوق منبر أو مرتفع من الأرض، ويعتمد على عصا. ولا يتصدى للخطبة إلا رجل عرف ببلاغته وقوة تأثيره، ولذلك نجد الخطب الإسلامية تؤثر في الناس أكثر من تأثير الشعر، بعكس ما كان سائداً في العصر الجاهلي فإن الشاعر يؤثر أكثر من الخطيب.

نموذج الخطبة: خطبة النبي صلى الله عليه و سلم بالخيف في منى:

روى زيد بن ثابت: أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب بالخيف من منى فقال: "نَضَّرَ الله عبداً سَمِعَ مقالتي فوعاها، ثم أدَّاها إلى من لم يَسْمَعْهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. ثلاث لا يُغِلُّ عليهن قلب المؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأولي الأمر، ولزوم الجماعة إنّ دعوتهم تكون من ورائه. ومن كان همه الآخرة: جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة. ومن كان همه الدنيا: فرق الله أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له.

الخطابة في العصر الأموي

. وفي العصر الاموي (40 – 132 هـ)(661 – 750 م) ازدهرت الخطبة بحيث كانت السبوق الاعلامي للدولة الاموية وخصومها على السواء . والواقع ان الدولة الاموية وعصرها يمثلان نموذجا للعجب ، فتلك الدولة التي عاشت اقل من قرن هي التي امتدت فيها الفتوحات العربية فيما بين

حدود الهند والصين شرقا إلى جبال البرانس جنوب فرنسا ، ودمرت اسطول البيزنطيين واحتلت بعض جـزر البحـر المتوسط .. هذا في الوقت الذي عاشت فيه الدولة الاموية حروبا هائلة في الداخل ضد خصـومها مـن الخوارج والشيعة والموإلى والاقباط والبربر ، ومن الهاشميين والزبيريين وحتي من داخـل الجيش الاموي نفسه ، مثل ثورة ابن الاشعث وثورة المهالبة ، وحتي من داخل البيت الاموي نفسـه ، وهكـذا إلى ان جاء الخطر الاكبر على الدولة متمثلا في الدعوة العباسية لتقضي على الدولة الاموية في ريعان شبابها بعد ان اجهدت نفسها في حروب داخلية وفتوحات خارجية .. وهذا الضجيج الحربـي فـي الداخل والخارج يمكن ارجاعه إلى عامل اساسي هو قيام الامويين في تحويل الشوري الاسلامية (ديمقراطية العصر انذاك) الى حكم استبدادي قهري عنيف ، وتحويل الانتماء من الدين إلى الانـتماء إلى العصبية العربية القبلية ، وقد حاول الامويون شغل المسلمين العرب عن هذا بالفتوحات، الا ان الخـروج على الدولة استمر مقترنا بحركة الفتوحات احيانا مما ادي إلى اسقاطها في النهاية .. والدولـة الامـوية هـي التـي تمثل الثقافة العربية الاصيلة ، هذا اذا اعتبرنا الثقافة هي النمط السائد للسـلوكيات والعادات والتقاليد الاجتماعية ، ولذلك ازدهر مع الضجيج الحربي والخلافات والثورات دخـول اسلحة اخري في ميدان المعارك كان اهمها الشعر، والخطابة، وكانت مؤهلات القائد اذا كان الخلـيفة او والـيا او ثائرا ان يتمتع بالشجاعة والكرم والفصاحة وتذوق الشعر ونظمه ، مثلما اعتاد العـرب فـي صحرائهم. وتلك الحركة المستمرة في الغزو او في الثورة والمواجهات الداخلية لم تعط فرصـة كافـية لقيام حركة تدوين للافكار السائدة او المعارك الضارية ، لذلك فان التأريخ لهذه الدولة الامـوية قـد تـم بعد سقوطها وفي عهد الخلافة العباسية المعروفة بعدائها الشديد للامويين. وغياب التدوين وعدم الاهتمام الكبير بالمراسلات الخطية اوسع مكانا هاما للخطبة الشفهية المعبرة عن الروح الاصـيلة للعربي الذي كان يفاخر وقتها بفصاحته وشجاعته ، او بأنه يملك فصاحة اللسان وشجاعة السـنان . ومـن هنا يمكن القول بأن الخطبة كانت اهم عنصر دعائي في العصر الاموي للخليفة او الوالي او الثائر على السواء ... بحيث يمكن التأريخ للعصر وتفسيره من خلال الكم الهائل من الخطب التي قيلت فيه وقامت بالدعاية لقائل الخطبة واتباعه . ونتج عن طغيان الهدف الدعائي على الخطبة ، ان تحـولت الخطـبة الدينية (خطبة الجمعة) إلى خطبة سياسية . وبعد زوال الدولة الاموية لم ينته تحـويل خطب الجمعة إلى غرض سياسي ، بل اصبح من شعائر الاعتراف بالحاكم هو الدعاء له في خطـبة الجمعة ، ولا زال ذلك ساريا حتي الان . وقد سبق ان خطبة الجمعة في عصر الرسول كانت قـراءة القـرآن وتفسيره، أي كانت خطبة دينية صرفة ، ولكن تحولت في الدولة الاموية إلى خطب سياسـية صـرفة.

وبازدهار الخطب السياسية الدعائية فقد عرف العصر الاموي ما يمكن تسميته بالمناظرات الخطابية ،

حيث كانت الخطابة تحل محل السلاح في موضع لا مجال فيه لاستعمال هذا الاخير، وحينئذ يتم التحارب بالخطب بديلا عن السلاح.

وحدثت الكوارث في الدولة الاموية بتولي يزيد الخلافة بعد ابيه معاوية ، كأول عملية وراثة للحكم في تاريخ المسلمين ، بعد نظام الشورة. وكي يمهد معاوية لهذا الأمر الخطير فقد اقام حركة دعائية ضخمة عن طريق ولاته وكبار اتباعه وقادته ، وجري في هذه الحركة ما يمكن تسميته بمهرجان الخطب التي تباري فيها المتحدثون في تزكية يزيد وتأييد ولايته .

وفي المواقف الهامة في التاريخ الاموي اشتهرت بعض الخطب . ومنها خطبة معاوية بن يزيد بن معاوية حين اعلن تنازله عن الخلافة الامر الذي ادي إلى تفكك الدولة وحروب اهلية وموت الخليفة المعتزل نفسه ، وقد قال في خطبته) قد ضعفت عن امركم ، ولم اجد لكم مثل عمر بن الخطاب لأستخلفه ، ولا مثل اهل الشورة، فأنتم اولي بأمركم فاختاروا من احببتم(وكذلك خطبة عبد الملك بن مروان في اهل المدينة) يا معشر قريش ، وليكم عمر بن الخطاب فكان فظا غليظا مضيقا عليكم فسمعتم له واطعتم ، ثم وليكم عثمان فكان سهلا لينا كريما فعدوتم عليه فقتلتموه . وبعثنا عليكم مسلما يوم الحرة فقتلكم ، فنحن نعلم يا معشر قريش انكم لا تحبوننا ابدا وانتم تذكرون يوم الحرة ، ونحن لا نحبكم ابدا ونحن نذكر مقتل عثمان .

واشتهر الحجاج بوسف الثقفي بالشدة وله خطبه كثيرة ، منها خطبته حين قدم الكوفة فاتاها ملثما وصعد المنبر فكشف اللثام عن وجهه وانشد : انا ابن جلا وطلاع الثنايا متي اضع العمامة تعرفوني ثم بدأ يقول) انى والله لأري ابصارا طامحة واعناقا متطاولة ،ورءوسا قد اينعت وحان وقت قطافها واني صاحبها .(.. ومنها خطبة طارق بن زياد حين احرق السفن بعد ان عبر إلى اسبانيا ، ذلك المضيق الذي سمي باسمه فيما بعد ، قال) ايها الناس : اين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو امامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر ، واعلموا انكم في هذه الجزيرة اضيع من الايتام في أدبة اللئام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه في اسلحته واقواته الموفورة وانتم لا وزر لكم الا سيوفكم ولا اقوات لكم الا ما تستخلصونه من ايدي عدوكم .(.. وهذا التأثير الكبير للخطبة في العصر الاموي وصل إلى سرير الزوجية في ليلة الزفاف ، يحكي شريح اشهر قاضي في العصر الاموي انه ليلة ان خلا البيت بقول) فمددت يدي ناحيتها فقالت : على رسلك يا ابا امية كما انت، ثم قالت : الحمد لله احمده واستعينه واصلي على محمد واله ، اني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك فبين لي ما تحب فآته وما تكرهه فازدجر عنه .. ، يقول القاضي (فأحوجتني والله إلى الخطبة في

ذلك الموضع ، فقلت الحمد لله احمده واستعينه واصلي على النبي واله وسلم ، وبعد فانك قد قلتي كلاما ان تثبتي عليه يكن ذلك حظك وان تدعيه يكن حجة عليك ، احب كذا

هكـذا نرى ان الخطابة السياسية وجدت جذورها وترعرت في اطار الدولة الاموية واصبحت الخطب مثالا يحتذى به في العصور اللاحقة.

الرسائل

كانت الكتابة معروفة في مكة قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنها قليلة جداً، وعندما نـزل القـرآن الكـريم حث على الكتابة فقد قال تعالى: **{يا أيُّها الذين آمنُوا إذا تداينْتم بدَينٍ إلىَ أجَل مُسَـمى فاكتُـبُوه}**[1] وقال تعالى: **{اقرأ وربك الأكرم الذي علّمَ بالقلم}** وقال تعالى: **{ن. والقلم وما يسـطرون}** والكـتابةُ الفنية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم تنحصر في كتابة الرسائل، وكتابة الرسـائل امـتداد للحـديث العادي ولذلك نجد الرسائل تخلو من التكلف فهي سهلة العبارة خالية من عبارات التفخيم تنصب على الغرض الذي أنشئت من أجله، وهي تبتدئ عادة بـ(من عبد الله فلان إلى فلان أما بعد).

وتشـمل الرسـائل فـي عهـد الرسول صلى الله عليه وسلم: الرسائل إلى الملوك والأمراء، والرسـائل إلـى عمـال الدولـة، بالإضافة إلى الرسائل الشخصية، وفي عهد الخلفاء الراشدين كانت الرسائل ترسل من الخليفة إلى الأمراء والقواد والقضاة. وكانت الرسائل تشتمل على وصايا وتعليمات كمـا أنهـا تشـمل المناشير التي تعمم للمسلمين، وطريقة كتابة الرسالة في زمن الخلفاء الراشدين لم تخـتلف عمـا كانت عليه في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم إلا بنوع من الإطناب، كما نجد في رسائل عمر، أو رسائل علي رضي الله عنهما

نماذج من الرسائل

رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي

من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة:

سلِم أنت فإني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمـته ألقاها إلى مريم البَتُول[2][3] الطيبة، فحملت بعيسى فحملته من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه.

وإنـي أدعـوك إلـى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءنـي، وإني أدعوك وجنودك إلى الله تعالى، فقد بَلّغْتُ ونصحت، فاقبلوا نصحي، والسلام على من اتبع الهدى".

UNIT – V

(MAQAMAT LITERATURE)

الباب الخامس
فن المقامات

أثبتت لغتنا العربية عبر التاريخ ..روعتها وجمالها وغزارة عجائبها وفنونها. ومن فنون الأدب العربي مايسمى بفن المقامات. أصل المقامة في اللغة : المجلس والجماعة من الناس، وقد أطلقت على المحاضرة، كما أطلقت على المجالس التي كان يستقبل فيها الخلفاء الأدباء والعلماء. المقامة عبارة عن طرائف يختلقها الأديب على لسان شخصيتين تتكرران في جميع المقامات... وتمثل الحياة الإجتماعية في العصر الذي وُجِدت به ..

المقامـــة حكايـــة قصـــيرة يتـــنوع موضوعها.. وتقوم على التفنن في الإنشاء.. وإيراد الحكم والأمثال وتصوير شخصية بطلها في أسلوب بارع متأنق.. وروح خفيفة.. وصنعته البديعية لا يمجُها الذوق الأدبي.. لما فيها من الطبع وحسن التأليف وجمال الفن ..

وموضـــوعات المقامات –في معظمها– ذات صلة بالناس، وتتعلق بالحياة اليومية والمشكلات العامـــة، وتصور أخلاق المعاصرين وأحوال العصر أحسن تصوير. وتتميز المقامات بكثرة الشواهد الشعرية.. وحسن المواءمة بين الشعر والنثر.. كما تظهر فيها قدرات الأديب البيانية العالية.. وبراعته الفائقة في استخدام المحسنات البديعية.

ولكل مؤلف للمقامة راويها ومتحدث بلسان أبطالها .. ومن بعض أسماء تلك المقامات:

المقامة الحلوانية
المقامة المضيرية
المقامة القريضية
المقامة الموصلية
المقامة البغدادية
المقامة الدينارية
المقامة الدمشقية
المقامة الفراتية
المقامة الشِعرية
المقامة الحلبية

وأول من بدأ بهذا الأدب هو بديع الزمان الهمذاني وتبعه الحريري ومن ثم الزمخشري... لذلك نجد المقامات باسم مؤلفها كالتالي :

مقامات بديع الزمان الهمذاني
مقامات الحريري
مقامات الزمخشري

بديع الزمان الهمذاني

يعـد "بديع الزمان الهمذاني" المبتكر الأول لفن المقامة الذي انتشر على نحو واسع كأحد فنون النثـر في الأدب العربي، كما يعد الرائد الحقيقي للصحافة، ليس في الأدب العربي فحسب، وإنما كان الصـحفي الأول علـى الإطـلاق؛ فقد كانت رسائله ومقاماته النقدية الاجتماعية هي البدايات الحقيقية الأولى لذلك الفن الذي عُرف فيما بعد بالصحافة.

ولد "بديع الزمان أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني" في همذان سنة [358 هـ= 969م]، لأسرة عربية ذات علم وفضل ومكانة مرموقة، فقد كان أخوه "الحسين بن يحيى" مفتي همذان.

ونشـأ "بديـع الزمان" في بيئة علمية خصبة، حيث كانت همذان موطن عدد كبير من العلماء الأعلام الذين تتلمذ عليهم "بديع الزمان"، ومنهم " أحمد بن فارس" اللغوي المعروف، و"أبو بكر محمد بـن الحسـين الفـراء" اللغـوي الشـهير.

وعـندما بلغ "بديع الزمان" الثانية والعشرين من عمره غادر همذان متوجهًا إلى أصبهان حيث اتصل بالصاحب بن عباد وزير "بني بويه".

كانت " أصبهان" –عاصمة "بني بوية"– مدينة جميلة حافلة بالمناظر الساحرة والبساتين البديعة، والقصـور الفخمة والطبيعة الفاتنة، ولذلك فقد كانت تجذب إليها الأدباء والشعراء، وكان للصاحب بن عباد دور كبير في تشجيع الأدباء والعلماء وإثراء الحركة الأدبية والعلمية في أصفهان، حتى غدت تلك المدينة، إحدى منارات العلم في ذلك العصر، ومحط أنظار العلماء والأدباء، وكعبة طلاب العلم من كل مكان.

وأقبل بديع الزمان على مجالس الأدباء والشعراء في أصفهان، وسرعان ما جذب إليه الأنظار ببراعته وقوة حافظته، حتى إنه كان يحفظ و"ينشد الشعر لم يسمعه قط –وهو أكثر من خمسين بيتًا– إلا مرة واحدة، فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها ولا يخرم حرفًا، وينظر في الأربعة أو الخمسة الأوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يهدّها عن ظهر قلب هذا ويسردها سردًا".

وكـان الهمذاني يميل إلى الإسجاع والإغراب والأحاجي، وكان بارعًا متفردًا في هذا الباب، يـروى أنـه "كان يُقترح عليه عمل قصيدة وإنشاء رسالة في معنى بديع وباب غريب فيفرغ منها في الـوقت والساعة، وكان ربما كتب الكتاب المقترح عليه فيبتدئ بآخره، ثم هلم جرًّا إلى أوله، ويخرجه كأحسن شيء وأملحه".

وعُرف بسرعة بديهته وحضور ذهنه وقدرته الفائقة على النظم والارتجال، لا يكاد يباديه أحد أو يجاريـه إنسان، فكان "يُقترح عليه كل عويص وعسير من النظم والنثر فيرجله أسرع من الطرف

على ريق لم يبلغه، ونفس لا يقطعه، وكلامه كله عفو الساعة وفيض اليد ومسارقة القلم، ومسابقة اليد للفم، وكان يترجم ما يُقترح عليه من الأبيات الفارسية المشتملة على المعاني الغربية بالأبيات العربية". إلاّ أن بديع الزمان السُّنّي المتعصب للعرب لم يستطع الاندماج في مجتمع بني بويه وبلاط الصاحب بن عباد الشيعي الخالص، ولم يطل مقام بديع الزمان بأصبهان، فتركها إلى جرجان، حيث أقام في كنف "أبي سعيد محمد بن منصور"، واتصل بأميرها "شمس المعالي قابوس بن وشمكير" أمير الدولة الزبادية، وكان أديبًا بليغًا، وله معه مراسلات بديعية. ير أن بديع الزمان لم يلبث أن غادر جرجان لخلاف بينه وبين أبي سعيد، فاتجه إلى نيسابور سنة [382هـ= 992م. وكانت نيسابور أعظم مدن خراسان في ذلك الوقت، وكانت ملتقى العلماء وأعلام الفكر والأدب، وكان العلماء والأدباء كثيرًا ما يعرّجون عليها في رحلاتهم بين المشرق والعراق، فيقيمون فيها بعض الوقت.

وذاعت شهرة بديع الزمان في نيسابور بعد مناظرته الشهيرة مع العالم الأديب "أبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي" وانتصاره عليه بشكل لفت الأنظار إلى قدراته الأدبية الفذة، فطار بذلك صيته وعلت شهرته. واستطاع بديع الزمان خلال فترة إقامته بنيسابور إملاء عدد كبير من المقامات بلغت أربعمائة مقامة، وقد اتصل خلالها بعدد كبير من أدباء نيسابور وأعلامها مثل: الأديب أبي نصر سهل بن المرزبان، وأبي جعفر الميكالي أحد وجهاء آل ميكال المقدّمين، وقد مدحه بديع الزمان ونال عطاءه، كما كانت له صلة طيبة بواحد من أكبر وجهاء نيسابور وهو أبو الطيب سهل بن محمد الصعلوكي، وكانت له حظوة ومكانة كبيرة عنده. وطاب المقام لبديع الزمان بنيسابور بعدما نال من الشهرة والحظوة، ورغب في الاستقرار بها، ولكن حساده ومنافسيه سعوا بالوشاية ضده والدسائس عليه حتى أوغروا عليه أبا جعفر الميكالي، والصعلوكي، فحُرم مما كان ينعم به من الشهرة والجاه والعطاء.

ولم يمضي عام على قدومه إلى نيسابور حتى كان قد خرج منها في أوائل سنة [383هـ = 993م] إلى سرخس حيث اتصل بالسلطان محمود الغزنوي الذي قربه وأحسن إليه، وأغدق عليه من عطاياه، وهناك تعرف إلى عدد كبير من أعيان سرخس وعلمائها. ولكنه لم يلبث أن شد عصا الترحال إلى بجستان، فلقي ترحيبًا كبيرًا من أميرها "خلف بن أحمد"، ووجد في كنفه عيشًا رغدًا وحياة ناعمة هانئة، ومكانة كريمة، ولكن دسائس الحساد ومكائد المنافسين سرعان ما أفسدت ما بينه وبين الأمير، فتغير عليه، وعندئذ رحل إلى بوشينج، وهناك توثقت صلته بالوزير أبي نصر الميكالي، وبعد أن استقر بها زمنًا، رحل إلى هراة.

كـــان سرور الهمذاني كبيرًا بهذه البلدة، وبالرغم مما شهدته تلك المدينة من الاضطرابات ــ نتيجة الحروب الكثيرة التي تعرضت لها، وتغير الولاة عليها، والمحن المختلفة التي أصابتها من غلاء وفقـــر ومصادرات وأمراض ــ فإن الهمذاني فضل الاستقرار بها، وعاش فيها حتى توفي. وكان بديع الـــزمان يرصد كل ما يحدث بها من ظواهر اجتماعية، وأحداث سياسية، ونكبات اقتصادية، ومعارك حـــربية، ويسجل كل ما يراه من الجوانب السلبية التي سادت نواحي الحياة المختلفة في عصره، حتى غـــدت رســـائله مصدرًا مهمًّا من مصادر التاريخ الاجتماعي لهراة في العقد الأخير من القرن الرابع الهجري.

وفـــي هراة استطاع الهمذاني أن يصيب قدرًا كبيرًا من الثراء، وأن يحقق نجاحًا ملحوظًا في نشـــاطه التجاري، فتوسعت علاقاته التجارية حتى بلغت مدينة بلخ، وقد ساعده على ذلك على زواجه مـــن ابـــنة أبي علي الحسين الخشنامي ــ أحد أعيان هراة ــ بالإضافة إلى رعاية الوزير أبي نصر الميكالـــي له، وتوطد علاقته بحاكم هراة "أبي عامر عدنان بن محمد الضبي" و"أبي العباس الفضل بن أحمد الإسفراييني" وزير السلطان "محمود الغزنوني".

مقامات بديع الزمان

ترجع شهرة بديع الزمان الهمذاني إلى مقاماته الشهيرة التي كان له فضل السبق إليها، فهو أول مـــن ابتكـــر فكـــرتها، وأطلق عليها هذا الاسم حتى اشتهر بها وقد أعجب كثير من الأدباء بهذا اللون الجديد من فنون الأدب، فاقتفوا أثره ونسجوا على منواله.

وأصل المقامة في اللغة: المجلس والجماعة من الناس، وقد أطلقت على المحاضرة، كما أطلقت علـــى المجـــالس التـــي كـــان يســـتقبل فـــيها الخلفـــاء الأدبـــاء والعلمـــاء. ويذكر الثعالبي في ترجمته لبديع الزمان أنه أملى أربعمائة مقامة بنيسابور، ولكن الذي وصلنا منها لا يتجاوز اثنتين وخمسين مقامة فقط. وقد اخترع الهمذاني بطلين لمقاماته، سمى أحدهما عيسى بن هشام، والآخر أبا الفتح الإسكندري، وجعل الأول رواية، والثاني بطلا مغامرًا.

ولـــم يحـــرص بديع الزمان على أن يظهر أبا الفتح في جميع المقامات، بل كان يقلل من شأن مغامـــراته أحيانًا ويغفل ذكره أحيانًا، وشخصية أبي الفتح الإسكندري شخصية مثيرة متعددة الجوانب، تثيـــر العجـــب وتدعـــو إلـــى الإعجاب، فهو يحترف الكُدية (التسول)، ويتميز بالفصاحة في اللسان، والبراعة في الشعر، كما أنه شخصية فكاهية مرحة، يتسم بالذكاء وخفة الظل، محب للمغامرة وارتياد المجهول.

وموضـــوعات المقامات -في معظمها- ذات صلة بالناس، وتتعلق بالحياة اليومية والمشكلات العامـــة، وتصور أخلاق المعاصرين وأحوال العصر أحسن تصوير. وتتميز المقامات بكثرة الشواهد الشعرية، وحسن المواءمة بين الشعر والنثر، كما تظهر فيها قدرات الهمذاني البيانية العالية، وبراعته الفائقة في استخدام المحسنات البديعية

مقتطفات من بعض مقامات بديع الزمان الهمذاني

من المقامة المجاعية
حدثنا عيسى بن هشام قال:
كنت ببغداد عام مجاعة فملت إلى جماعة، قد ضمهم سمط الثريا، أطلب منهم شيّا، وفيهم فتى ذو لثغة بلسانه، وفلج بأسنانه،
فقال: ما خطبك،

قلت: حالان لا يفلح صاحبهما: فقير كدّه الجوعُ، وغريب لا يمكنه الرجوع

فقال الغلام: أي الثلمتين نقدّم سدها؟ قلت: الجوع؛ فقد بلغ مني مبلغًا،

قـــال: فما تقول في رغيف، على خوان نظيف، وبقل قطيف إلى خل ثقيف، ولون لطيف، إلى خردل حـــريف، وشـــواء صفيف، إلى ملح خفيف، يقدمه إليك الآن من لا يمطلك بوعد ولا يعذبك بصبر، ثم يعلك بعد ذلك بأقداح ذهبية، من راح عنيبة؟ أذاك أحب إليك أم أوساط مجشوة، وأكواب مملوة، وأنقال معـــدّدة، وفرش منضدة، وأنوار مجوّدة، ومطرب محيد، له من الغزال عين وجيد؟ فإن لم ترد هذا ولا ذاك، فمـــا قولك في لحم طري، وسمك نهري، وباذنجان مقلي، وراح قطربلي، وتفاح جني، ومضجع وطي، على مكان علي، حذاء نهر جرار، وحوض ثرثار، وجنة ذات أنهار؟

قال عيسى بن هشام
فقلت: أنا عبدُ الثلاثة،
فقال الغلام: وأنا خادمها لو كانت،
فقلت: لا حياك الله، أحييت شهوات قد كان اليأس أماتها، ثم قبضت لهاتها، فمن أي الخرابات أنت؟
فقال: أنا من ذوي الإسكندرية، من نبعة فيهم زكية.
سَخُفَ الزمان وأهلُهُ *** فركبت من سخفي مطيّه

من المقامة البغدادية

حدثنا عِيسى بْنُ هِشامٍ قال :

ِشتهيتُ الأزاذ، وأنا ببغداد، وليس معي عَقْدٌ، على نَقد، فَخَرَجْتُ أنتهزُ مَحالَّهُ حَتَّى أحلَّني الكَرْخ ، فإذا أنا بسَوادِيٍّ يَسوقُ بالجَهْد حمارَهُ، ويُطَرِّفُ بالعَقْدِ إزارَهُ، فقُلْتُ : ظَفِرْنا واللّهِ بصَيْدٍ، وَحَياكَ اللّهُ أبا زَيْدٍ، مِنْ أيْنَ أقبَلْتَ؟ وأيْنَ نَزَلْتَ ؟ ومتى وافَيْتَ ؟ وَهَلُمَّ إلى البَيْتِ،

قالَ السَّوَاديُّ : لَسْتُ بأبي زَيْدٍ، ولكنِّي أبُو عُبَيْدٍ،

فقُلتُ : نَعَمْ ، لَعَنَ اللّهُ الشيطانَ، وأبْعَدَ النِّسْيانَ، أنْسانيكَ طُولُ العَهْدِ، واتِّصالُ البُعْد، فَكَيْفَ حالُ أدبكَ ؟ أشابٌّ كَعَهْدي، أمْ شابَ بَعْدي ؟

فقال : لقدْ نَبَتَ الرَّبيعُ على دِمْنَتِهِ، وأرجو أنْ يُصَيِّرَه اللّهُ إلى جَنَّتِهِ،

فقُلتُ : إنَّا لله وإنَّا إليهِ راجِعون، ولا حَوْلَ ولا قُوَةَ إلا بالله العلي العظيم، ومَدَدْتُ يَدَ البدار، إلىَّ الصِّدار، أريدُ تَمزيقَهُ، فقَبَضَ السَّواديُّ على خَصْري بِجُمْعِهِ، وقال : نَشَدْتُكَ اللّه لا مَزَّقْتُهُ،

قُلْتُ : هِلُمَّ إلى البيتِ نُصِب غَذاءً، أو إلى السُّوق نَشْتَرِ شِواءً، والسُوق أقْرَبُ، وطعامُهُ أطْيَبُ، فاسْتَفَزَّتْهُ حُمَّةُ القِرَم، وعَطَفَتْهُ عاطِفَةُ اللَّقَم، وطَمِعَ، ولم يَعْلَمْ أنَّهُ وَقَعَ، ثُمَّ أتَيْنا شَوَّاءً يَتَقاطَرُ شِواؤهُ عَرَقاً، وتَتَسايَلُ جَوذابانُهُ مَرَقاً،

فقُلْتُ : اقْرز لأبي زَيْدٍ مِنْ هذا الشِّواءِ، ثُمَّ زِنْ لهُ مِنْ تِلكَ الحَلواءِ، واخْتَرْ لهُ مِنْ تِلكَ الأطْباق، وانْضِد عليها أوراقَ الزُّقاق، ورُشَّ عليه شَيئاً مِنْ ماءِ السُّمَّاق، لِيأكُلهُ أبو زَيْدٍ هَنيَّا، فأنْحى الشِّواءُ بِساطورِهِ، على زُبْدَةِ تَنُّورِهِ، فَجَعَلَها كالكُحْلِ سَحْقاً وكالطِّحْنِ دَقّاً، ثُمَّ جَلَسَ وَجَلَسْتُ، ولا يَئِسَ ولا يَئِسْتُ، حتَّى اِسْتَوْفَيْنا، وقُلْتُ لِصاحِبِ الحَلْوى، زِنْ لأبي زَيْدٍ مِنَ اللوزينج رطْلَيْنِ فهوَ أجْرى في الحُلوق، وأمْضَى في العُروق، ولْيَكُن لَيِّلَيَّ العُمْر ، يَوْميَّ النَشْر ، رَقيقَ القِشْر، كَثيفِ الحَشْو، لُؤلُؤيَّ الدُّهْن، كَوكَبيَّ اللَّونِ، يَذوبُ كالصَّمْغ، قَبْلَ المَضْغ، لِيأكُلهُ أبو زَيْدٍ هَنيّاً،

قالَ : فَوزَنَهُ ثُمَّ قَعَدَ وقَعَدْتُ، وجَرَّدَ وجَرَّدْتُ، حتَّى اسْتَوْفَيْناهُ، ثُمَّ قُلتُ : يا أبا زَيْدٍ ما أحْوَجَنا إلى ماءٍ يُشَعْشِعُ بالثَّلْج، لِيَقْمَعَ هذهِ الصَّارَّةَ، ويَقْتُلَ هذه اللُّقَمَ الحارَّةَ، ، اِجْلِسْ يا أبا زَيْدٍ حتَّى نَأتيكَ بِسِقاءٍ، يأتيكَ بِشُرْبَةِ ماءٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ وجَلَسْتُ بِحَيْثُ أراهُ ولا يَراني أنْظُرُ ما يَصْنَعُ، فَلَمَّا أبْطَأتُ عليه قامَ السَّواديُّ إلى حِمارِهِ، فاعْتَلَقَ الشَوَّاءُ بإذارِهِ، وقالَ : أيْنَ ثَمَنُ ما أكَلْتَ ؟ فقالَ أبو زَيْدٍ : أكَلْتُهُ ضَيْفاً، فَلَكَمَهُ لَكْمَةً، وثَنَّى عليه بِلَطْمَةٍ، ثُمَّ قال الشَوَّاءُ : هاكَ، ومَتى دَعَوْناكَ ؟ زِنْ يا أخا القِحَةِ عِشرينَ، فَجَعَلَ السَّواديُّ يَبْكي وَيَحُلُّ عُقْدَهُ بأسْنانِهِ ويقولُ

كَمْ قُلْتُ لِذاكَ القُرَيْدِ، أنا أبو عُبَيْدٍ، وهو يقول : أنْتَ أبو زَيْدٍ، فأنْشَدْت

لا تَقْعُدُنَّ بِكُلِّ حالِهْ.....أعْمِلْ لِرِزْقِكَ كُلَّ آلَه

فالمَرْءُ يَعْجِزُ لا مَحالهْ....وانْهَضْ بِكُلِّ عَظيمَةٍ

الأزاذ : نوعٌ من التمر الجيد
الكَرْخ : هو مكان في بغداد
الدِمْنَة : هي القبر
اليدار : هو المسارعة والمبادرة
الصدار : هو الثوب الذي يُلبس مما يلي الجسد
القَرَم : هو الشهوة البالغة لأكل اللحم
اللقم : هو الأكل بسرعة
لجوذابة : رغيفٌ يخبز وفوقه طائرٌ أو قطعة لحم
اللوزينج : هو نوعٌ من الحلوى
ليليُ العمر : أي صنع ليلاً
نهاري النشر : أي أنه ظهر نهاراً
الصارة : هي شدة الحر
يفثأ : يخفف
القحة : هي الوقاحة وسوء الأدب
وهذه مقتطفات من المقامة البشرية للهمذاني أيضاً
حدثنا عيسى بن هشام قال:
– كان بشر بن عوانة العبدي – صعلوكاً. فأغار على ركب فيهم امرأةٌ جميلة، فتزوج بها، وقال:
– ما رأيتُ كاليوم
فقالت:
أعجب بشراً حورٌ في عيني
ودونــه، مسرح طرف العين
أحسن من يمشي على رجلين
وســاعــدٌ أبــيضُ كاللجين
خَمْصانةٌ ترفل في حِجْلين
لــو ضَــمَّ بشرٌ بينها وبيني
أدام هجري وأطال بيني
قال بشر: ويحك، من عنيت؟
فقالت: بنت عمك فاطمة.
فقال: أهي من الحسن بحيث وصفت؟ قالت:
وأزيد وأكثر.
ثم أرسل إلى عمه يخطب ابنته، ومنعه العم أمنيته فآلى ألا يُرعي على أحدٍ منهم، إن لم يزوجه ابنته.
ثــم كثــرت مضــراته فــيهم، واتصلت معراته إليهم. فاجتمع رجال الحي إلى عمه وقالوا: كف عنا مجنونك.
فقال: لا تلبسوني عاراً، وأمهلوني حتى أهلكه ببعض الحيل.
قالوا أنت وذاك.
ثم قال له عمه:
– إني آليت ألا أزوج ابنتي هذه إلا من يسوق إليها ألف ناقةٍ مهراً، ولا أرضاها إلا من نوق خزاعة.

وغـرض العـم كان أن يسلك بشرٌ الطريق بينه وبين خزاعة، فيفترسه الأسد، لأن العرب قد تحامت من ذلك الطريق، وكان فيه أسدٌ يسمى داذاً وحيةٌ تُدعى شجاعاً.

ثـم إن بشـراً سـلك ذلك الطريق، فما نَصَفَهُ حتى لقي الأسد، وقَمَصَ مُهْرُه، فنزل وعقره ثم اختـرط سـيفه إلـى الأسـد واعترضـه وقطّـه، ثـم كتب بدم الأسد على قميصه إلى ابنة عمه:

أفـاطـمُ لو شهدتِ ببطن خبتٍ
إذن، لـرأيـت لـيْـثـاً أمَّ ليثاً
يـكـفـكـف غيلةً إحدى يديه
يـدل بـمـخـلـب وبحدّ نابٍ
نـصحتك فالتمس يا ليثُ غيري
هـززت له الحُسامَ، فَخلتُ أني
وأطـلـقـت الـمهند من يميني
فـخـرَّ مـضـرَّجـاً بدمٍ كأني
وقـلـت لـهـ: يعزُّ عليَّ أني
فـلا تـجـزع فـقد لاقيت حُرّاً
وقد لاقى الهزبرُ أخاكِ بِشْر
اهـزبـراً أغـلـباً لاقى هزبرا
ويبسط للوثوب عليَّ أخرى
وبا للحظات تحسبهن جمرا
طـعـامـاً، إن لحمي كان مرا
سـلـلـتُ به لدى الظلماء فجرا
فـقـدَّ لـه من الأضلاع عشرا
هـدمـتُ بـه بـنـاء مُشْمَخِرًّا
قـتـلـتُ مُـناسبي جَلَداً وفخرا
يـحـاذر أن يُـعاب، فمتَّ حُرّا

فلمّا بلغت الأبيات عمه ندم على ما منعه من تزويجها وخشي أن تغتاله الحية فقام في أثره، وبلغه وقد ملطته سَوْرة الحية. فلما رأى عمه أخذته حمية الجاهلية، فجعل يده في فم الحية، وحكّم سيفه فيها.

فما قتل الحية قال عمه:

– إني عرضتُك طمعاً في أمرٍ قد ثنى الله عناني عنه، فارجع لأزوجك ابنتي.

فلمّا رجع جعل بشر يملأ فمه فخراً، حتى طلع أمردُ كشق القمر، على فرسه، مدججاً في سلاحه. فقال بشر:

– يـا عـم، إنـي أسـمع حـسَّ صـيدٍ. وخـرج فـإذا بغـلامٍ علـى قِـيْدٍ.

فقال:

– ثكلتك أمك يا بشر، أن قتلت دودة تملأ ما ضغيك فخراً؟

أنت في أمانٍ إن سلمت عمَّك.

فقال بشر: من أنت؟ لا أم لك!

قال: اليومُ الأسود والموتُ الأحمر.

فقال بشر: ثكلتك مَنْ سلّحَتْك.

وكر كل واحد منهما على صاحبه، فلم يتمكن بشرٌ منه ولمكنَ الغلامَ عشرون طعنة في كلية بشر، كلما مسَّـه شـبا السِـنان حمـاه عـن بدنـه، إبقـاء علـيه. ثـم قـال:

– يـا بشـر، كـيف تـرى؟ ألـيس لـوْ أردت لأطعمـتك أنـياب الـرمح؟

ثم ألقى رمحه واستل سيفه، فضرب بشراً عشرين ضربة بعرض السيف، ولم يتمكن بشرُ من واحدة.

ثم قال:

يا بشرُ، سلّمْ عمَّك واذهب في أمان.

قال: نعمْ ولكن بشريطة أن تقول لي:
من أنت؟
فقال: أنا ابنك
فقال: سبحان الله! ما قارنتُ عقيلة قط ، فأنَّى هذه المنحة؟
فقال: أنا ابن المرأة التي دلتك على ابنة عمك.
فقال بشر:
– تلك العصا من هذه العُصَيّة هل تلد الحية إلا الحية؟
وحلف: لا ركبَ حِصاناً، ولا تزوج حَصاناً
ثم زوَّجَ ابنة عمِّه لابنه.

SECTION – B
CLASSICAL POETRY

UNIT – VI
(PRE – ISLAMIC POETRY)

الباب السادس
نشأة الشعر الجاهلي

الشعر ديوان العرب

قـــال أبو عمرو بن العلاء " ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثيرا" ذلك أمر لا يختلف فيه إثنان فالأدب العربي برز إلى الوجود بانفجار شعري – على حـــد قول الدكتور فيليب حتي – وهذا الانفجار الشعري شديد الانسجام مع طبيعة العربي وبسبب هذا الانســـجام الشـــديد كـــان الشـــعر شديد التدفق ينشده العرب في مسامراتهم ومواسمهم في مفاخراتهم ومنافراتهم في غزواتهم وحروبهم في حلهم وترحالهم حتى كان ديوانهم وخزانة أخبارهم وأحوالهم.

قـــال أبو هلال العسكري " لا تعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها إلا من جملة أشـــعارها فالشعر ديوان العرب وخزانة حكمها ومستنبط آدابها ومستودع علومها" وقال الجاحظ " قال الهيـــثم وابـــن الكلبي وأبو عبيدة فكل أمة تعتمد في استيفاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضـــروب وشكل من الأشكال وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشـــعر الموزون والكلام المقفى وكان ذلك هو ديوانها وعلى أن الشعر يفيد فضيلة البيان على الشاعر الراغب والمادح وفضيلة المأثور على السيد المرغوب إليه والممدوح به" ولما كان الشعر في الجاهلية ديـــوان علمهـــم ومنتهـــى كلمهم به يأخذون وإليه يصيرن " و"فيه كانوا يختصمون وبه يتمثلون وبه يتفاضلون وبه يتقاسمون وبه يتناضلون وبه يمدحون ويعابون" لما كان الشعر كذلك كان ولا شك وافرا جـــدا ولكنه لم يصل إلينا منه إلا النزر اليسير لأسباب مختلفة منها ضعف التدوين وآلاته ومنها تشتت القبائل في الأصقاع البعيدة واندثار كثير من معالم بيانها ورواة أشعارها ومنها القضاء في الاسلام على كـــل مـــا يعوق الدعوة الاسلامية من آراء الوثنية وأشعارها والذي وصل إلينا من ذلك الشعر حديث المـــيلاد. قـــال الدكـــتور ناليون: "لم ينقل إلينا بيت عربي غير مرتاب بصحته أقدم من أواخر القرن الخـــامس للمسيح أعني سابقا للهجرة بأكثر من مائة وثلاثين سنة تقريبا" وقال الجاحظ في وهم كثير " أمـــا الشـــعر فحديث الميلاد صغير السن أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة ... فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالاسلام خمسين ومائة عام وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمأتي عام ... وفضيلة الشعر مقصورة على العرب وعلى من تكلم بلسان العرب والشعر لا يستطاع أن يترجم ولا يجوز عليه النقل".

بداية الشعر

وبدايـــة الشعر العربي أقدم مما وهم الجاحظ ففي ما وصل إلينا منه إشارة إلى ما تعرض ولم يكـــن باليســـير كما سبق القول فأين آثار الجاهلية الاولي وأين هذا الشعر الكثير الذي أشار إليه الرواة والشعراء في الجاهلية الثانية وأين هذا الديوان الذى حوى جميع مظاهر الحياة الجاهلية؟ لم يبق منه إلا الأبيات والمقطوعات والنتف وبعض القصائد التى ليست شيئا يذكر بالإضافة إلى ما ضاع. أضف إلى ذلك " أن من يسرح أبصاره فى رياض الشعر الجاهلي لا يجد في سذراته التي نجت من أيدي الضياع مـــا يدل على كونه كنا صغير السن فإن جميع ... نقل إلينا منه يظهر لنا في غاية الإتقان وزنا وتقفية وفي غاية التفنن من الافتخار والتحضيض و... حر والإغراء والوعد والوعيد والتأديب والمدح والغزل والهجـــاء والوصـــف والـــرثاء. وهو يجمع رقة العبارة الى دقة الإشارة ومتانة التراكيب الى رشاقة الأساليب. فليس من الممكن مثل هذا الكمال في صناعه حديثة لابد من المعلوم أن كل مبتدئ لشيء لم يســـبق إليه وكل مبتدع لأمر لم يتقدم فيه لا بد من أن يكون قليلا ثم يكثر وصغيرا ثم يكبر وضعيفا ثم يـــتقوى" وهكذا نشأ الشعر نشوءا بطيئا وقد يكون النثر المسجع الذي دار على ألسنة الكهان والعرافين مظهرا من مظاهر البداية الشعرية لأنه قائم على الوزن والتقفية أي على عنصر المسيقى الصوتية التي ترافق أحد المعاني ولعل الموسيقى الصوتية هدد رافقت حركة كحركة الخيل أو الإبل أو سير الخطى أو مـــا إلى ذلك مماهو طبيعي فيكون مثلا في أصل الشعر ويكون الرجر أقدم البحور الشعرية ظهورا ويكون الهزج مرافقة الصوت لحركة راكب الناقة ويكون الطويل مرافقة الصوب لحركات أربع بطيئى مـــن حركات أخفاف الناقة ويكون البسيط مرافقة الصوت لعدو الناقة ... وهكذا نشأت الأوزان وزنا بطريقة طبيعية بدائية بعيدة كل البعد عن الروايات التي اصطنعت فيما بعد والتي جعلت نشوء الأوزان بين الحدادين والطبالين وغيرهم.

لقد قيل " الرجز بكر الشعر السجع أبوه والحداد أمه " – قال الدكتور محمد الدسوقي النويهي :" إن الرجـــز أول بحـــور الشعر وتطبقه على ضربات أرجل الناقة وهزات ظهرها فالراكب إذا أراد أن يتغنى ليحدوا ناقته ويزيد من نشاطها ويسلي نفسه على الطريق اضطره فى الآخر الى أن يختار كلماته بحيث تنسجم مع حركة الناقة المنضبطة الرتيبة ومن هنا نشأ الشعر بوزنه الأول وتفعيلاته الأوزان . ذلك كلام يقلبه العقل والمنطق وليس من استحالة عملية ندحضه.

والجديـــر بالذكر أن عدد من الأوزان الشعرية والقواعد العروضية كان معروفا لدى الجاهلين معـــرفة عامة قال ابن فارس " فأما من حكي عنه من الأعراب الذين لم يعرفوا الهمز والجر والكاف والـــدال فإنا لم نزعم أن العرب كلها مدارا ووبرا قد عرفوا الكتابة كلها والحروف أجمعها ... والذي

CUP 6566/08/1000/SDE-4

نقــول فــي لحــروف هو قولنا في الإعراب والعروض والدليل على صحة هذا وأن القوم قد تداولوا الاعراب أنا نستقرئ قصيدة الحطيئة التي أولها:

شاقت أظعان لليلى دون ناظرة بواكير

فــنجد قوافــيها كلها عند الترنم والإعراب تجيء مرفوعة ولولا علم الحطيئة بذلك لأشبه أن يختلف إعرابها لأن تساويها في حركة واحدة – اتفاقا من غير قصد – لا يكاد يكون. فإن قال قائل: فقد تــوارت الروايات بأن أبا الأسود أول من وضع القواعد العربية وأن الخليل بن أحمد أول من تكلم في العروض قيل له نحن لا ننكر ذلك بل نقول إن هذين العلمين قد كانا قديما وأتت عليهما الأيام وقلا في أيدي الناس ثم جددهما هذان الإمامان وقد تقدم دليلنا في معنى الإعراب وأما العروض فمن الدليل على أنه كان متعارفا معلوما اتفاق أهل العلم على أن المشركين لما سمعوا القرآن قالوا – أو من قال منهم : إنــه شعر فقال الوليد بن المغيرة منكرا عليهم : لقد عرضت ما يقرأ محمد على أقراء الشعر : هزجه ورجزه وكذا وكذا فلم أره يشبه شيئا من ذلك أفيقول الوليد هذا وهو لا يعرف بحور الشعر ... "

لا شــك أن في كلام ابن فارس بعض الغلو أو لعله أراد أن الجاهليين كانوا يعرفون من أمر النحو ومن أمر العروض وعيوب القافية ما يستطيعون به أن يميزوا الصحيح من الخطأ وما أصبح بعد ذلك أساسا لعلمي النحو والعروض" وهذا ما نراه نحن ولعل الأقدمين كانوا يفهمون بأقراء الشعر بعض الــنماذج مــن القصائد أو الأبيات المختلفة الأوزان من غير أن يعرفوا أسماءالأوزان وشتى تفاعيلها فــيقولون مــثلا هــذه القصيدة على قرء قفا نبك" وكانت هذه النماذج بمثابة الألحان يعرفون حركاتها وســكناتها ويميــزون صحيحها من فاسدها وبقيت الحال هكذا إلى أن جاء الخليل فاستخرج الأوزان المفعلــة وإذا هــي خمسة عشر وزنا ثم جاء الأخفش بهذه فتدارك عليه وزن " المتدارك" وصارت به الأوزان ستة عشر إلى يومنا هذا.

الشاعر ابن البادية

والأمــر الــذي نلاحظــه أن جميع ما تبقى لنا من شعر الجاهلية إنما هو لأهل نجد والحجاز والبحــرين وما جاور هذه البلاد وأنه من ثم ثمرة بادية أكثر مما هو ثمرة حاضرة وإن تقلب الشعراء فــي ســائر البلاد وضربوا في كل صقع وكل ناحية وهكذا كانت البادية في أصله وفي توجيهه معنى

ومبنـــى. أضـــف إلـــى ذلك أن مجامع الأدب واللغة لم تنقل إلينا من شعراء الجاهلية إلا أسماء نيف وثمانين شاعرا تنشد لهم أبيات أو مقطعات أو بعض القصائد.

الشاعر الجاهلي

صحافي وحكيم وحكم: وهذا يقودنا إلى كلمة نقولها في الشاعر الجاهلي فالشاعر "كما تدل هذه الكلمـــة فـــي العربية هو في الأصل رجل وهب معرفة ما ستر عن العامة وذلك بواسطة شعور خفي يوحـــيه إلـــيه شيطان خاص" ومن هنا أن للشعر صلة بالمدراك الغيبية وصلة بسجع الكهان فالشاعر كالساحر في نظر الجاهليين الأولين وكانوا يرمون بالسحر كل من يأتي بشيء يثير دهشتهم وتنقاد إليه نفوسهم بالتعجب والاستحسان والاصغاء ثم أصبح الشاعر نور وحي وهداية وأصبح الشعر في الذروة العلـــيا مـــن القـــيمة والخطر لأنه ديوان الأمجاد وسجل المفاخر والمآثر وكان الشاعر لسان القوم في الغـــارات والغـــزوات يهيب بهم إلى أخذ الثأر وإلى حماية الجار ودفع كل عار وكان في السلم ساحر الجماهير تنقاد له صاغرة وكان على كل حال "حكيم القوم ومرشدهم وخطيبهم ونائبهم المتكلم باسمهم ... ومـــؤرخهم ... وعـــالمهم ... " وكـــان يعرف أنساب القبلية وأخبارها القديمة ويقف على مأتي عظمائها ويعرف ما لها من الحقوق في المراعي وخطوط تخومها. وكان عليه فوق ذلك بصفته مدركا لمـــواطن الضـــعف النفســـي في القبائل التي تنازع قبيلته ولنقائصهم التاريخية أن يشهر هذه المثالب ويفضـــح هـــذه القبائل ويجعلها موضع خزء وسخرية" وهكذا كان صحافي القوم يخشى جانبه وتسمع كلمـــته ويفتخـــر بـــه ولهذا كانت القبلية إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك وصنعت الطعمت واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الإعراس.

وكانـــت القـــبائل تتجنب ذم الشعراء وهجاءهم لشدة سيرورة شعرهم وبقائه وكانوا إذا أسروا شـــاعرا أخذوا عليه المواثيق وربما شدوا لسانه بنسعة أي بقطعة من الحبل حتى لا يهجوهم كما صنع بنوا تيم بعبد يغوث بن وقاص الحارثي حين أسر يوم الكلاب فقال :

أقول وقد شدوا لساني بنسعة أمعشر تيم أطلقوا من لسانيا

لسان الشهرة والتشهير

وكان الأسياد والأشراف يعنون بالشاعر أشد العناية رغبة في مدحه ودفعا لشره أو توصلا إلى مد سلطان وتكوينا لرأي عام. وكانوا يبذلون كل ما في وسعهم للإتيان بالشعراء إلى بلاطهم ويتنافسون في ذلك أشد المنافسة ويجزلون لهم العطاء من إبل وملابس وحلي وقيان حتى يذيعوا اسمهم في العرب ويعلـــوا من قدرهم فيما بينهم ويخلدوا ذكرهم على مر السنين ويسهلوا لهم طرق الاستيلاء على حركة الأعـــراب فيأمنوا شرهم وغاراتهم على التخوم وعلى طرق القوافل التجارية. وهكذا كان الممدوحون

حريصـــين أشد الحرص على مديح الشاعر ولئن أعيتهم الحيلة ولم يجدوا وسيلة إلى إرضائه باتوا في كآبـــة يخشـــون مغبة الهجاء " وهذا مخارق بن شهاب سيد بني مازن أتاه محرز بن المكعبر النبري الشـــاعر فقـــال : إن بني يربوع قد أغاروا على إبلي فاسع لي فيها فقال مخارق : وكيف وأنت جار وردان بن مخرمة؟ فلما ولى عنه محرز محزونا بكى مخارق حتى بل لحيته فقالت له ابنته : ما يبكيك ؟. فقال: وكيف لا أبكي واستغاثني شاعر من شعراء العرب ولم أغثه؟ والله لئن هجاني ليفضحني قوله ولئن كف عني ليقتلني شكره ثم نهض فصاح في بني مازن فردت عليه إبله"

القصيدة الجاهلية

لقـــد ظهـــرت القصـــيدة فـــي الشعر العربي ظهورا طبيعيا وكانت امتدادا لنغمة البيت الواحد وتكـــرارا موســـيقيا غنائيا جر معه المعاني والصور وقد نسب أدباء العرب بناء القصيدة إلى المهلهل وقالـــوا أنـــه أول مـــن قصـــد الصائد اغترارا منهم أن الشعر حديث السن وانه ابتدأ مع امرئ القيس والمهلهل.

والقصـــيدة الجاهلية عجيبة البناء تولد عند الشاعر تبعا لأحواله النفسية وأحوال زمانه ومكانه وكثيـــرا ما تظهر قسما بعد قسم أو قد يكون الرواة قد حفظواها أقساما يحتفظ كل واحد منهم بأحد تلك الأقســـام وهـــي من ثم تبدو لنا بعد ما جمعت أجزاؤها أبياتا متتابعة تجري على لسان سنن معلوم في الترتيب وفي مجموعة الأفكار وطرائق التعبير والتصوير والتشبيه . وكأن هنالك سنة التقليدية كما كان لســـجع الكهان سنة وطرائق خاصة في التعبير والتصوير وكانت تلك السنة متبعة اتباعا لا يكاد يحيد عـــنها شاعر وكان تركيب القصيدة على تلك الطريقة المثال الأعلى لكل من نظم الشعر وأطال النظم وكأني بالعلاقة بين الأبيات علاقة شعورية ذكرية أكثر مما هي تفكيرية عقلية.

تفتتح القصيدة عادة بالوقوف على الأطلال واستيقاف الصحب وذكر الأحبة وذلك أيا كان نوع القصـــيدة وأيا كان غرضها. وقد أوحت البيئة إليهم بهذا الافتتح الكئيب الرتيب كما أوحت الموثولوجيا اليونانية لشعراء اليونان والرومان ومن أخذهم باستيحاء بنات الأولمب فحياة العرب في الجاهلية قاسية وآفاقها صحراوية تمتد امتداد الآل فوق الرمال وقلوبهم خفاقة بالذكرى شديدة التأثر والانفعال والعرب قـــوم تـــرحال دائم ينتجعون المرعى ويؤمون تلك البقاع من الأرض التي تحفظ قدرا من مطر السماء فينبت عليها العشب الذي ترعاه إبلهم ونوقهم وهنا يبقون حتى سنفد المرعى ويأكل حيوانهم كل العشب فيضـــطرون إلـــى الرحلة إلى مكان آخر لا يزال به غنيا وتختلف مراعيهم بطبيعة الحال بين فصول الســـنة المختلفة . فلربما اتفق أنهم في أثناء ترحالهم الدائم مروا من جديد ببقعة كانوا قد حلوا فيها من زمن سابق فيقفون هنالك برهة يعتبرون فيها ويتأسون ويتذكرون ماضي حياتهم وسالف رفاقهم. وهكذا

نشـــأت السنة الشعرية القديمة من بدء القصيدة باستيقاف الصحب على الأطلال الدور المهجور وذكر الأحبة"

وبعـــد هذه الفاتحة التي تمتزج عند الشاعر بماء العينين والتي سموها نسيبا ينتقل الشاعر إلى ذكـــر رحلة قام بها على ظهر ناقته وعانى فيها من الأهوال ما تضرب به الأمثال ولا غرابة في ذلك فلـــبلاد حافلـــة بالصـــعوبات والمشقات : فياف شاسعة مجدبة ورمال لا نهاية لامتدادها وجبال وعرة جرداء وعطش محل وسراب وآل ووحشة وانتقال وسموم وحرور وأهوال ومن آلم ما يواجهه المسافر فـــي الصحراء قيظها وشدة حرها. وكم عانى الشعراء مثل تلك المشقات وهم على ظهر ناقتهم "سفينة الصـــحراء" وبصحبة بعض الرفاق الذين لا يؤمن السفر بمعزل عنهم. والناقة أصلح مركب للصحراء لصبرها على العطش وشدة بنياها وهي الحيوان الأصيل لبلاد العرب قبل الخيل التي يعد اقتناؤها من الأمور المالية والتي لم يكن يحوزها إلا صاحب اليسر في العيش.

والـــرحلة شـــديد اللصوق بالناقة أو الفرس أحيانا ولهذا ترى الشاعر يتوقف في قصيدته عنه الناقة أو الفرس. فيصفها ويمعن في وصفها. كيف لا وهي أحب إليه من حبيبه أو هي تأتي رأسا بعد الحبيب وبم يصفها ؟ بالسرعة والشدة وعظم البنيان والشعور مع الراكب وبغير ذلك.

والإنـــدفاع فـــي الفلوات مغامرة لا حد لها قد تميل بالشاعر إلى ضروب من الملاهي كالصيد والشـــراب والميسر وصيد الظباء والمها من أمتع ما كان ينصرف إليه الجاهلي. وشرب الخمرة كان شـــائعا في بعض مجتمعات العرب وأحسن الخمور ما استقدم من الشام والعراق. والميسر هو القمار وكان في الجاهلية أنواعا كثيرة.

ثم ينطلق الشاعر في عالم الذكريات والمشاهد ويرى نفسه على مسرح الوجود فيقف عند ذاته وكـــم لـــه في الذات رؤى وإيحاءات فيذكر بطولته وشجاعته وينشر ما طوى في ذاته وفي قبيلته من أمجاد والأعرابي وهو شاعر صبي في خلقه وينطوي تحت دعته الظاهرة من التقلب ما لا يشاهد مثله إلا فـــي الأولاد ... وهو كهؤلاء لا يتأثر إلا بعامل الساعة التي يكون فيها ولا تستهويه سوى ظواهر الأمـــور ويبهـــر الضـــجيج والضوضاء والبهرج وفي افتتانه سر اجتذابه وهكذا يتدفق فخرا ووصفا واعتـــرافات شـــتى حتى إذا بلغ آخر القصيدة أتى على ذكر غرضه منها كأن هذا الغرض ليس غاية القصيدة بل كأنه قسم منها أو طرف من أطرافها. وقد يكون تغنيا بقبيلة أو وسفا لمشهد أو هجاء لخصم أو مديحا لعظيم أو ما إلى ذلك.

وهكذا ترى القصيدة نبرات عاطفية واهتزازات نفسية وسلسلة من انفعالات وتفاعلات وهي من ثـــم غنـــية بالعاطفة التي تخرجها لغة محبوكة متينة الرصف إلا أنها فقيرة في الأفكار المبتكرة الطلية

وعليه فهي قليلة الغناء من حيث أنه أدب عام مشترك يتذوقه الناس في كل صقع ومن هنا تفقد هذه الأشعار الجاهلية قيمتها حين تترجم إلى لغة أجنبية لأن العنصر الشخصي فيها قوي والمهم فيها هو الناظم لا المنظوم والفكرة الرئيسية واقعية والأفق محدود والنظرة إقليمية بحتة فإذا تغنى الشاعر بجمال المرأة فإنما هو يعني فتاته الخاصة واذا وصف فرسا أو ناقة فمن خيله وإبله ومن هذه الناحية فالشاعر العربي يحاكي الأغنية البلدية القروية من الشعر الوصفي عن الإغريق.

أغراض الشعر الجاهلي

قال بعضهم في بعض المغالات " ليس أحد من العرب إلا وهو يقدر على قول الشعر طبعا ركب فيهم ... " وقال غوستاف لوبون : "إن الأعراب الأجلاف بعاداتهم شعراء بتصوراتهم ويندر أن يكون الأعرابي غير شاعر" وهكذا عبر الجاهليون بالشعر عن شتى أحوالهم وضمنوه مختلف أغراض حياتهم فكان عبر الجاهليون بالشعر عن شتى أحوالهم وضمنوه مختلف أغراض حياتهم فكان ديوان فخر ووصف وغزل ومدح ورثاء وهجاء وخمر وزهد وحكمة.

1 – **الفخر**: كان مرد الفخر عند الجاهلي إلى العصبية القبلية والحياة الفطرية. أضف إلى ذلك أن حياة الجاهلي الخشنة قد انعكست على نفسه قوة وصرامة وجلدا ولاسيما وإنها كانت حياة حافلة بالأخطار وقد خلعت الصحراء بقوانينها الصارمة على العربي مجموعة من الصفات والفضائل النفسية ملأت صدره فانفجرت شعرا فخريا وحماسيا كان صدى طويلا لما يجيش في النفوس.

وأول ما تغنى به الشاعر الجاهلي في فخره الشجاعة لأنها كانت سبيل الوحيد للحياة في تلك البيئة الخانقة. والشجاعة صبر وجلد وإقدام وهي تقتضي أن يكون العربي ناحل الجسم قوي العضلات خفيف الحركة ذا عزيمة وحزم لا يتردد ولا يتقاعس ولا يتشكى.

والشجاعة شعور بالمسؤولية الفردية والجماعية والشاعر شديد الفخر بالفرد والعطاء وإكرام الضيف وتحمل الديات وفض الخصومات لأنه بها ينزل وعشيرته منزلة رفيعة. وهو إلى ذلك يقف في المفاخرات والمنافرات وكأن القبيلة قد تجسمت فيه ونطقت بلسانه فينطق كلامه مدويا شديد الوقع والإيقاع تزخر فيه الأمجاد وذكرى الأيام والوقائع.

والشجاعة نفور من كل ضغط وظلم وعار وإنك إذا قرأت الشعر الجاهلي وجدته حافلا بالإباء وتأبى المذلة والمذمة. قالت الخنساء:

نهين النفوس وبذل النفوس يوم الكريهة أبقى لها

ثـــم إن الشجاعة هي الغرام بالحرب وأدواتها والخيل وصهواتها. وكان الجاهلي شديد التغنى بسلاحه وللسيف والرمح والسهم والدرع محل واسع في فخره. وكذلك كان للخيل محل واسع في الفخر الجاهلي وذلك أنها معاقلهم التي يلجأون إليها إذا جد الجد. قال لبيد :

معاقلنا التي نأوي إليها بنات الأعوجية والسيوف

ومـــع الشـــجاعة تغنى الجاهلي بالكرم وفخر بكثرة النيران لأنها أعظم برهان على الأطعمة ولأنهـــا دليل للضيوف يقصدونها ولذلك سميت نار القرى وفخر بكونه يحسن استقبال الضيوف ويبذل النفس والفيس وبنزل نفسه منهم منزلة العبد قال حاتم الطائي:

وإني لعبد الضيف ما دام نازلا وما شيمة لي غيرها تشبه العبد

وإلـــى جانـــب هذا فخر الجاهلي بالحلم والعفو عند المقدرة وفخر كذلك بالوفاء والإبتعاد عن الغـــدر لأنـــه رفيع النفس أبيها ولأنه كريم متلاف وفخر بحماية الضعيف وإغاثة الملهوف فهو يحمي النساء الأطفال ويحمي الجار ولو جار ويعز حلفاءه والمتحرمين بجواره قال السموأل مفاخرا:

وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل

وهكذا كان الجاهلي يفخر بعزة الجار وتلبية دعاء المكروب في الحرب بدون تردد أو سؤال قال وداك المازني:"

مقاديم وصالون في الروع حطوهم بكل رقيق الشفرتين يمان
إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم لأية حرب أم بأي مكان

2 – الوصـــف: والجاهلـــي رجـــل رقت مشاعره فكان كتلة أعصاب تهتز لكل مشهد وتـــتفاعل مـــع كل مظهر. ومن ثم كانت انطباعاته واسعة النطاق وعميقة الأثر من الناحية الشعورية وشديدة اللصوق بالواقع المحسوس لا تتعداه إلى التأمل الفكري البعيد المدى. ولما كان كذلك ولما كان ســـريع الاعتـــراف بالشعور، سريع الجواب سريع الاندفاق فقد عبر عن كل ما سمع وما شاهد بشعر وصـــفي تـــناول فـــيه الطبـــيعة في شتى عناصرها من جماد وحيوان ونبات وإنسان وتناول الطبيعة المصـــطنعة التـــي كيفـــتها يد الانسان وأقامت منها قلاعا وحصونا وما إلى ذلك مما ينطق به الشعر الجاهلي في غلوه البدائي وحماسته الطفولية.

أجـــل أكثـــر الجاهلـــيون من الوصف ولكنه وإن كان كثيرا لا يصور لنا البيئة تمام التصوير لأســـباب وإنـــنا ســـنتوقف عند بعض الموضوعات لنبين بعض المعاني الوصفية التي وردت في ذلك الشـــعر معتمدين خطة الإيجاز والتلميح. ولا بد هنا من الإشارة إلى أن المعاني الوصفية في الجاهلية

تكاد تنحصر في نطاق ضيق مما يدل على خيال مقلد مكرر أكثر مما هو مبتكر. أما الطلول فقد وصفها أكثر الشعراء وهي عندهم محل الحب والذكرى وهي عندهم مرتع الغزلان والوحوش وميدان للرياح والأنواء ودار للبلى والفناء. وأما الليل فقد وصفوه بالطول وتلاطم الهموم فيه فكأن نجومه شدت إلى راسيات الجبال. وأما المطر فوصفوا سحابه وبرقه وانهاره وفعله في الأرض والنبات والحيوان.

وأما الصحراء فهي في شعرهم مثل ظهر الترس موحشة شديدة الفيظ واضحة الأفراب أي الجدب والأطراف يسبح الآل في رمالها وكذا وأما الناقه فهي قنطرة رومية شديدة مفتولة العضلات نجيبة ضامرة سريعة السير وهي مروصه مثل رهن الإشارة اي هي كاملة الأعضاء تامة التكوين صلبة الهيكل.وهي لا تشعر بتغير الجو وشدة الحر وهي من ثم خير ما يقتنيه البدوي لأسفاره في الفلوات. وقد أطنب الجاهليون في وصفها إطنابا عجيبا وافتنوا في تصويرها وتصوير أعضائها وسيرها افتنانا لا يدع زيادة لمستزيد وكان طرفة بن العبد من أشهر وصافها.

وأما الفرس فهو في شعرهم كريم ضخم الهيكل مكتنز اللحم يصب عدوه صبا وهو ضامر الجسر عظيم الأضلاع ممتلئ الجنبين وهو يطوي الأرض طيا يزداد نشاطا كلما ازداد عدوا. ومجمل قولهم فيه يعود إلى النشاط والسرعة وكرم الأصل. وقد شبهوه بالعقاب وشبهوا كل جزء منه بما يوضح القوة والاكتناز والشدة والسرعة قال امرؤ القيس:

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

هذا بعض ما وصفه الجاهليون وتلك بعض معانيهم وهي في أكثرها تشبيهات وتمثيلات حسية حافله بالحركة ناطقة بالقوة التي يتعشقها ابن الصحراء وللجاهلي ميل خاص إلى التشبيه التمثيلي والاستدارة التشبيهية التي يطلق فيها الخيال الحسي فيجول في ميادين المقارنات المادية البعيدة عن التحليل العميق وعن الفن الذي يشذب ويختار. إنه اندفاق طفولي مغرم بالألوان الظاهرة والمسموعات الشديدة الإيقاع.

3 – الغزل: والغزل ذو نشوء طبيعي في الجاهلي وكانت النساء سافرات لا يتبرقعن ولا يتحجبن عن أنظار الجنس الآخر إلا ما كان هنالك من بعض التلثم. والنساء أنواع منهن الحرائر المتصونات ومنهن المتبذلات. والميل بين الجنسين أحدهما إلى آخر ميل طبيعي غايته وكماله الزواج. وكان تعدد الزواجات وإباحة ما في ملك الرجل من الإماء شائعا في الجاهلية. والميل يظهر بالحب والولع بالجمال. والحب والولع يقودان إلى التغني بمظاهر ذلك الجمال. وهذا التغني هو الغزل ويدعى النسيب والتشبيب قيل بل التشبيب ذكر أيام الشباب واللهو والغزل وذلك يكون في ابتداء قصائد الشعر.

والحمـــال عند العرب الأقدمين هو اعتدال القد وذبول العينين السوداوين واحمرار الخدين وابيضاض اللون وثقل الردف ونحول الخصر وطول الجيد وقد جاء تلخيص ميزات الجمال الجاهلي الذي تغنى به الشـــعراء فـــي كلام ينسب إلى [illegible] من كندة تلك أرسلها الحرث بن عمرو ملك كندة لتختبر له جمال ابنه عوف ابن محلم الشيباني وكمانها وغرة عفيها "لما رجعت اليه قالت"رأيت جبهة كالمرآة المصقول يـــزينها شـــعر حالـــك كذنب الخيل إن ارسلته خلته السلاسل وان مشطته قلت عناقيد جلاها الوابل وحاجبين كأنما خطا بقلم أو سوادا بفحم تقوسا على مثل عين ظبيه عبهرة بينهما أنف كحد السيف حفت بـــه وجنتان كالارجوان في بياض كالجمان شق فيه فم كالخاتم لذيذ المبسم فيه ثنايا غر ذلت أشر نضب فـــيه لســـان ذوا فصاحة وبيان بعقل وافر وجواب حاضر تلتقي فيه شفتان حمراوان في رقبة بيضاء كالفضـــة ركبت في صدر كصدر تمثال دمية وعضدان مدمجان يتصل بهما ذراعان ليس فيهما عظم يمس ولا عرق يجس ركبت فيهما كفان دقيق قصبهما لين عصبهما تعقد إن شئت منهما الأنامل ... " هذا كان المثال الأعلى في الجمال عند أبناء الجاهلية وهذا ما وصفه شعراءهم.

والجاهلـــي يصف حبيبته كما يصف ناقته أو فرسه. يحاول تصويرها بأسلوب التشبيه فينعتها بكـــل مســـتحب لديـــه ويشبهها تشبيها حسيا ماديا ويكثر من التشبيه والتصوير ويكثر من النعوت ما اســـتطاع بـــذلك عمـــا يعجـــز عن تبيانه من خوالج النفس ولواعج الصدر وإن تعدى ذلك فإلى ذكر الأحاديـــث والوقائـــع الغرامية وإلى طلب الوصال والكف عن القطيعة وإلى وصف سطحي من آلام النفس وتراكم الهموم.

4 – المـــدح: العظمـــاء وأرباب السلطان طائفة من الناس تميل إلى أن يتغنى الناس بمناقبها. وكان الجاهليون والأقدمون عموما أشد ميلا من غيرهم إلى هذا النوع من التفخيم ونشر المناقب. وقد بينا كيف كان العظماء يتنافسون في استقدام الشعراء في تكريمهم ومدهم بالمال والنعم. وكان الشعراء يطرئونهم ويذيعون أعمالهم في العرب ويساعدون بذلك على مد سلطانهم. وكانت معاني المدح تنحصر في الكرم والجود والقوة والحلم وما إلى ذلك.

5 – الرثاء: هو البكاء على الميت وكان تشييع الميت عند العرب البادية بمشي الأقارب خلف الجـــناز حفاة وبحل النساء شعورهن وتلطيخ رؤوسهن بالرماد. وقد يحلق النساء رؤوسهن حزنا على الميت. ثم تستأجر النائحات ليظهرن شعار الحزن والحسرة ويذكرن للميت محاسن من حيث كان ... من هده العادات والتقاليد ومن لوعة النفس الصادق استقى الجاهليون معانيهم الرثائية ومزجوها بالمدح والتهديد وطلب الثأر.

6 – الهجاء: كان للهجاء في الجاهلية وقه شديد لشدة سيرورة الشعر. وكان يلجأ إليه الشعراء ليساندو به شجعانهم في الحرب ويرفعوا من شأن قبيلتهم ويردوا التعبيرات. انهم يهاجمون به العدو فيجردونه من الصفات التي كانوا يفخرون بها ويلحقون به الذل والعار. فهو حقير دنيئ النفس جبان بخيل ذليل الجار له في صفحة الدهر أيام سود ووقائع جرت الويل على قومه والصغارة على شرفه وحرماته.

7 – الخمر: أن العرب في الجاهلية قد عنوا بالكرمة ما يستخرج منها. وكانت الكروم في الطائفة وبيادر العنب مشهدا طالما استهوى الأعراب في بوادي تهامة. قال فيليب حتي: " أما خمر الطائفة فقد كان برغم كثرة الطلب عليه أقل ثمنا من النوع الأجنبي الذي كانوا يستقدمونه من الشام والعراق ويشهرونه في الشعر العربي" "وكان باعة الخمر في الجاهلية ينصبون رايات ليعرف مكانهم ويسمونها الغاية. وكانت العرب تفتخر بشربها وبلعب القمار لأنهما من دلائل الجود عندهم. وقد بلغ تولعهم في شرب الخمر ما فعله أبو غبشان إذ باع مفاتيح الكعبة بزق خمر. ثم إن تفننهم في أوصافها أوجبهم أن يسموها بأسماء كثيرة في أشعارهم"

كان إذن من الطبيعي أن يتناول الشعراء الخمرة ويصفوها ويصفوا مجالسها وغدوهم إليها قبل أن يصيح الديك وشربها وآنيتها ومفعولها في النفس. قال عدي بن زيد:

بكر العاذلون في وضح الصبـ ـح يقولون لي أما تستفيق؟

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت قينة في يمينها إبريق

قدمته على عقار كعين الديـ ـك صفى سلافها الراووق

مرة قبل مزجها فإذا ما مزجت لذ طعمها من يذوق

وطفا فوقها فقاقيع كاليا قوت حمر يزينها التصفيق

ثم كان المزاج ماء سحاب لا صدى آجن ولا مطروق

8 – الزهد والحكمة: لا شك أن في الطبيعة البشرية حنينا إلى عالم روحاني يسمو عن المادة وشرها. وقد ظهر هذا الحنين عند الجاهليين ظهورا جليا عبروا عنه بأساليبهم الخاصة وسطحيتهم المعهودة فكان لهم حكمة تتصل بما وراء الطبيعة وكان لهم شعر تدين وكان لهم أخيرا شعر حنيفي.

أما حكمتهم فثمرة تجربة واختبار وهي موجز القول سطحية المضمون ضعيفة الصلة بالعالم الروحاني ولا تعدو ما يقع تحت الحس من الموت واختزام المنية الأنفس وموت الشاب الصغير وبقاء الشيخ الهرم أما شعر التدين فقد كانت الغلبة فيه للعنصر الخلقي الروحي في المسيحية وقد "حفظت لنا

نصـــوص هـــذا الشعر شيئا عن المسيحية يعتبر أكثر مما حفظت عن أي دين آخر من أديان الجاهلية ولعل هذا يرجع إلى أن المسيحية من أكثر الأديان التي سادت الحياة الجاهلية إغراقا في الروحانية من ناحـــية وإلى أن سلطتين قويتين عملتا على نشرها والمحافظة عليها من ناحية أخرى هاتان السلطتان هما الرمان في الشمال والأحباش في الجنوب. وقد استطاع الرهبان النصارى بانتشارهم في الصحراء وعكـــوفهم على العبادة وانصرافهم عن المادة أن يسترعوا نظر الشعراء الجاهليين أكثر من أي مظهر ديني آخر".

وأما الشعر الحنيفي فكان من جملة الحركة التوحيدية الفكرية المستقلة التي تزعمها جماعة من المفكـــرين الموحدين لقبوا بالحنفاء وقد أبوا أن يقبلوا اليهودية والنصرانية كما هما بل اكتفوا بعبادة الله لا شـــريك لـــه مع اتباع عادات قومهم واتخذوا لهم اماما ابراهيم الخليل كليم الله الذي كان على أصل التوحـــيد الكتابي المنتشر في العالم والجزيرة العربية وكانوا يكثرون من الأسفار إلى ديار النصرانية والاتصـــال بعلمائها " وقد جعلوا وجهة أكثرهم أعالي الحجاز وبلاد الشام وأعالي العراق أي المواضع التـــي كانـــت غالبية أهلها على النصرانية يومئذ وجعلوا أكثر كلامهم وسؤالهم مع الرهبان" وكان من هؤلاء المتحنفون شعراء أعرضوا عن الدنيا فكان شعرهم تمثيلا للنزعة الفردية الروحانية. قال زيد بن عمرو بن نفيل وهو ابن عم عمر بن الخطاب ومن أصحاب التحنف:

وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخرا ثقالا

دحاها فلما رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبال

وأسلمت وجهي لمن أسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا

إذا هي سيقت إلى بلدة أطاعت فصبت عليها سجالا

المعلقات السبع

وهي أشهر القصائد الجاهلية وقد اختلف العلماء في جمعها وتسميتها. أما التقليد العربي فهي أنها سبع قصائد جمعها الجاهليون لاستحسانهم إياها. فكتبت في القباطي بماء الذهب وعلقت على أستار الكعبة. هذا ما ذهب إليه ابن عبد ربه وابن رشيق وابن خلدون وغيرهم. إلا أن أبا جعفر النحاس قد أنكر هذا الرأي وذهب إلى أن حماد الراوية هو الذي جمع هذه القصائد وسماها المعلقات في مطلع القرن العباسي وذهب مذهبه كثيرون من العلماء المحدثين ولا سيما المستشرقين منهم فرأى بلاشير أن عدة مجموعات من الشعر ظهرت في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) بفضل علماء العراق كان مصدرها المجموعات الشعرية التي عرفت عند القبائل ولا يحتوي المنتخب منها في بدء الأمر سوى ست أو سبع قصائد حتى غلب العدد الأخير لما لعدد السبعة من الأهمية والتقديس عند الساميين عامة والعرب خاصة. ثم كانت جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي في أواخر القرن الثاني للهجرة وفي مقدمتها المعلقات وهكذا ظهر اسم المعلقات منذ ذلك القرن.

ويشك بلاشير في رواية صاحب الجمهرة وينسبها إلى حماد الراوي وهو يقول " يظهر أن علماء العراق في القرن الثالث للهجرة كانوا يجهلون أصل التسمية والأسطورة التي رافقتها فلم يشر إليها ابن الكلبي ولا مؤرخو مكة ولا من ورد ذكره من الأعلام في كتاب الأغاني. ولما جاء المستشرقون وقفوا الموقف ذاته مستندين على حجج تاريخية بيد أنهم يترددون في قبول معنى المعلقات .

ولكن هذه الآراء والبراهين غير مقنعة وليس عندنا من الأدلة ما يسقط التقليد العربي ويخرج المعلقات عن كونها قصائد استحسنت في الجاهلية وكتبت على القباطي وعلقت على أستار الكعبة أو في مكان آخر تقديرا لأصحابها واعترافا بجودتها. ثم إن ما ذكره أبو جعفر النحاس من أن حماد هو الذي جمع السبع الطوال لا يمنع أن يكون حماد قد جدد جمع ما سبقه إليه الأولون. أضف إلى ذلك أن البغدادي روى في خزانته عن معاوية بن أبي سفيان أنه قال: "قصيدة عمرو بن كلثوم وقصيدة الحارث بن حلزة من مفاخر العرب كانتا معلقتين بالكعبة دهرا".

زد على ذلك أن للشعراء في الجاهلية منزلة رفيعة تقرب من النبوة أو السحر أو ما إلى ذلك وأن للشعر في نفوس القوم تقديسا واحتراما فليس من العجيب أن يعلق الجيد الطويل منه على أستار الكعبة. وتعليق مثل هذه الكتابات في الكعبة أمر مألوف عندهم. ذكر محمد بن حبيب عن حلف الخزانة لعبد المطلب قال: "وكتبوا بينهم كتابا كتبه لهم أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة ... ثم علقوا

الكـــتاب فـــي الكعبة" وجاء في سيرة ابن هشام أن قريشا كتبت صحيفة عندما اجتمعت على بني هاشم وبنـــي المطلـــب ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم. وتعرف بأسماء مختلفة منها "المعلقات السبع" و"السبع الطوال" و"المذهبات" و "السموط". وأما أصحابها أمـــرؤ القـــيس بن حجر الكندي وطرفة بن العبد البكري وزهير بن أبي سلمى المزني ولبيد بن ربيعة العامري وعمرو بن كلثوم التغلبي وعنترة بن شداد العبسي والحارث بن حلزة اليشكري.

والمعلقـــات فـــي نظرة الأدباء أروع ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي وأصدق شاهد على البيئة الجاهلية في شتى معانيها ومختلف مناحيها قال ابن رشيق القيرواني في كتاب العمدة : "إنما مـــثل القدماء والمحدثين كمثل رجلين ابتدأ بناء فأحكمه وأتقنه ثم أتى الآخر فنقشه وزينة فالكلفة ظاهرة على هذا وإن حسن والقدرة ظاهرة على ذلك وإن خشن".

UNIT – VII

(CHARACTERISTICS OF PRE – ISLAMIC POETRY)

الباب السابع

خصائص الشعر الجاهلي

1 – مقطـوعات وأبـيات: إن مـن استقرأ الشعر الجاهلي يجده في أكثره مقطوعات وأبياتا وليس للقصيدة المحل الواسع بالنسبة إلى تلك المقطوعات والأبيات المتفرقة. والسبب في ذلك أن أكثـر شـعراء الجاهلية عاشوا في بيئة قلقة مضطربة لا تستقر على حال ولا يهدأ فيها بال. فتقطعت أوصال العبقرية الشعرية وراحت ترسل الأبيات مسترقة الوقت استراقا متنفسة تنفسات متقطعة إلا عند بعـض الشـعراء الذين ملكوا زمام أوقاتهم وأتاحت لهم فرصة حياتهم أن يطيلوا ويسهبوا في الإطالة الشـعرية من مثل امرئ القيس وزهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني. وإنك إن تتبعت القصائد نفسها وجـدتها في حقيقة تكوينها مقطوعات متتابعة لا قصائد متساوقة في أبياتها وأجزائها. فالشاعر الجاهلي رجل بدائي رجل انفعال وتفاعل لا رجل تفكير يفجر الفكرة ثم يلاحقها محللا مفصلا بانيا على تصميم وهندسـة بنائـية. فافكرة تنبت عنده نبتا يتبع الانفعال والتفاعل. وهذه الفكرة تخرج إلى حيز الكينونة الفعلية وكأنها مستقلة عن كل سابق ولاحق ثم تنطلق مجسمة مضخمة في موسيقى صوتية ترتاح إليها عصـبية الشـاعر ميله إلى القوة والقعقعة. ثم تأتي فكرة ثانية فتدفع الأولى دفعا فيصبح الشاعر فيها فحملته وكأن ما سبق أو ما لحق ليس منه ولا له. فهو ابن الفكرة الحاضرة والانفعالة الحاضرة لا يمتد بنظـره وعقلـه إلى أمام أو وراء ولا يتطاول بشخصيته إلى كل كامل بل تهمه الجزئيات لأنه مقطع أوصال الإحساس العميق المستبد. وهكذا فالجزئيات المنفجرة مع الانفعالات واللمحات الملتمعة كالبروق والخفقات والوعيية النابضة تلك مجموعة شعر الجاهليين بوجه الإجمال.

خـذ مثلا معلقة عنترة بن شداد وقلبها صفحة صفحة وتتبعها جزءا جزءا. ماذا تجد فـيها؟ إنك تجد قسما إفتتاحيا قائما بالوقوف على الطلول يتبعه وصف لعبة ثم وصف للناقة ثم فخر أو سلسلة من الافتخارات في موضوعات شتى غير متسلسلة ولا متساوقة. فكل قسم قائم بنفسه مستقل عن غيـره استقلالا يكاد يكون كاملا. وفي كل قسم أبيات متتابعة قلما تجد فيما بينها تلاصقا وتلاحقا. إنها نبـرات عاطفـية والـتماعات فكرية تسبقها العاطفة وتفجرها تفجيرا. وهكذا نستطيع أن نخرج بحكم إجمالي على الشعر الجاهلي خلاصته أن ذلك الشعر يخلو من البناء.

أضـف إلـى ذلـك أن شعرا يخضع لقانون الانفعالية الطارئة كالشعر الجاهلي يحفل بالمتناقضات الفكرية والتصويرية ففيما ترى امرئ القيس مثلا يحدثك عن الليل ورهبته بتضخيم وتفخيم تراه يعلق النجوم بأمراس من كتان وفيما تراه يشبه الفرس بكل شديد سريع تراه يشبهه أيضا بألاعيب صبيانية تتضاءل أمام العظمة الفرسية التي يرفعها أمام النظر والسمع والقلب وفيما ترى طرفة يحدثك

عــن قــوة ناقــته واندفاقها التلقائي السريع يعود فيحدثك عن شربه لتلك الناقة حتى تسرع وتشتد في السرعة

وفضلا عن ذلك فالخضوع لقانون الانفعالية يقود الى فتور يحاول الشاعر أن يستعيض عــنه بتضــخيم والإكــثار من النعوت والإكثار من الألفاظ وكأني بذلك الشاعر قد اعجبه الإحساس الطارئ الذي مر فأراد أن يقف بعد مروره وقوف الطفل الساذج فبعيد عليه الكرة اثر فتور ويحاول أن يذكــيه بعد خمود فينقطع النفس المحيي الفعال وتتدفق الأقوال على فراغ في العمق وتتزاحم التشبيهات تزاحما كما نلمس ذلك في وصف طرفة بن العبد لناقته وفي وصف امرئ القيس لفرسه.

2 – **النــزعة الإنفرادية القبلية:** وهناك نزعة تلفها مسيطرة على الشعر الجاهلي هي نزعة الانفرادية الذاتية التي تمتزج فيها الذاتية بالشخصية القبلية عند الشعراء غير المنبوذين من القبيلة وتتضــخم فيها الذاتية الفردية عن المنبوذين. فالشاعر الجاهلي شأن البدائي أناني إلى حد بعيد لا يكاد يــرى مســرح الوجــود إلا ذاته ماثلة أمام عينيه في نفسه منفردة أو متلبسة القبيلة والعشيرة. ولنسمع الدكــتور يوسف خليف يوضح لنا هذه النزعة عند الشعراء الصعاليك وغير الصعاليك فيقول: "تسجل ظاهــرة أساسية في الشعر داخل دائرة الصعلكة وهي ظاهرة التحلل من الشخصية القبلية وهي ظاهرة ليست غريبة على شعر الصعاليك لأنها تتفق وفقد التوافق الاجتماعي بين الصعاليك وقبائلهم مما ترتب عليه فقد الإحساس بالعصبية القبلية في نفوسهم. ومن الطبيعي ألا تظهر شخصية القبلية عند شاعر فقد إحساسه بالعصبية القبلية ومادامت الصلة بين الشعراء الصعاليك وبين قبائلهم قد انقطعت اجتماعيا فمن الطبيعي أن تنقطع فنيا. نعني بانقطاعها فنيا تحلل الشاعر الصعلوك من ذلك "العقد الفني" الذي نراه بين الشــاعر القبلي وقبيلته فلا يكون الشاعر الصعلوك "لسان عشيرته" لأن ما بينه وبين شعره قد انقطعت ولا يكون شعره "صحيفة قبيلته" لأنه لم تعد له قبيلة وإنما يصبح شعره صورة صادقة كل الصدق من حــياته هــو يســجل فــيه كل ما يدور فيها ويصبح ضميره الفرد "أنا" أداة التعبير فيه بدلا من ضمير الجماعة "نحن" هو أداة التعبير في الشعر القبلي وتصبح المادة الفنية لشعره مشتقة من شخصيته هو لا من شخصية قبيلته. ومعنى هذا أن ظاهرة "الفناء الفني لشخصية الشاعر القبلي في شخصية قبيلته" التي نلاحظها بوضوح عند "أصحاب المذهب القبلي" في الشعر الجاهلي قد اختفت من مجموعة الشعر داخل دائــرة الصــعلكة وحلت محلها ظاهرة أخرى يصح أن نطلق عليها " ظاهرة الوضوح الفني لشخصية الشــاعر الصعلوك" ولكن شخصية الشاعر الصعلوك شخصية يشاركه فيها أفراد جماعته لأنهم جميعا يؤمــنون بمــذهب واحــد ويدينون بعصبية مذهبية واحدة. ومن هنا كانت شخصية الشاعر الصعلوك "شخصــية جماعــية" ولسنا نقصد بالجماعية فناء الشاعر الصعلوك في جماعته فناء يشبه فناء الشاعر القبلي في قبيلته. وإنما نقصد بها ذلك التشابه في الشخصيات بين أفراد الصعاليك.

وهكذا نرى الشاعر الجاهلي القبلي يتكلم باسم الجماعة ولاسيما وقد أحلته شاعريته من القبيلة مركز رئاسة وقيادة وتوجيه وأحلته "صحافيته" محل المطلوب والمرهوب والموهوب ونفخت في نفسه العصبية أمجاد الماضي وعزة الحاضر وعصفت به العنجهية الصلبة القائمة على قانون القوة وضخمت صوته وأعلت لهجته وأسكرته بالكبرياء البدائية الساذجة وحملته على المغالاة الكاذبة التي تتخطى أحيانا كثيرة حدود العادي بله المعقول. وهكذا نسمع السموأل يقول:

وإنا لقوم لا نرى الموت سبة إذا ما رأته عامر وسلول

ونسمع عمرو بن كلثوم يقول:

متى ننقل إلى قوم رحانا يكونوا في اللقاء لها طحينا

3 - **نزعة التقليد :** لا شك أن للحياة القبلية تأثيرا شديدا في ربط الشاعر بالماضي فهو دائم التطلع إلى الوراء. أضف إلى ذلك أن البيئة الصحراوية وحالة الطفولة البدائية قيدتا العقل والخيال بقيود التقاليد وحالتا دون انفجارهما الجري في ميادين الابتكار فأصبح ما جرى وما كان سنة يتمشى عليها الانسان شاعرا كان أم غير شاعر. وكان الزعماء والرؤساء والرأي العام إلى جانب التقليد فدرج الشعراء على نظام واحد قلما يتغير ويتحول وانطوى الابتكار التقدمي في الرتابة السهلة التي لا تقتضي جهدا عقليا خاصا وفي الرضى القبلي الذي لا يتطلب ولا يتقلب وانقاد الشعر وكأن القصيدة تأليف متفق على نظامه ومعانيه وأسلوبه وكأنه أقسامه ثابتة لا تتبدل.

4 – **المادية المسيطرة:** حياة الجاهلي حياة عارقة في المادة لا يتجلى لها الوجود إلا من خلال المادة وذلك أن ضائقة العيش وقسوة الأرض والسماء وتوافر الأخطار والمحدقة كل ذلك دعا الجاهلي البدوي إلى أن يمعن في التطلع إلى المادة ثم إن البداءة البدوية لم تكن لتدرك شيئا أو تعبر عن شيئ إلا من خلال المادة وذلك لأن القوى الإدراكية والتعبيرية عند البدوي لم تكن بعد من الرقى بحيث تستطيع الاعتماد على التجريد والانطلاق في عالم المعقولات والمدركات ونحن نعلم أن أكثر شعراء الجاهلية أهل بداوة لا أهل حضارة ولهذا سيطرت المادية على مجمل شعرهم فكانت في مصدر إيحائهم وكانت في موضوع قولهم وهندسة بنائه وكانت أخيرا في مادة تعبيرهم وتخبيرهم.

وهكذا قلما تجد الشاعر الجاهلي في عالم المجردات. فالحب عنده ميل خفي يتجسم في وصف محاسن المرأة الجسمية والكرم عنده نار مشبوبة وكلاب لا تنبح في وجه الضيف ومآكل ومشارب مفضلة الجوانب وضيفان تذهب وتجيئ والشجاعة عنده ضرب سيف وطعنة رمح وكرة فرس والشرف عنده نساء مصونات وعدو مقتول والعزة عنده جار محصن ومضارب في مشارق الأرض ومغاربها ... وهكذا كان أكثر كلامه في مادة الفرس والناقة والمطر والمواقع وما إلى ذلك. وهو إن

عالج عالم ما وراء المحسوس من شيطان وأرباب وملائكة جسمه في نصب أو جن أو غول أو ما إلى ذلك مما يتكون من جماد جسمية. وهو إن نظم قصيدة قام بناؤها على المحسوس المؤثرة لا على العقل المفكرة أي على انفعالات حسية أمام الطلول والناقة والفرس والسيل والطرائد وما شاكلها.

والشـــاعر الجاهلي يعبر عن فكره وشتى معاني نفسه وجسمه بالمادية المحسوسة عن طـــريق التشـــبيه والتمثيل وتلك طريقة العقلية التي لم تتجاوز طور الطفولة. فهو إن نقل مشهدا حاول تجسيمه وتصويره بحيث يتمثل لحواسنا المدركة وهكذا لما أراد امرؤ القيس أن ينقل لنا مشهد السرعة فـــي فرسه صور ذلك المشهد تصويرا وإذا نحن أمام جلمود من الصخر دفعه السيل من أعالي الجبال فراح يمزج الكر بالفر والإقبال بالإدبار.

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

فالشـــاعر الجاهلي يعمد إلى المادية المحسوسة ويجعلها أداة للتعبير عن خوالج النفس وعواطـــف الفؤاد. ولكن هذه المادية عنده ليست انفاقا من الشاعر على المحسوس ولا نقلا للمحسوس إلـــى الحالة الحياتية التي يوجد فيها الشاعر بل مقارنة بين مشهد داخلي وتجربة ذاتية من جهة ومشهد خارجي وحالة محسوسة من جهة أخرى. ونكذا لما حزن امرؤ القيس وثقلت عليه وطأة الحزن قال:

كأني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل

فالشاعر لم يحلل حزنه ولم ينقل العالم الخارجي إلى عالمه الداخلي بحيث يسبح متأثرا معه ناطقا بلسانه بل اكتفى بتصوير الرجل الذي دمعت عيناه وسكبتا العبرات بغزارة لمعالجته الحنظل بيديه. والجاهلي كما ترى يلمح تلميحا ويشبه تشبيها ويدع لنا مجال التصور حتى إذا تصورنا استيقظا فينا الشعور وتأثرنا.

والتشـــبيه عـــند الجاهلي من مقومات الكلام الأساسية فهو يعتمد اعتمادا ويرتكز عليه ارتكـــازا لـــه لسان النزعة المادية الحسية التي هي صفة البداءة. وهذا التشبيه يتحول أحيانا كثيرة إلى اســـتعارة والاســـتعارة كما لا يخفى تشبيه حذف منه المشبه وأداة التشبيه وقام فيه المشبه مقام المشبه لعلاقـــة وصـــفية بيـــنهما. وهو في الشعر الحاهلي تارة مفرد وتارة مركب وكثيرا ما كان فيه المشبه والمشبه به مفردين أي غير مركبين كما في قول طرفة مشبها فخذي الناقة ببابي قصر عال أملس:

لها فخذان أكمل النحض فيهما كأنهما بابا منيف ممرد

وأمـــا التشـــبيه المركب فهو ما انتزع فيه وجه الشبه من صورة في حالة يكون فيها المشـــبه بـــه كما في قول الملك الضليل إذا شبه فرسه بجلمود صخر "حطه السيل من عل" وجعل وجه الشبه صرة إنحدار الجلمود بشدة أمام اندفاق السيول فهو لم يشبه الفرس بالجلمود مفردا ولكنه شبهه به

وهـو فـي حالـة الانجذاب الشديد في حالة الحركة المتوسلة التي يستحيل معها التمييز بين الكر والفر والإقبال والادبار.

واما التشبيه التمثيلي الاسطرادي فهو ما كان فيه المشبه به مركبا وكان يستطيل بطريقه قصصية بحيث يدفع الشاعر وراء هذا المشبه به مفصلا ما استطاع التفصيل في غير رابط يربط شتى الجزئيات بموضوع التشبيه الا ما هنالك من تضخيم حالة المشبه به وتعظيم شانه حتى يصبح في نظر السامع موضوع إيهام يرتاح إليه الشاعر ارتياح من وفى موضوعه حقه من التأمل والتمثيل. ومثل هذا التشبيه كثير الورود في شعر النابغة الذبياني مثلا أو هو بالحري عنده يصطنع التحضر التأني التي لا تخلو من التصنع في التزيد من القصص والتمثيل لاظهار البراعة وتضخيم الإيهام فيما هو عند غيره مقتضب لا يبلغ من الطول التفصيلي ما بلغه في شعره. وهكذا مثلا إذا أراد الشاعر أن يصف ناقته بالسرعة والشدة شبهها بالثور الوحشي ثم تمثل ذلك الثور وقد انفرد عن قطيعه في جو ماطر فعرض له القناص وراح يطارده وهو على أشد ما يكون هياج حتى إذا ضاقت به الحال ارتد على كلاب الصيد مستميتا فتنشب بين الفريقين معركة هائلة تسفر عن دم مسفوك وهلاك مريع.

والأمر الذي يلاحظ عند الجاهلي أنه شديد الميل إلى تمثل الحركة فهو مغرم بها غرام الأطفال بكل ما يتحرك وهي منسجمة مع طبيعته التي صهرتها الصحراء وايقظت حسها المخاوف ورمت بها على الرمضاء كتلة أعصاب تتنزى في تيقظ مستمر وحسبه حائشة. وهكذا ترى الشاعر الجاهلي غارقا في المادة المحسوسة لا يقوى على التفلت منها وهو يعبر بها عن جملة ذاته وجملة الوجود الخارج عن ذاته وبها يشبه ويصور ويلون.

5 – الواقعية : لما كان شاعر الجاهلي شديد الانغماس في المادة المحسوسة التي تحيق به والتي يعيش في كنفها كان لا بد لشعره من أن يعكس صورة الواقع ويمثل الحياة بما فيها من غير إمعان في الخيال الذي ينقل من الواقع إلى اللاواقع. وإنك تطوف بالشعر الجاهلي من أوله إلى آخره فتجده واقعيا في موضوعاته واقعيا في صدق نقله عن الحياة واقعيا في استكمال الصورة العامة لجميع عناصرها واقعيا في حرصه على التفاصيل والجزئيات واقعيا في صراحة التصوير وصدقه واقعيا في دقة التعبير.

أما موضوعات الشعر الجاهلي فهي البيئة في شتى صورها ولاسيما البيئة الصحراوية بأرضها وسمائها بجمادها وحيوانها ونباتها والحياة القبلية بخيرها وشرها. وأما صدق النقل عن الحياة فظاهر في الشعر الجاهلي جملة وأجزاء. وإنك إن قلبت المجموعات الشعرية لذلك العهد تخيلت نفسك أمام شريط سينمائي تنطق فيه الصور بحقيقة الحياة البدوية وما يتقلب على مسرحها من أحياء وما يتعاقب في ميدانها الفسيح من جماد. وإن في وصف امرئ القيس لفرسه ووصف طرفة لناقته خير

مثال لهذا النقل الصادق لحقيقة الأشياء. وأما استكمال الصورة العامة لميع عناصرها فذلك أمر ملموس عند الجاهليين أيضا. ومن أمثال ذلك ما جاء في قصيدة لزهير بن أبي سلمى قالها في مدح حصن بن حذيفة الفزاري لامتناعه على عمرو بن هند وعرض فيها لوصف فرسه في الصيد ووصف الطرائد.

وأما صراحة التصوير وصدقه فهما من ميزات البداءة والطفولة وهما لازمان للشعر الجاهلي في جميع فروعه وتشعباته. والصراحة تحمل البدوي على تسجيل الواقع كما هو في غير اعوجاج ولا محاولة إخفاء. فهذا طرفة بن العبد يقول لنا أنه أفرد "إفراد البعير المعبد" ويصرح لنا بلذائذه الثلاثة في غير رئاء ول تخف وهذا تأبط شرا يجهر بفقره والشنفري يعترف بقذارة شعره وبمصاحبته لوحش الصحراء ... ولكن هذه المصارحة لا تخلو من مغالاة كثيرة أحيانا تخرج بالشعر من نطاق الصدق إلى نطاق الكذب. إلا أن هذا الكذب نفسه لا نستطيع أن نعد كذبا فنيا مصطنعا بقدر ما هو تضخيم عاطفي أو محاولة صادقة للتعبير عن عاطفة صادقة.

وأما الدقة التعبيرية فهي ترجع في بعض نواحيها إلى تفاصيل الجزئيات والعناية بالنقل الصادق لحقيقة الأشياء والشاعر الجاهلي يهتم شديد الاهتمام للتحديدات المكانية والزمانية كما نجد ذلك في مطلع معلقة امرئ القيس مثلا حيث ذكر موقع المنزل "بسقط اللوى بين الدخول فحومل" . وهو يهتم أيضا لتحديد طول الأشياء وعرضها وعددها ولونها وشكلها وما إلى ذلك بطريقته الحسية الملموسة. قال الدكتور خليف : "وإلى جانب هذا "التحديد الجغرافي" و"التحديد الحسابي" نجد صورة أخرى من صور الدقة في التعبير يصح أن نطلق عليها "التحديد التعبيري" ونقصد به ذلك التحديد اللفظي الدقيق لمدلول العبارة الذي يأتي من طبيعة اللفظ أو النظم أو من طبيعتهما معا. فحين يصف تأبط شرا الحية يذكر أن خروجها يكون "بعيد غروب الشمس" والدقة هنا تأتي من هذا التصغير لظرف الزمان وهو تصغير يحدد الوقت تحديدا دقيقا.

6 – اللهجة الخطابية: وقد كان الشاعر الجاهلي خطيب القوم ولسانهم في السراء والضراء. وهذا كله جعله على منبر الإقناع بالبلاغة الكلامية واللهجة العالية التي تحاول استثارة العواطف وتطلب انقياد النفوس والقلوب. ولهذا نراه يرفع الصوت مدويا ويعمد إلى أساليب الخطباء من تهديد ووعيد مس حض أو كف من قسم وتأكيد من إبدال الأنا المفردة بالنحن المجموعة من الانتقال السريع المتوثب من الخبر إلى الإنشاء إلى شتى الأساليب الخطابية من الاقتضاب اللماح والجزم الفاصل ...

7 – الخيال اللفظي : والجاهلي ضيق نطاق الخيال والتخيل بسبب اشتداد المحسوسية عنده وسيطرة المادية على مجمل كيانه. وهو بعيد عن الاستقرار الذي يفسح المجال للتأمل الطويل العميق ومن ثم تراه يعمد إلى الصور القريبة التي تتعقب المحسوس في جزئياته وتراه يكثف مادة تشبيه

وتصوير فيتحول عنده الخيال إلى تراكم ألفاظ وتشبيهات أكثر مما ينطق في عالم الخلق التصويري والابتكار الشخصي البعيد المدى. ولهذا تجد صورة عنيفة في أحيان كثيرة وتراه يكثر من الاعتماد على المادة الصوتية في غرابة اللفظ ورنة الوزن والقافية.

تلك هي الخصائص البارزة في الشعر الجاهلي.

UNIT – VIII

(POETS IN PRE - ISLAMIC PERIOD)

الباب الثامن

شعراء العصر الجاهلي

امرؤ القيس :(500-540)

هو جندح بن حجر الكندي الملقب بإمرئ القيس يقال له "الملك الضليل" و"ذو القروح" ولد بنجد نحـــو سنة 500 من أصل يمني. وكان أبوه ملكا علي بني أسد وغطفان، وأمه فاطمة بنت ربيعة أخت كلـــيب والمهلهـــل التغلبيـــين. فنشأ نشأة ترف ومجنون ونظم الشعر الإباحي. فردعه أبوه فلم يرتدع، فطرده من بيته، فراح يجوب الآفاق في عصابة من الذؤبان والشذاذ، إلي أن ثار بنو أسد بأبيه وقتلوه.

حلف إمرؤ القيس بأن لا يغسل رأسه ولا يشرب الخمر حتى يدرك ثأر أبيه من بني أسد. فقال "ضـــيعني أبي صغيرا وحملني دمه كبيرا لا صحو اليوم ولا سكرا غدا، اليوم خمر وغدا أمر". وأخذ يجمـــع العدة ويستنجد القبائل ولا سيما أخواله بكر وتغلب، ثم سار إلي بني أسد فأوقع بهم وقتل منهم خلقـــا كثيـــرا. ففـــر إمرؤ القيس وسار في قبائل يطلب النجدة في غير جدوى وقد سمي لذلك "الملك الضليل" ومات نحو سنة 540 ودفن في أنقرة إحدى مدائن الروم، وسمي لذلك "ذا القروح".

طـــبع ديوانه الأول في بارس ثم في بمباي ومصر وأشهر ما فيه "المعلقة" وهي من أصح ما بقي له. ومن أكبر ما في ديوانه تمثيلا لحاله ونفسيته. وشعره قسمان:قسم للهو وتشرده، وقسم لسخطه وطلب ثأره.

يوم دارة جلجل هو السبب المباشر لنظم المعلقة، وفيها ثلاثة أقسام: الوقوف بالطلول، وذكرى اللقاء دارة الجلجل، وأوصاف لمشاهد مختلفة: لليل، الوادي،الفرس....

حلـــل إمـــرؤ القـــيس معلقـــته في الوقوف بالطلول ومأسات الصحراء البكري وصراع البقاء والغـــناء. وفـــي اللـــوحة الصحراوية حسية بدائية ملموسة وسذاجة فطرية عذبة. وتحليل مشهد دارة الجلجل تغور صورة الصحراء في صورة الحياة الملكية.

أسلوبه الشعري

قدم أمرؤ القيس العديد من القصائد الشعرية والتي تنوعت ما بين الغزل والفخر، ووصف الطبيعة والشكوى والمدح والهجاء والرثاء، وإن ساد الغزل وبرز في أغلب أشعاره، وقد وصل في شعره إلى أن أصبح من شعراء الطبقة الأولى في العصر الجاهليم.

تمتع امرؤ القيس بخصائص فنية في شعره جعلته يبرز ويتفوق بين أقرانه من الشعراء فقدم العديد من الأشعار المختلفة والتي وصل إلينا منها الكثير.

توفى أمرؤ القيس بالقرب من أنقرة عام 544 م.

طرفة بن عبد:(543-569)

عمر بن العبد الملقب طرفة من بني بكر بن وائل. ولد في البحرين نحو سنة 543 في أسرة كثر فيها الشعراء. فنشأ لاهيا يبدر ماله في السكر والمجون، فطرده قومه وراح يضرب في البلاد متشردا، ثم عاد إلي قومه فأرعوه الإبل.

هجا طرفة عمرو بن هند ملك الحيرة فإضطغن الملك عليه حتى إذا ما جاءه هو وخاله المتلمس يتعرضان لفضله أظهر لهما البشاشة وأمر لكل منهما بجائزة، فكتب لهما كتابين وأحالهما عامله بالبحرين ليستوفياها منه وبينما هما في الطريق ارتاب المتلمس في صحيفته، فعرض على غلام يقرأها له ومضي طرفة، فإذا في الصحيفة الأمر بقتله، فحاول اللحاق بطرفة ليخبره فلم يستطع، وفر إلي ملوك غسان وذهب طرفة إلي عامل البحرين فقتل هناك نحو سنة 569. لما يتجاوز السادس والعشرين من عمره. وهكذا مات طرفة في ربيع الحياة، ولم يتح له أن يعطي للأدب ما كان باستطاعته أن يعطي كثيرا لأن موهبته الشعرية التي تفتحت مند عهد الطفولة كانت من أعظم المواهب التي عرفتها الجاهلية.

كان ديوانه صغيرا أشهرا ما فيه المعلقة، وهي دالية تقع في 104 أبيات، وفيها شتي الأغراض الشعرية الجاهلية. هو شاعر الوصف والغزل والمدح.

زهير بن أبي سلمي: (627م)

هو زهير بن أبي سلمي ربيعة من مزيّنة المضريّة. ولد بنجد نحو سنة 530م, ونشأ في غطفان, وأخذ الشعر والحكمة والترصن عن بشامة خال أبيه, وكان شيخا مقعدا, وغنيا برجاحة العقل والمال, فلزمه زهير وحفظ له, كما تتلمذ لزوج أمه أوس بن حجر وإتخذ طريقته في الشعر.

تزوج أم أوفي, وإذا لم يكن له منها أولاد طلقها وإقترن بكبشة التي أنجبت له شاعرين هما: كعب وبجير.

وإنقطع زهير لسيد الشريف إسمه هرم بن سنان فمدحه وتغني بكرمه وحبه للخير والسلام, وتوسطه بالصلح بين قبيلتي عبس وذبيان في حرب السباق, وقد أغدق عليه هرم العطايا.

وتوفي زهير نحو سنة 627م وله من عمر نحو 97 سنة قضاها رزينا حكما داعيا إلي الخير والصلاح, منصرفا إلي الحق بكل جوارحه. وكان رجل العقل والإلتزان يكره الحرب والمناوشات القبلية, ويدعوا إلي الترصن والتعالي عن الأحقاد والتقاليد البدوية التي تبيح الغزو, وتفتح باب النزاعات والخصومات واسعا.

طبع ديوانه في لندن سنة 1870م ثم طبع في لندن سنة 1888م مع شرح الأعلم الشنتمري, ثم في مصر 1323ه. وقد إنطوى علي مدح لهرم بن سنان وأبيه وقومه, ومدح لحارث بن عوف, كما إنطوى علي بعض الهجاء والفخر. وأشهر ما فيه المعلقة. كانت معلقته مشهورة جدا بين قبائل الجاهلية وأشعاره تحتوي أفكار الخير والسلام.

لبيد بن ربيعة:(560-661م)

هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري المضريّ. ولد نحو سنة 560م ونشأ في قومه كريما شريفا, وفارسا شجاعا.دخل في الإسلام نحو سنة 629م . وقضي أيام شيوخته في الكوفة. وقد توفي نحو سنة 661م للميلاد وله من العمر أكثر من مائة سنة.

وسبب قوله الشعر أن الربيعة بن زياد أمير عبس, وهم أخواله, دخل علي النعمان بن المنذر فذكر بالسوء بني عامر وهم قومه. فلما دخل العامريون علي الملك وعلي رأسهم ملاعب الألسنة غضَ منهم, وذوي وجهه عنهم, فنال ذلك من بني عامر وشق عليهم.

فنفر منه الملك وطرده وأكرم العامريين وأدناهم. قالوا وكان هذا أول ما إشتهر به لبيد. ثم أخذ يقول الشعر قصاره وطواله, حتي ظهر الإسلام فأقبل علي الرسول في وفد من قومه فأسلم, وحفظ القرآن وهجر الشعر, حتي زعموا أنه لم يقل بعد الإسلام إلا بيتا واحدا, وهو:

الحمد لله إذا لم يأتني أجلي حتي اكتسيت من الإسلام سربالا

معلقته فهي قوية الألفاظ متينة الأسلوب تصور حياة البادية وأخلاق البدو, وتصف هوى النفوس الماجنة ومطمح القلوب الكبيرة. بدأها بوصف الطلول وذكرى الحبيبة, ثم أطال بوصف ناقته علي نحو ما فعل طرفة, ثم مضي يصف حياته وملذاته ووجوده وبأسه حتى إنتهى إلي الفخر بقومه, وكل ذلك في صدق وإخلاص وقصد.

عمر بن كلثوم (توفى سنة 600)

هو أبو الأسود عمر بن كلثوم بن مالك التغلبى. وأمه ليلى بنت المهلهل أخي كليب . نشأ عزيز الجانب أنوفا معجبا بنفسه أشد الإعجاب ،وساد قومه وهو إبن خمس عشرة سنة، وقاد الجيوش مظفرا. ولما قامت المساحة بين بكر وتغلب واحتكموا إلى عمرو بن هند وقف عمر بن كلثوم مدافعا عن قومه ، ومـــا أن فرغ بدأ إنشاء قصيدته حتى ظهر له هوى الملك مع بكر، فإنصرف وفى نفسه ما فيها . ثم خطـــر في نفس ابن هند أن يكسر من أنفة تغلب بإذلال سيدها عمرو بن كلثوم ، فدعاه هو وأمه ليلى، وأغـــرم هذا أمه أن تستخدمها في قضاء أمر ، فصاح ليلى: " واذلاه يا لتغلب " فسمعها عمر بن كلثوم فـــثار بـــه الغضب وقتل إبن هند في مجلسه ، ثم رحل توا إلى بلاده بالجزيرة الفراتية ، وأضاف إلى معلقته قسما بين فيه منهجه على عمرو بن هند في صورة واضحة.

معلقته ، نونيه على البحر الوافر في نحو مائة بيت قال القسم منها يوم الاحتكام ، والقسم الثاني بعد ما ثـــار بعمر بن هند وقتله. فالقسم الأول فقد طواه الشاعر على مقدمة تقليدية ذكر فيها الخمرة كما ذكر الحبيبة وخاطبها ووصفها . وطواه بنوع خاص على المفاخرة دفاعا وتهديدا.والقسم الثاني فكلام الثورة العارمة على عمر بن هند وفيه كثير من الفخر ، والأنفة ، والتأتى للعار.

عنترة بن شداد (525هـــ/915م)

هـــو عنتـــرة بن عمر بن شداد العبسي أحد فرسان العرب وشعرائها المشهورين ولد في نجد نحو سنة 525. وكانت أمه أمة حبشية اسمها زبينة وأبوه من سادات عبس . وكان من عادات العرب أن لا تلحـــق ابـــن الأمة بنسبها. بل تجد كله في عداد العبيد، ولذلك عاش عنترة منبوذا بين العبدين ، يرعى الإبل والخيل، إلا أن نفسه الكبيرة أبت إلا أن تكون في أجواء الحرية والشهامة ، فراح يمارس الفروسية ولم يمض زمن إلا وعنترة فارس شجاع. وحدث في أحد الأيام أن لأغار بعض العرب على قوم من بنى عبس لأصابوا منهم ، فتبعهم العبسيون ، فلهوهم فقاتلوهم عما معهم ، وعنترة فيهم فقال لـــه أبوه: " كز يا عنترة! فقال عنترة : " العبد لا يحسن الكرة ، إنما يحسن الحلاب الحر" ، فقال " سر وأنت حر " فكر وقاتل قتالا شديدا حتى هزم القوم و استنقذ الإبل ، فدعاه أبوه بعد ذلك والحق به نسبه.

ومشى عنترة في طريق المجد يقارع الفوارس في حرب داحس والغبراء (حرب السباق) وفي نفسه أشياء من ابنة عم أحبها وتهالك في حبها ، فنفرت منه لسواده وأصله واستعكاف أن قتل سنة 65 وله منها العمر تسعون سنة.

لعنتـــرة بن شداد ديوان شعر أكثر في الفخر والحماسة والغزل العفيف. وقد كثر المنحول فيه كما تعددت الروايات في الثابت منه. والمعلقة أشهر ما في أنه ديوان وهي قصيدة طويلة تقع فى نحو

تســـعة وسبعين بيتا من البحر الكامل . وهكذا نجد لشعر عنترة وجهين هامين: وجها غنائيا وجدانيا ، ووجهـــا قصصيا ملحميا . والوجهان المختلفان ممتزجان ، لا يقوم الواحد بدون الآخر ولا يفهم الواحد إلا مع الآخر.

حارث بن حلزة: (توفى نحو سنة 580)

هـــو الحـــارث بـــن حلزة اليشكري البكري ، لا نعرف من أخباره إلا أنه اغتاظ يوم الاحتكام لانحياز ملك الحيرة إلى تغلب وإنه كان في المجلس مستورا عن الملك بستار لما كان فيه من البرص، وأنه أنشد قصيدته المعلقة ، مرتجلا بعضها ارتجالا ومفاخرا بقومه وما لهم من المآثر الحميدة . وإنه لشـــدة بلاغته استطاع أن يسطر على الموقف أن يستميل الملك إلى جانب البكر. قيل إنه أنشد معلقته وله من العمر نحو مائة وخمسة وثلاثين سنة.

معلقته هي هزيمة تقع في 85 بيتا على البحر الخفيف مطالعها:

آذنتنا ببينهما أسماء رب ثاو يملّ منه التواء

لمعلقـــة الحـــارث بن حلزة غرض دفاعي وطمع في استمالة الحكم. وقد ضمنها مقدمة تقليدية فيها غزل ووقوف بالديار ووصف للناقة ، ثم انتقل إلى دفاعه ففند أقوال التغلبين وبين ما فى إوعاتهم من كذب وما في آثارهم من فكل وصف ثم أقام موازنة بين مفاخر البكريين ومخازئ التغلبيين.

النابغة الذبيانى : (توفى نحو سنة 604م)

هـــو أبـــو أمامة زياد بن معاوية من ذبيان ، وأمه عاتقة بنت أنيس من أشجع الجاهليين لقب بالنابغة لسبب اختلف فيه العلماء اختلافا شديدا ، فقد يكون تقديرا عند الجاهليين لمن يتوقف عن صفات وقوى ذاتية لا وراثية. أما مكان ولادته غطفان أي في إحدى نواحي نجد بين الأحرار والأودية ، وفى قلـــب المجتمع البدوي ، وامتدت به الأيام حتى أدرك المنذر الثالث بن ماء السماء ملك الحيرة (505-554) ومـــدح خلفائه من بعده ورثى النعمان بن الحارث الغساني سنة 600م. وسبع بمقتل النعمان بن المنذر اللنحميق على يد كسرى أو شروان سنة 606م . وهكذا قد تكون وفاة النابغة حوالى سنة 604م أي قبل إنشاء حرب داحس والغبراء بأربع سنوات.

نشأ الشاعر كما ينشأ فتيان الحي فى قبيلة بين الإبل والشتاء. وبين الحل والرحال، لا يعرف من الوجود إلا أودية نجد وما يأتي به الركبان من أحاديث وأخبار . وكل ما رواه لنا الرواة من أحداث تلك الحقبة أن الفتى علق فتاة إسمها ماوية كانت على جانب من الجمال ، فزاحمه فى حبها رجل من النبيت وخاتم الطائي صاحب الكرم والجود، وكان النصر فى خطبتها لهذا الأخير ، مما أوغر صدر الشاعر وحمله على نظم بعض الأبيات يزكى بها نفسه لدى الفتاة.

النابغة أحد فحول الشعراء الثلاثة الذين لا يشق عبارتهم ، ولا تلحق آثارهم ، وهو امرؤ القيس وهو وزهير. ويمتاز من صاحبيه بديع كنايته ، ودقيق إشارته وصفاء سذاجته ، وقلة تكلفه وموافقة شعره لهوى النفوس . ولهذا لم يغن الناس بشعر أحد فى الجاهلية وصدر الإسلام بمثل ما غنوا به من شعرة. وقد أجال فى وصف ليل الخائف ، واعتذار الجاني ، ومدح المنعم ، إلا أنه كان يقوى فى شعره ويقول : إن فى شعري عامة لا أدريها، حتى سمع مغنيا يغنى بأبيات من شعره فيها إقواء ، ففطن إلى ذلك ولم يعد إليه. وقد عرف شعراء العرب له تلك المكانة السامية فى الشعر فقدموه فى عكاظ واحتكموا إليه فى الخصومات الأدبية فكان يقضى بينهم موفق القضاء مطاع الحكم.

الأعشى – 629م

هو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل أحد أمراء الشعر المتكسبين به القائلين فى أكثر ضروبه. نشأ باليمامة فى قرية تسمى منفوحة ، وثقة الشعر طريق الرواية على خاله المتيب بن علس ، حتى إذا حصف عقله وارتاض لسانه ، انتجع أطراف البلاد وغشى أبواب الملوك بمدحهم. وفد على بنى عبد المدان سلوك نجران فأكرموا ثواءه وأجزلوا عطاءه ، واكتسب من خلاطهم إدمان العقار ، والتأثر ببعض الأفكار ، فظهر شيء من ذلك فى شعره ولا سيما وصف الخمر . وطال عمر الأعشى حتى أبيت عيناه فى الكبر. وسمع بأمر الرسول (ص) فصنع فى مدحه قصيدة وعزم الرحلة إليه بالحجاز ، فأوجس الريشيون خيفة من إسلامه: وقال لهم أبو سفيان : والله لئن أتى محمدا أو أتبعه ليضر من عليكم نيران العرب بشعره ، فأجمعوا له مائة من الإبل ، ففعلوا وأخذها الأعشى ورجع ، حتى إذا دنا من اليمامة سقط من فوق ناقته فدقت عنقه.

من الرواة وذوى البصر بالشعر من يجعل الأعشى رابعا لامرئ القيس وزهير والنابغة ، ويقولون : أشعر الناس إمرؤالقيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب. وهذا وإنه كان موضعا للخلاف يدل على مكانة الرجل. وفى الحق أنك تجد فى شعره ومالا تجد فى شعر غيره من رونق الحسن وطلاوة الأسلوب والبراعة فى وصف الخمر والإجادة مع الطول.... وكان لشعره جلبة فى السمع وروعة فى النفس وأثر الناس فسمى لذلك صناجة العرب.

UNIT – IX
(POETRY IN UMAYYAD PERIOD)

الباب التاسع

الشعر في العصر الأموي

ارتــبط الشعر العربي بالعصر الأموي ارتباط الخصوصية، بمعنى أن ثمة فنونًا شعرية جديدة ظهرت في العصر الأموي واختفت بزواله، فالنقائض بشكلها المعروف وتقاليدها الجديدة هي ثمرة من ثمــار الشــعر الأموي، وكان أبرز شعرائها الفحول الثلاثة، جرير والأخطل والفرزدق .كما أن الشعر السياســي بصــبغته المعروفة هو ابن شرعي لهذا العصر، فقد كان لكل فرقة شعراؤها، مثل الكميت شاعر الهاشميين، وابن قيس الرقيّات شاعر الزبيريين وغيرهما.

أمّــا الغزل فبالرغم من أنه من أغراض الشعر القديمة المعروفة، إلاّ أنه لقي في هذا العصر اهــتمامًا كبيــرًا، وأصــبح تيارًا قويّا له شعراؤه وجمهوره ومدارسه، وكان أشهر تياراته تيار الغزل العذري العفيف وزعيمه جميل بن معمر، والغزل الصريح اللاهي وزعيمه عمر بن أبي ربيعة .وعلى كــلٍّ فــإنّ بني أمية كانوا يتمتعون بحسٍّ أدبي عربي جعلهم يشجعون الشعراء ويعقدون لهم المجالس، ويُجزلون لهم العطاء، بل كان منهم شعراء ذوو أثر في حركة الشعر كالوليد بن يزيد .كما كان بعضهم يكــتب إلى الشاعر أو الراوية فيستقدمه من العراق إلى الشام على البريد كما فعل هشام ابن عبد الملك مع حماد الراوية.

عمر بن أبي ربيعة

هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة حذيفة بن المغيرة من بين مخزوم بن يقظة بن مرة. وكان جده أبو ربيعة يلقب بــ" ذي الرمحين" لطوله، وكان يقال: كأنه يمشي على رمحين، وقيل إنه قاتل يوم عكاظ برمحين، فسمي "ذا الرمحين" لذلك. وكان والده عبد الله يسمى في الجاهلية بجيرا فسماه رسول الله (ص) عبد الله، وكانت قريش تلقبه " العدل" لأنها كانت تكسوا في الجاهلية بأجمعها من أموالها سنة، ويكسوها هو من ماله سنة فأرادوا بذلك أنه وحده عدل لهم جميعا في ذلك، وكان تاجرا موسرا.

ولد عمر في السنة 23 هــ \ 644 م في الليلة التي قتل فيها عمر بن الخطاب على الأرجح فقيل: "أي حق رفع، وأي باطل وضع" ولا يعرف بالتأكيد مكان ولادته فقد يكون الجند ف اليمن وهي المدينة التي اتخذها والده مقرا لتجارته أو مكة وهي موطن العائلة أو المدينة وهي مسرح نشأته.

نشأ عمر في المدينة نشأة الترف والجاه، ولكن له من الجمال والمال ما فتح له أبواب الملاهي على مصراعيها . وكان شديد الولع بالنساء، فلم تكن تسنح له فرصة اجتماع بإحداهن أو بجماعة منهن حتى ينتهزها بشوق متنقلا من ملهى إلى متنزه إلى رحلة صيد.

بعد المدينة انتقل عمر بن أبي ربيعة إلى مكة وفيها واصل حياته اللاهية مستغلا مواسم الحج للقيام بمغامراته مع النساء حتى قال:

ليت ذا الدهر كان حتما علينا كل يومين حجة واعتمارا

وقضى عمر قسما كبيرا من حياته لاهيا متنقلا من حبيبته إلى أخرى، ولسان حاله يقول:

سلام عليها ما أحبت سلامنا فأن كرهته فالسلام على أخرى

لكنه تاب في أواخر حياته وقيل "فتك عمر أربعين ونسك أربعين" يريدون أنه عاش في غوايته أربعين سنة ثم تاب في الأربعين الباقية. ومع أنه ليس من الثابت أن عمر أدرك الثمانين ومع أن الصناعة واضحة في هذا القول الذي يريد أن يوازن بين حياتي الشاعر فإنه من الثابت أن عمر أقصر عن اللهو في أواخر أيامه بعد أن هدأت فيه سورة الطيش الجاهلية.

يروي عنه أنه نذر أن يعتق عبدا من عبيده كلما قال بيتا من الشعر واتفق يوما أنه رأى شابا يكلم فتاة في الطواف، ثم علم أن الفتاة ابنة عمه وأنهما تحابا ولكن عمه كلفه من المهر ما لا يطيق فصحب عمر الفتى إلى عمه وخطب له ابنته ودفع عنه المهر وقدأثرت هذه الحادثة فيه فقال شعرا مطلعه :

تقول وليدتي لما رأيتني طربت، وكنت قد أقصرت حينا

أراك اليوم قد أحدثت شوقا وهاج لك الهوى داء دفينا

تضاربت الروايات في سبب موت عمر بن أبي ربيعة فقيل إنه في البحر فأحرقت سفينته ومات وقيل إن امراة دعت عليه لأنه ذكرها في شعره فهبت عليه ريح وجرحه غصن شجرة تستترها فمات وقيل إنه مات في اليمن وكما إختلفت الروايات في سبب موته اختلفت أيضا في زمن وفاته وأغلب الظن أنه توفي في السن 93 هـ \ 712 م.

وله ديوان شعري يكاد أن يكون كله في الغزل وهو غزل يمثل عصرا وبيئة عصر الغزل في البيئة الحجازية أو في بيئة الترف الحجازية ولا نستطيع أن نفصل بين عمر وغزله دون أن نسيء إلى الإثنين معا فالغول كل شيء في حياة عمر وفنه لأجله نظم وبسببه كان خلوده في دنيا الأدب تناوله غرضا مستقلا قائما بنفسه تارة في قصائد طويلة وغالبا في مقطوعات تشكل كل منها وحدة موضوعية تقص حادثة عارضة أو تروي خبرا طارئا في سبيل شكوى وعتاب أو نصح واعتذار أو مراسلة ورجاء أو مصالحة ومقابلة أو زيارة ومغامرة أو غير ذلك مما يكثر وقوعه بين المحبين

تطور النقائض في العصر الأموي

النقائض بين جرير والفرزدق استمرت * 45 * سنة بدأت وانتهت قبل النقائض بين جرير والاخطل (المسيحي) واستمرت * 20 * سنة بينهما . فأول ظهور لمصطلح (النقض) كان في العصر الأموي، وتحديدا فيما عرف بـ (النقائض)، وهي تلك المعارك الشعرية التي دارت رحاها بين

عدد من الشعراء في العصر الاموي، وكانت ريادته في الاخطل وجرير والفرزدق، حيث يكتب الشاعر قصيدة في هجاء خصمه، فيرد الخصم (ناقضا) هذه القصيدة مع التقيد بوزنها وقافيتها، وتتفق (النقائض) مع (القلطة) في عملية نقض ما يقوله الخصم، ولكن الفرق هو ان القلطة تتطلب المباشرة والسرعة في الرد، بينما لا يشترط ذلك في شعر النقائض، والذي يظل اقرب إلى الرديات التي تتم بين الشعراء هذه الأيام، وان كانت النقائض قد تركزت على غرض الهجاء تحديدا في العصر الاموي

فالنقائض إذن مصطلح أدبي لنمط شعري، نشأ في العصر الأموي بين ثلاثة من فحوله هم: جرير والفرزدق والأخطل. وهذا المعنى مأخوذ في الأصل من نقَض البناء إذا هَدَمَه، قال القرآن: (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا) "النحل: 92". وضدُّ النقض الإبرام، يكون للحبل والعهد. وناقَضَه في الشيء مناقضةً ونِقَاضًا خالفه. والمناقضة في القول أن يتكلم بما يتناقض معناه، وفي الشعر أن ينقض الشاعر ما قال الأول، حيث يأتي بغير ما قال خصمه. والنقيضة هي الاسم المفرد يُجمع على نقائض، وقد اشتهرت في هذا المعنى نقائض الفرزدق وجرير والأخطل، وقد عُرف المعنى المادي الذي يتمثل في نقض البناء أو نقض الحبل أولاً، ثم جاء المعنوي الذي يبدو في نقض العهود والمواثيق، وفي نقض القول، وهو المراد هنا، إذ أصبح الشعر ميدانًا للنقض حتى سُمِّي هذا النوع منه بالنقائض

معناها الاصطلاحي. هو أن يتجه شاعر إلى آخر بقصيدة هاجيًا، فيعمد الآخر إلى الرد عليه بشعر مثله هاجيًا ملتزمًا البحر والقافية والرَّوِيَّ الذي اختاره الشاعر الأول. ومعنى هذا أنه لابد من وحدة الموضوع؛ فخرًا أو هجاءً أو غيرهما. ولابد من وحدة البحر، فهو الشكل الذي يجمع بين النقيضتين ويجذب إليه الشاعر الثاني بعد أن يختاره الأول. وكذلك لابد من وحدة الرَّوي؛ لأنه النهاية الموسيقية المتكررة للقصيدة الأولى، وكأن الشاعر الثاني يجاري الشاعر الأول في ميدانه وبأسلحته نفسها.

معانيها المقصودة: الأصل فيها المقابلة والاختلاف؛ لأن الشاعر الثاني يجعل همّه أن يفسد على الشاعر الأول معانيه فيردها عليه إن كانت هجاء، ويزيد عليها مما يعرفه أو يخترعه، وإن كانت فخرًا كذَّبه فيها أو فسَّرها لصالحه هو، أو وضع إزاءها مفاخر لنفسه وقومه وهكذا. والمعنى هو مناط النقائض ومحورها الذي عليه تدور، ويتخذ عناصره من الأحساب، والأنساب والأيام والمآثر والمثالب. وليست النقائض شعرًا فحسب، بل قد تكون رَجَزًا أو تكون نثرًا كذلك. ولابد أن تتوفَّر فيها وحدة الموضوع وتقابُل المعاني، وأن تتضمن الفخر والهجاء ثم الوعيد أيضًا، وقد تجمع النقائض بين الشعر والنثر في الوقت نفسه

نشأت النقائض مع نشأة الشعر، وتطورت معه وإن لم تُسمّ به مصطلحًا. فقد كانت تسمى حينًا بالمنافرة وأخرى بالملاحاة وما إلى ذلك من أشكال النفار. وكانت في البداية لا تلتزم إلا بنقض المعنى والمقابلة فيه، ثم صارت تلتزم بعض الفنون العامة دون بعضها الآخر، مما جعلها لا تبلغ درجة النقيضة التامة، وإن لم تبعد عنها كثيرًا، ولاسيّما في جانب القافية. ولاشك أن النقائض نشأت ــ مثل أي فن من الفنون ــ ضعيفة مختلطة، وبمرور الزمن والتراكم المعرفي والتتبّع للموروث الشعري، تقدّم الفن الجدلي وأخذ يستكمل صورته الأخيرة قبيل البعثة، حتى قوي واكتمل واتضحت أركانه وعناصره الفنية. فوصل على يد الفحول من شعراء بني أمية إلى فن مكتمل الملامح تام البناء الفني، اتخذ الصورة النهائية للنقيضة ذات العناصر المحددة التي عرفناها بشكلها التام فيما عُرف بنقائض فحول العصر الأموي وهم جرير والفرزدق والأخطل

مقوّماتها: اعتمدت النقائض في صورتها الكاملة على عناصر أساسية في لغة الشعراء، منها النَّسَب الذي أصبح في بعض الظروف وعند بعض الناس من المغامز التي يُهاجِم بها الشعراء خصومهم حين يتركون أصولهم إلى غيرها، أو يدّعون نسبًا ليس لهم. وقد كانت المناقضة تتخذ من النسب مادة للتحقير أو التشكيك أو نفي الشاعر عن قومه أو عدّه في رتبة وضيعة، وكذلك كان الفخر بالأنساب وبمكانة الشاعر من قومه وقرابته من أهل الذكر والبأس والمعروف أساسًا، تدور حوله النقائض سلبًا أو إيجابًا. فاعتمد الشعراء المناقضون على مادة النسب وجعلوها إحدى ركائز هجائهم على أعدائهم وفخرهم بأنفسهم. ومن أسباب ذلك أن المجتمع العربي على عصر بني أمية رجع مرة أخرى إلى العصبية القبلية التي اختفت نوعا ما في زمن النبوة و الخلفاء الراشدين

ومنها أيضًا أيام العرب التي اعتمدت النقائض عليها في الجاهلية والإسلام، فكان الشعراء يتّخذون منها موضوعًا للهجاء ويتحاورون فيه، كما صور جزء من النقائض الحياة الاجتماعية أحسن تصوير، ووصف ماجرت عليه أوضاع الناس، ومنها العادات المرعية والأعراف والتقاليد التي يحافظ عليها العربي أشد المحافظة. فكانت السيادة والنجدة والكرم، وكان الحلم والوفاء والحزم من الفضائل التي يتجاذبها المتناقضون، فيدعي الشاعر لنفسه ولقومه الفضل في ذلك. وقد أصبحت النقائض سجلاً أحصيت فيه أيام العرب ومآثرها وعاداتها وتقاليدها في الجاهلية وفي الإسلام

جرير بن عطية الخطفي
33 – 114 هـ

قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا

" قَوَارِيرَا " مَنْصُوب إِمَّا عَلَى الْبَدَلِيَّة أَوْ تَمْيِيز لِأَنَّهُ بَيَّنَهُ بِقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلا " قَوَارِيرَا مِنْ فِضَّة " قَالَ اِبْن عَبَّاس وَمُجَاهِد وَالْحَسَن الْبَصْرِيّ وَغَيْر وَاحِد بَيَاض الْفِضَّة فِي صَفَاء الزُّجَاج وَالْقَوَارِير لا تَكُون إِلا مِنْ زُجَاج فَهَذِهِ الأَكْوَاب هِيَ مِنْ فِضَّة وَهِيَ مَعَ هَذَا شَفَّافَة يُرَى مَا فِي بَاطِنهَا مِنْ ظَاهِرهَا وَهَذَا مِمَّا لا نَظِير لَهُ فِي الدُّنْيَا قَالَ اِبْن الْمُبَارَك عَنْ إِسْمَاعِيل عَنْ رَجُل عَنْ اِبْن عَبَّاس : لَيْسَ فِي الْجَنَّة شَيْء إِلا قَدْ أَعْطَيْتُمْ فِي الدُّنْيَا شَبَهه إِلا قَوَارِيرَا مِنْ فِضَّة . رَوَاهُ اِبْن أَبِي حَاتِم . وَقَوْله تَعَالَى " قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا " أَيْ عَلَى قَدْر رِيّهمْ لا تَزِيد عَنْهُ وَلا تَنْقُص بَلْ هِيَ مُعَدَّة لِذَلِكَ مُقَدَّرَة بِحَسَبِ رِيّ صَاحِبهَا هَذَا مَعْنَى قَوْل اِبْن عَبَّاس وَمُجَاهِد وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَأَبِي صَالِح وَقَتَادَة وَابْن أَبْزَى وَعَبْد اللَّه بْن عُبَيْد اللَّه بْن عُمَيْر وَقَتَادَة وَالشَّعْبِيّ وَابْن زَيْد وَقَالَهُ اِبْن جَرِير وَغَيْر وَاحِد وَهَذَا أَبْلَغ فِي الِاعْتِنَاء وَالشَّرَف وَالْكَرَامَة وَقَالَ الْعَوْفِيّ عَنْ اِبْن عَبَّاس " قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا " قُدِّرَتْ لِلْكَفِّ وَهَكَذَا قَالَ الرَّبِيع بْن أَنَس وَقَالَ الضَّحَّاك عَلَى قَدْر كَفّ الْخَادِم وَهَذَا لا يُنَافِي الْقَوْل الأَوَّل فَإِنَّهَا مُقَدَّرَة فِي الْقَدْر وَالرِّيّ .

وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلا

أَيْ وَيُسْقَوْنَ يَعْنِي الأَبْرَار أَيْضًا فِي هَذِهِ الأَكْوَاب " كَأْسًا " أَيْ خَمْرًا " كَانَ مِزَاجهَا زَنْجَبِيلا " فَتَارَة يُمْزَج لَهُمْ الشَّرَاب بِالْكَافُورِ وَهُوَ بَارِد وَتَارَة بِالزَّنْجَبِيلِ وَهُوَ حَارّ لِيَعْتَدِل الأَمْر وَهَؤُلاءِ يُمْزَج لَهُمْ مِنْ هَذَا تَارَة وَمِنْ هَذَا تَارَة وَأَمَّا الْمُقَرَّبُونَ فَإِنَّهُمْ يَشْرَبُونَ مِنْ كُلّ مِنْهُمَا صِرْفًا كَمَا قَالَهُ قَتَادَة وَغَيْر وَاحِد .

عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلا

وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْله جَلَّ وَعَلا " عَيْنًا يَشْرَب بِهَا عِبَاد اللَّه " وَقَالَ هَاهُنَا " عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلا " أَيْ الزَّنْجَبِيل عَيْن فِي الْجَنَّة تُسَمَّى سَلْسَبِيلا قَالَ عِكْرِمَة : اِسْم عَيْن فِي الْجَنَّة وَقَالَ مُجَاهِد سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِسَلا سَةِ مَسِيلهَا وَحِدَّة جَرْيهَا وَقَالَ قَتَادَة عَيْن فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلا عَيْن سَلِسَة مُسْتَقِيد مَاؤُهَا وَحَكَى اِبْن جَرِير عَنْ بَعْضهمْ أَنَّهَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِسَلا سَتِهَا فِي الْحَلْق وَاخْتَارَ هُوَ أَنَّهَا تَعُمّ ذَلِكَ كُلّه وَهُوَ كَمَا قَالَ .

وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا

أَيْ يَطُوف عَلَى أَهْل الْجَنَّة لِلْخِدْمَةِ وِلْدَان مِنْ وِلْدَان الْجَنَّة " مُخَلَّدُونَ " أَيْ عَلَى حَالَة وَاحِدَة مُخَلَّدُونَ عَلَيْهَا لا يَتَغَيَّرُونَ عَنْهَا لا تَزِيد أَعْمَارهمْ عَنْ تِلْكَ السِّنّ وَمَنْ فَسَّرَهُمْ بِأَنَّهُمْ مُخَرَّصُونَ فِي آذَانهمْ الأَقْرِطَة فَإِنَّمَا عَبَّرَ عَنْ الْمَعْنَى بِذَلِكَ لِأَنَّ الصَّغِير هُوَ الَّذِي يَلِيق لَهُ ذَلِكَ دُون الْكَبِير " إِذَا رَأَيْتهمْ حَسِبْتهمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا " أَيْ إِذَا رَأَيْتهمْ فِي اِنْتِشَارهمْ فِي قَضَاء حَوَائِج السَّادَة وَكَثْرَتهمْ وَصَبَاحَة وُجُوههمْ

هو جرير بن عطية الخطفي وعطية اسم أبيه وكان رجلا مضعوفا والخطفي لقب جده حذيفة بن بدر بن يربوع وأمه هي حقة بنت معبد الكلبية وفي قاموس فيروز آبادي أن الحقة هو لقب أمه لا اسمها وكان يكنى بأبي حزرة وحزرة كبير أولاده.

ولد جرير لعائلة متوسطة الحال حيث لم تكن أسرته على قدر من الجاه والشرف والثروة، وعلى الرغم من ذلك كان يفاخر بها وبأبيه الشعراء الآخرين فكان يتباري معهم في مبارزة شعرية، ومن أشهر من دخل معه في هذه المبارزات الشعرية الفرزدق والأخطل واللذان ظلا يتبادلان معه الهجاء لعدد كبير من السنوات.

نشأ جرير في اليمامة وفيها مات ودفن وكانت نشأته في أسرة ليست على شيء من الجاه والشرف والثروة وعلى ذلك فقد فاخر بها وبأبيه الشعراء الكثيرين الذين تعرضوا له بالهجاء فأخزاهم جميعا ولم يثبت له إلا الأخطل والفرزدق

وقد اختلفت الاراء في أي هؤلاء الشعراء الثلاثة أفضل فكان لكل منهم حزب يفضله ويتعصب له غير أن المعول عليه أن الأخطل كان أمدحهم وأوصفهم للخمر والفرزدق أفخرهم وجرير أهجاهم وأنسبهم وأجمعهم لفنون الشعر

والتحم الهجاء بين أعضاء هذا المثلث الأموي زهاء أربعين سنة فكان هجاء فرزدق وجرير مملوءا فحشا وتعهرا وتعييرا أما الأخطل فكان نزيه الهجاء يعير ولا يفحش ولا يتعهر.

غير أن جريرا على فحشه واقذاعه في هجائه كان عفيفا في غزله متعففا في حياته لا يعهر ولا يشرب الخمر ولا يشهد مجالس القيان يتظاهر بالتدين والتعصب للإسلام وكثير ما عير الأخطل بدينه والقرزدق برقة دينه وكان إلى ذلك أنوفا لا ينام على ضيم يتتبع في هجائه مساوئ خصمه أو ما يعده فيه من نقائص فيعيره ويهجوه بها وإذا لك يجد شيئا يشفي غلته اخترع قصصا شائنة وألصقها بمهجوه وعيره بها فهجت أخت فرزدق مع أنها كانت مشهودا لها للعفة وحسن السيرة.

وجرير في أول أمره كان زبيري الهوى شأن شعراء مضر غير أنه بعد مقتل عبد الله بن زبير اتصل بواسطة الحجاج بن يوسف بعبد الملك بن مروان ثم بمن جاء بعده من الخلفاء الذين عاصروهم فمدحوهم وأخذ جوائزه.

كان جرير يستهل أكثر قصائده المدحية والهجائية بالغزل التقليدي وأجمل غزله وأرقه عاطفة وأصدقه شعورا ما قاله في زوجه خالدة أم حزرة ولا سيما قصيدته النونية التي يظهر منها أنه كان يحب خالدة حبا شديدا وقد رثاها لما ماتت بقصيدة رائية يخيل إلى من يقرأها عن دموع شاعر تترقرق

فيها وعاطفته المخلصة تتدفق منها غير أنه شوه كل هذا بأن جعله مقدمة هجاء الفرزدق هجاء مقذعا مملوءا بالشتائم والألفاظ البذيئة.

وشعره على رقته وهلهلته في الغزل والرثاء لا يقل في أكثر مدحه وهجائه خشونة وإغرابا عن الشعر الفرزدق ومعانيه وعناصر تعبيره ومواد فخره هي في كل قصائده حتى أنه يكرر أحيانا الألفاظ والتعابير التي قالها في قصائد سابقة.

فيعد جرير واحداً من فحول الشعراء، والذي تنوع شعره ما بين الهجاء، والمدح، والغزل فقدم العديد من القصائد التي ظهرت فيها بلاغته، نشأ جرير بالبادية وكانت أكثر إقامته بها، وكان يذهب أحياناً إلي البصرة فكان يمدح كبرائها، وهناك التقى جرير بالفرزدق وأصبح بينهما منذ ذلك اليوم صولات وجولات في الهجاء والتي استمرت سنوات عديدة، لم تنتهي إلا بوفاة الفرزدق.

أسلوبه الشعري

تميز ثلاثة من الشعراء في العصر الأموي وهم جرير والأخطل والفرزدق، وعلى الرغم من تفوق الثلاثة في الشعر إلا أن كل واحد منهم قد تميز في اتجاه معين، وكان جرير يتميز بجودة الغزل وجمال اللفظ ورقة الأسلوب، بينما أجاد الفرزدق الفخر وقوة الشعر والألفاظ، ومال الأخطل إلي وصف الخمر والجودة في المدح والهجاء على حد سواء، وعمل عدد من النقاد على تقديم جرير وشعره على كل من الأخطل والفرزدق، وذلك نظراً لرقة أسلوبه وحسن خلقه وصفاء طبعه مما انعكس بالتالي على شعره، وكان جرير ماهراً بالعديد من الفنون الشعرية، من الغزل والفخر والمدح والهجاء والرثاء.

بالنسبة للمدح اشتهر جرير بمدحه لبني أمية، حيث عمل على مدحهم وتمجيدهم وكان كغيره من الشعراء يسعى للتكسب من خلال مدحه، أما الرثاء عنده كان ينقسم إلى رثاء خاص بعائلته وبيته والأخر كان يخص به رجال الدولة والخلفاء، أما الهجاء فكان له أسلوبه الخاص فيه وتمكن من تحقيق الغلبة على العديد من الشعراء في المهاجاة التي تدور بينهم ولم يثبت أمامه سوى الأخطل والفرزدق كما سبق أن ذكرنا، وكان يتبع أسلوب معين في الهجاء حيث يتتبع أصول الشعراء لينظم الشعر فيما يسؤهم من ماضيهم وماضي قبائلهم، كما عمد إلى السخرية منهم فجاء هجاؤه لاذعاً وقاسياً.

الفرزدق

الفرزدق هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي وكنيته أبو فراس . وهو من سلالة مضر بن نزار . شاعر من النبلاء و عظيم الأثر في اللغة وسمي الفرزدق لضخامة وتجهم وجهه .

ولقــبه الفرزدق ، ومعناها الرغيف ، لقب بذلك لجهامة كانت في وجهه ، وقيل لقبح ودمامة ، إذ كان وجهه كالرغيف المحروق.

نشــأة الفرزدق : الفرزدق شاعر أموي مشهور ، ولد في كاظمة في الكويت "حاليا" عام 38ه الموافق سنة 658 م . نشأ في البصرة و نبغ في الشعر منذ صغره.

منزلة الفرزدق : الفرزدق من شعراء الطبقة الأولى من الأمويين ، ومن نبلاء قومه وسادتهم ، يقــال أنــه لم يكن يجلس لوجبة وحده أبدا ، وكان يجير من استجار بقبر أبيه ، وجده صعصعة كان محيي الموؤودات وهن البنات التي كانت تدفن قبل الإسلام في الجاهلية . وكان الفرزدق كثير الهجاء ، إذ أنــه اشتهر بالنقائض التي بينه وبين جرير الشاعر . حيث تبادل الهجاء هو وجرير طيلة نصف قرن حتى توفي جرير سنة 732 م.تنقل بين الأمراء والولاة يمدحهم ثم يهجوهم ثم يمدحهم.

نظــم الفــرزدق في معظم فنون الشعر المعروفة في عصره وكان يكثر الفخر يليه في ذلك الهجاء ثم المديح . مدح الخلفاء الأمويين بالشام ، ولكنه لم يدم عندهم لتشيعه لآل البيت. كان معاصرا لالأخطل ولجرير الشاعر أيضا ، وكانت بينهما صداقة حميمة ، إلا أن النقائض بينهما أوهمت البعض أن بيــنهم تحاسدا وكرها ، وانشعب الناس في أمرهما شعبتين لكل شاعر منهما فريق ، ولجرير في الفرزدق رثاء جميل

كانت للفرزدق مواقف محمودة في الذود عن آل البيت ، وكان ينشد بين أيدي الخلفاء قاعدا . يقــول أهل اللغة :لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث العربية كان مقدما في الشعراء ، وصريحا جريء ، يتجلى ذلك عندما يعود له الفضل في أحياء الكثير من الكلمات العربية التي اندثرت. من قوله:

إذا مت فابكيني بما أنا أهله فكل جميل قلته فيّ يصدق

وكم قائل مات الفرزدق والندى وقائلة مات الندى والفرزدق

قــدم هشــام بن عبد الملك للحج برفقة حاشيته وقد كان معهم الشاعر العربي الفرزدق وكان البــيت الحرام مكتظاً بالحجيج في تلك السنه ولم يفسح له المجال للطواف فجلب له متكأ ينتظر دوره وعندما قدم الامام زين العابدين علي ين الحسين بن ابي طالب عليهم السلام انشقت له صفوف الناس حتى ادرك الحجر الاسود فثارت حفيظة هشام واغاضه ما فعلته الحجيج للامام ع فسئله احد مرافقيه فقــال هشام بن عبد الملك لا اعرف!؟ فأجابه الشاعر العربي الفرزدق هذه القصيدة وهي اروع ماقاله الفرزدق:

هذا الذي تعرف البطحاء وطئته والبيت يعرفه والحلُّ والحرمُ

هذا بن خير عباد الله كُـلُّهمُ هذا التقي النقي الطاهرُ العلمُ
هذا بن فاطمةٍ انْ كنت جاهله بجده انبياء الله قد ختموا
وليس قولك منْ هذا؟بضائره العرب تعرف من انكرت والعجمُ
كلتا يديه غياثٌ عـمَّ نفعهما يستوكفان ولا يعروهما عـدَمُ
سهل الخليقة لاتخشى بوادره يزينه اثنان حِسنُ الخلق والشيمُ
حـمّال اثقال اقوامٍ اذا امتدحوا حلو الشمائل تحلو عنده نعمُ
ما قال لاقطّ الا في تشهده لولا التشهّد كانت لاءه نـعمُ
عـمّ البرية بالاحسان فانقشعت عنها الغياهب والاملاق والعدمُ
اذا رأته قريش قال قائلها الى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
ُغضي حياءً ويغضي من مهابته فلا يكلـّم الا حين يبتسـمُ
بكفـّهِ خيزرانُ ريحها عبق من كـف اروع في عرنينه شممُ
يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ما جاء يستلمُ
الله شرّفه قدمـاً وعظـّمـه جرى بذاك له في لوحة القلمُ
يُّ الخلائق ليست في رقابهمُ لأوّليـّه هذا اوله نِـعمُ
من يشكر الله يشكر اوّليـّه ذا فالدين من بيت هذا ناله الاممُ
ينمي الى ذروة الدين التي قصرت عنها الاكف وعن احراكها القدمُ
من جده دان فضل الانبياء له وفضل امته دانت له الاممُ
مشتقة من رسول الله نبعته طابت مغارسه والخيم والشـيمُ
ينشق نور الدجى عن نور غرته كالشمس تنجاب عن اشراقها الظلمُ
من معشرٍ حبهم دينٌ وبغضهمٌ كفرٌ وقربهم منجى ومعتصـمُ
مقـدّمٌ بعد ذكر الله ذكرهمُ في كِلّ بدءٍ ومختومٍ به الكـلمُ
إن عـدّ اهل التقى كانوا ائمتهم او قيل من خير اهل الارض قيل همُ
لا يستطيع جوادُ بعد جودهم ولا يدانيهم قوم وإن كرمُوا
هم الغيوث اذا ما ازمة ازمت والاسد اسدُ الشرى والبأس محتدم
لاينقص العسر بسطاً من اكفّهم سيّان ذلك إن اثروا وإن عدموا
يستدفع الشرّ والبلوى بحبّهم ويسترِبٌ به والاحسان والنعـمُ

كان جد الفرزدق يشتري المؤودات في الجاهلية ثم أسلم أبوه بعد ظهور الإسلام . تربى الفرزدق في البادية فاستمد منها فصاحته و طلاقة لسانه .توفي في بادية البصرة وقد قارب المئة ، وتوفي سنة 110 هـ الموافق 728 م

الأخطل
(نحو 20-92هـ/640-710م)

أبو مالك غياث بن غوث بن الصلت، شاعر أموي فحل، وأحد شعراء النقائض البارزين، ينتمي إلى قبيلة تغلب، وهي قبيلة كثيرة العدد، منيعة الجانب كانت تنزل أراضي الجزيرة بين دجلة والفرات، ويدين أكثر أبنائها، ومنهم الأخطل، بالمسيحية. وقد غلب على الشاعر لقب «الأخطل» لسفاهته وسلاطة لسانه. ويقال إن أمه لقبته في صغره بدوبل، وهو الخنزير الصغير، وقد عيره جرير بهذا اللقب.

ولد الأخطل في ديار قومه بالجزيرة ، ونشأ فيها نشأة بدوية خالصة، وظهر ميله إلى قول الشعر، ولاسيما الهجاء. ثم اتصل ببعض أشراف قبيلة ربيعة في العراق ومدحهم. غير أن صيته لم يذع إلا بعد اتصاله بالبيت الأموي في دمشق. وقد استعان به يزيد بن معاوية في هجاء الأنصار، ليرد على تشبيب عبد الرحمن بن **حسان بن ثابت** الأنصاري برملة بنت معاوية أخت يزيد، فهجاهم بأبيات هجاء موجعاً ومنها قوله:

ذهبت قريش بالمكارم والعلا واللؤم تحت عمائم الأنصار

وثار الأنصار لهجاء الأخطل إياهم وشكاه سيدهم النعمان بن بشير إلى معاوية، فوعدهم بقطع لسانه، ولكن يزيد حال دون ذلك، وأصبح الأخطل بعدئذ نديماً ليزيد، يحضر مجالس لهوه وشرابه وينشده أماديحه. ولما مات يزيد رثاه الأخطل بقصيدة هي المرثية الوحيدة في ديوانه. وبعد وفاة يزيد واعتزال ابنه معاوية الثاني الحكم اضطرب أمر الأمويين، ونازعهم عبد الله بن الزبير الأمر، ووقفت قبيلة قيس إلى جانبه، في حين ناصرت اليمانية وأهل الشام بني أمية وبايعوا مروان بن الحكم. ونشبت بين الفريقين موقعة «مرج راهط» التي انتصر فيها بنو أمية واليمانية، فلجأت قيس مع زعيمها زفر بن الحارث إلى الشمال واستقرت قرب الخابور مجاورة لبني تغلب. وقد استقبل التغالبة القيسيين استقبالاً حسناً في بادئ الأمر، ولكن لما تحرش القيسية ببني تغلب، وكثرت غاراتهم عليهم ناصبتهم تغلب العداوة ووقعت بين القبيلتين وقائع كثيرة، تركت صداها في شعر شعراء القبيلتين.

وقد اشترك الأخطل في إحدى هذه الوقائع، وقتل أبوه، أو ابنه فيها، كما أسر الأخطل نفسه، ثم أطلق سراحه لأنهم ظنوه عبداً. وقد استطاع عبد الملك، آخر الأمر، أن يصلح ما بينهما، واحتمل ديات القتلى. وقد وقف جرير في جانب القيسية بعد أن وقعت العداوة بينه وبين الأخطل.

قرّب عبد الملك الأخطل، وأفاض عليه عطاياه لجودة مدائحه فيه وفي بني أمية. وانقطع الأخطل إلى بني أمية، وقال فيهم أجود مدائحه، وهجا أعداءهم، فمدح من خلفائهم، غير يزيد ابن معاوية، عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك، ومدح من ولاتهم وأشرافهم بشر بن مروان وعبد الله بن أسيد، وكان مديحه لبني أمية من أجود ما قيل من الشعر السياسي في العصر الأموي. ومن أجود مدائحه فيهم رائيته «خف القطين» التي يقول فيها:

حشد على الحق عيافو الخنى أنف إذا ألمت بهم مكروهة صبروا

شمس العداوة حتى يستقاد لهم واعظ الناس أحلاما إذا قدروا

ولم يكتف الأخطل بمدح بني أمية، بل هجا أعداءهم حتى قويت دالته على الخليفة، وكان يستغل مدائحه في نصرة قومه بني تغلب، وتحريض بني أمية على القيسية أعداء قومه، وقال في ذلك شعراً كثيراً، منه قوله:

بني أمية إني ناصح لكم فلا يبتن فيكم آمنا زفر

وفي عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك بقي الأخطل مناصراً للأمويين مادحاً للخليفة، ولكن خصوم الشاعر استطاعوا أن ينالوا منه لدى الخليفة الذي كان أكثر تديناً من أبيه واتصافاً بالتقوى وأقل رغبة في الشعر والأدب، وغدا نفوذ الأخطل ضئيلاً وكلامه غير مسموع مما اضطره إلى الابتعاد عن البلاط خوفاً من دسائس الوشاة.

توفي الأخطل في السنة الخامسة من خلافة الوليد بن عبد الملك، وقد بلغ السبعين، ولا تتوافر معلومات موثقة عن مكان وفاته، والأرجح أنه مات بين قومه في الجزيرة. وقد مات على دينه، ويظهر أن عبد الملك حاول ترغيب الشاعر في اعتناق الإسلام، إلا أن الأخطل كان يعتذر ويتخلص بلباقة. وظلّ وفياً لدينه، وتحمّل في آخر حياته - من خشية الموت - رياضات الزهد والتوبة والندم، ولا يوجد لعقيدته الدينية في ديوانه إلا أثر ضئيل.

كان الأخطل مسرفاً في الشراب، وكان مرحاً، بارعاً في التهكم والهجاء، ولكنه كان عفيفاً يبتعد عن التبذل في القول،ويحافظ على عفة اللسان مع سلاطته.

وكان يتخلق بأخلاق البدو ويلبس أزياءهم، حتى في البلاط الأموي، وينفر من المدينة ويحن إلى الصحراء. وكان متعلقاً بأسرته، والراجح أنه تزوج في الجزيرة بامرأة من قومه هي أم مالك رزق منها أبناء كثيرين، ثم طلقها بعد أن اختلف معها وتزوج أخرى، ثم حن إليها، وكانت بعض الاجتهادات المسيحية تجيز الطلاق.

جمـــع الأخطل في شخصه صفات متفاوتة، فقد قرن الإقدام والجرأة إلى الدهاء والاطلاع الواسع، وكـــان قـــومه يأخذون برأيه، وكثيراً ما شفع لأفراد منهم لدى الخليفة، وكان إلى هذا يخضع للرؤساء الروحيين لدينه خضوع الطفل، كما خضع للأمويين، ولم يكن يعبأ بما يلقاه من سخط الناقمين عليه.

تـــناول الأخطل جميع الأغراض الشعرية المعروفة، وكان ينظم شعره في الإطار التقليدي للشعر العربـــي الخـــالص المتوارث عن الجاهليين، وقد تفوق في المديح، وارتقى به من المديح الفردي الذي عـــرف فـــي الجاهلـــية، إلـــى الشـــعر السياسي الذي سخره لخدمة الخلافة الأموية وتأييدها والتنديد بخصومها.

وقد ساقه موقفه من بني أمية إلى هجاء خصومهم، وكان هجاؤه مزدوج الغاية يرمي به إلى الدفاع عن بني أمية، كما يرمي به إلى الدفاع عن نفسه وقومه.

وكـــان الأخطـــل قـــد دخل معركة النقائض بعد أن بلغ قمة شهرته، وانحاز إلى الفرزدق، فاتصل الهجـــاء بيـــنه وبين جرير، ونكاية بالأخطل أخذ جرير يمدح قيس عيلان، فيرد عليه الأخطل بهجائه وهجـــاء قـــيس. وكان هجاء الأخطل هجومياً وموجعاً من غير فحش، يطعن بالقبيلة أكثر مما يطعن بالفرد المهجو.

وقد تفوق الأخطل بالموضوعات الخمرية، كما برع في وصف الطبيعة التي أحبها فوصف الفرات والفلوات والحمر الوحشية والأراقم، أما الفن الذي قصر فيه فهو الرثاء.

امـــتاز شـــعر الأخطـــل بالجزالة وطول النفس وسلامة التعبير وحسن السبك، وكان يحرص على تهـــذيب شعره وتنقيحه، ويروى أنه أقام سنة في نظم قصيدته «خفّ القطين»، وقد أجمع القدامى على أنه أحد الثلاثة المتفوقين في فنون الشعر في العصر الأموي، أما الآخرين فهما جرير والفرزدق، وكان يجري في شعره على سنن الشعراء الجاهليين.

للأخطـــل منـــزلة تاريخـــية إضـــافة إلى منزلته الأدبية، فقد كان، بسبب اتصاله بالبلاط الأموي وانقطاعـــه إلى الأمراء والخلفاء واشتراكه الفعلي في الأيام والمعارك التي خاضتها قبيلته، يمثل الواقع السياســـي للحكم الأموي وتناحر الأحزاب واشتداد العصبية القبلية، حتى عُدّ شعره سجلاً حياً للعصر الأموي. ترك الأخطل كثيراً من القصائد، جمعها قديما أبو سعيد السكري وضبطها ودونها في ديوان. وطبع الديوان في العصر الحديث عدة طبعات.

PART – II
DETAILED STUDY

SECTION – A
CLASSICAL PROSE

UNIT – X
(SURATUL INSAN)

الباب العاشر
سورة الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا

سُورَة الإنْسَان : قَدْ تَقَدَّمَ فِي صَحِيح مُسْلِم عَنْ اِبْن عَبَّاس أَنَّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأ فِي صَلا ة الصُّبْح يَوْم الْجُمُعَة " الم تَنْزِيل" السَّجْدَة وَ " هَلْ أَتَى عَلَى الإنْسَان " وَقَالَ عَبْد اللَّه بْن وَهْب أَخْبَرَنَا اِبْن زَيْد أَنَّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ هَذِهِ السُّورَة " هَلْ أَتَى عَلَى الإنْسَان حِين مِنْ الدَّهْر " وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ وَعِنْده رَجُل أَسْوَد فَلَمَّا بَلَغَ صِفَة الْجِنَان زَفَر زَفْرَة فَخَرَجَتْ نَفْسه فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أَخَرَجَ نَفْس صَاحِبكُمْ - أَوْ قَالَ أَخِيكُمْ - الشَّوْق إِلَى الْجَنَّة " مُرْسَل غَرِيب يَقُول تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ الإنْسَان أَنَّهُ أَوْجَدَهُ بَعْد أَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا يُذْكَر لِحَقَارَتِهِ وَضَعْفه فَقَالَ تَعَالَى" هَلْ أَتَى عَلَى الإنْسَان حِين مِنْ الدَّهْر لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا .

إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا

" أَمْشَاج " أَيْ أَخْلا ط وَالْمَشِج وَالْمَشِيج الشَّيْء الْمُخْتَلِط بَعْضه فِي بَعْض قَالَ اِبْن عَبَّاس فِي قَوْله تَعَالَى " مِنْ نُطْفَة أَمْشَاج " يَعْنِي مَاء الرَّجُل وَمَاء الْمَرْأَة إِذَا اِجْتَمَعَا وَاخْتَلَطَا ثُمَّ يَنْتَقِل بَعْد مِنْ طَوْر إِلَى طَوْر وَحَال إِلَى حَال وَلَوْن إِلَى لَوْن وَهَكَذَا قَالَ عِكْرِمَة وَمُجَاهِد وَالْحَسَن وَالرَّبِيع بْن أَنَس الأمْشَاج هُوَ اِخْتِلا ط مَاء الرَّجُل بِمَاءِ الْمَرْأَة وَقَوْله تَعَالَى " نَبْتَلِيه " أَيْ نَخْتَبِرهُ كَقَوْلِهِ جَلَّ جَلا له " لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَن عَمَلا " " فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا " أَيْ جَعَلْنَا لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا يَتَمَكَّن بِهِمَا مِنْ الطَّاعَة وَالْمَعْصِيَة .

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

أَيْ بَيَّنَّاهُ لَهُ وَوَضَّحْنَاهُ وَبَصَّرْنَاهُ بِهِ كَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلا " وَأَمَّا ثَمُود فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى " وَكَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلا " وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ" أَيْ بَيَّنَّا لَهُ طَرِيق الْخَيْر وَطَرِيق الشَّرّ وَهَذَا قَوْل عِكْرِمَة وَعَطِيَّة وَابْن زَيْد وَمُجَاهِد فِي الْمَشْهُور عَنْهُ وَالْجُمْهُور وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِد وَأَبِي صَالِح وَالضَّحَّاك وَالسُّدِّيّ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي قَوْله تَعَالَى " إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيل" يَعْنِي خُرُوجه مِنْ الرَّحِم وَهَذَا قَوْل غَرِيب وَالصَّحِيح الْمَشْهُور الأَوَّل وَقَوْله تَعَالَى " إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا " مَنْصُوب عَلَى الْحَال مِنْ الْهَاء فِي قَوْله " إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيل " تَقْدِيره فَهُوَ فِي ذَلِكَ إِمَّا شَقِيّ وَإِمَّا سَعِيد كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِم عَنْ أَبِي مَالِك الأَشْعَرِيّ قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" كُلّ النَّاس يَغْدُو فَبَائِع نَفْسه فَمُوبِقهَا أَوْ مُعْتِقهَا" وَقَالَ الإِمَام أَحْمَد حَدَّثَنَا عَبْد الرَّزَّاق حَدَّثَنَا مَعْمَر عَنْ اِبْن خُثَيْم عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن سَابِط عَنْ جَابِر بْن عَبْد اللَّه

أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِكَعْبِ بْن عُجْرَة " أَعَاذَك اللَّه مِنْ إِمَارَة السُّفَهَاء" قَالَ وَمَا إِمَارَة السُّفَهَاء ؟ قَالَ " أُمَرَاء يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي لا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ وَلا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمهمْ فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي وَلَسْت مِنْهُمْ وَلا يَرِدُونَ عَلَى حَوْضِي وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمهمْ فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ وَسَيَرِدُونَ عَلَى حَوْضِي يَا كَعْب بْن عُجْرَة : الصَّوْم جُنَّة وَالصَّدَقَة تُطْفِئ الْخَطِيئَة وَالصَّلا ة قُرْبَات - أَوْ قَالَ بُرْهَان - يَا كَعْب بْن عُجْرَة : إِنَّهُ لا يَدْخُل الْجَنَّة لَحْم نَبَتَ مِنْ سُحْت النَّار أَوْلَى بِهِ يَا كَعْب : النَّاس غَادِيَانِ فَمُبْتَاع نَفْسه فَمُعْتِقهَا وَبَائِع نَفْسه فَمُوبِقهَا " وَرَوَاهُ عَنْ عَفَّان بْن وُهَيْب عَنْ عَبْد اللَّه بْن خُثَيْم بِهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي سُورَة الرُّوم عِنْد قَوْله جَلَّ جَلا له " فِطْرَة اللَّه الَّتِي فَطَرَ النَّاس عَلَيْهَا" مِنْ رِوَايَة جَابِر بْن عَبْد اللَّه رَضِيَ اللَّه تَعَالَى عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " كُلّ مَوْلُود يُولَد عَلَى الْفِطْرَة حَتَّى يُعْرِب عَنْهُ لِسَانه إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا " وَقَالَ الإِمَام أَحْمَد حَدَّثَنَا أَبُو عَامِر حَدَّثَنَا عَبْد اللَّه بْن جَعْفَر عَنْ عُثْمَان بْن مُحَمَّد عَنْ الْمَقْبُرِيّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " مَا مِنْ خَارِج يَخْرُج إِلا بِبَابِهِ رَايَتَانِ : رَايَة بِيَدِ مَلَك وَرَايَة بِيَدِ شَيْطَان فَإِنْ خَرَجَ لِمَا يُحِبّ اللَّه اِتَّبَعَهُ الْمَلَك بِرَايَتِهِ فَلَمْ يَزَلْ تَحْت رَايَة الْمَلَك حَتَّى يَرْجِع إِلَى بَيْته وَإِنْ خَرَجَ لِمَا يُسْخِط اللَّه اِتَّبَعَهُ الشَّيْطَان بِرَايَتِهِ فَلَمْ يَزَلْ تَحْت رَايَة الشَّيْطَان حَتَّى يَرْجِع إِلَى بَيْته " .

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلا سِلا وَأَغْلا لا وَسَعِيرًا

يُخْبِر تَعَالَى عَمَّا أَرْصَدَهُ لِلْكَافِرِينَ مِنْ خَلْقه بِهِ مِنْ السَّلا سِل وَالأَغْلا ل وَالسَّعِير وَهُوَ اللَّهَب وَالْحَرِيق فِي نَار جَهَنَّم كَمَا قَالَ تَعَالَى " إِذْ الأَغْلا ل فِي أَعْنَاقهمْ وَالسَّلا سِل يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيم ثُمَّ فِي النَّار يُسْجَرُونَ" وَلَمَّا ذَكَرَ مَا أَعَدَّهُ لِهَؤُلا ء الأَشْقِيَاء مِنْ السَّعِير .

إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا

وَقَدْ عُلِمَ مَا فِي الْكَافُور مِنْ التَّبْرِيد وَالرَّائِحَة الطَّيِّبَة مَعَ مَا يُضَاف إِلَى ذَلِكَ مِنْ اللَّذَاذَة فِي الْجَنَّة قَالَ الْحَسَن بَرْد الْكَافُور فِي طِيب الزَّنْجَبِيل .

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا

أَيْ هَذَا الَّذِي مُزِجَ لِهَؤُلا ء الأَبْرَار مِنْ الْكَافُور هُوَ عَيْن يَشْرَب بِهَا الْمُقَرَّبُونَ مِنْ عِبَاد اللَّه صَرْفًا بِلا مَزْج وَيُرْوَوْنَ بِهَا وَلِهَذَا ضَمَّنَ يَشْرَب مَعْنَى يَرْوَى حَتَّى عَدَّاهُ بِالْبَاءِ وَنَصَبَ عَيْنًا عَلَى التَّمْيِيز قَالَ بَعْضهمْ هَذَا الشَّرَاب فِي طِيبه كَالْكَافُورِ وَقَالَ بَعْضهمْ هُوَ مِنْ عَيْن كَافُور وَقَالَ بَعْضهمْ يَجُوز أَنْ يَكُون مَنْصُوبًا بِيَشْرَب حَكَى هَذِهِ الأَقْوَال الثَّلا ثَة اِبْن جَرِير . وَقَوْله تَعَالَى " يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا

" أيْ يَتَصَـــرَّفُونَ فِيهَا حَيْثُ شَاءُوا وَأَيْنَ شَاءُوا مِنْ قُصُورهِمْ وَدُورهِمْ وَمَجَالِسهِمْ وَمَحَالّهِمْ وَالتَّفْجِير هُوَ الإِنْبَاع كَمَا قَالَ تَعَالَى " وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِن لك حَتَّى تَفْجُر لَنَا مِنْ الأَرْض يَنْبُوعًا" وَقَالَ " وَفَجَّرْنَا خِلا لهمَا نَهَرًا " . وَقَالَ مُجَاهِد " يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا " يَقُودُونَهَا حَيْثُ شَاءُوا وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَة وَقَتَادَة وَقَالَ الثَّوْرِيّ يَصْرِفُونَهَا حَيْثُ شَاءُوا .

يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا

أيْ يَتَعَـــبَّدُونَ لِلَّـــهِ فِيمَا أَوْجَبَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ فِعْل الطَّاعَات الْوَاجِبَة بِأَصْلِ الشَّرْع وَمَا أَوْجَبُوهُ عَلَى أَنْفُســهِمْ بِطَرِيق النَّذْر قَالَ الإِمَام مَالِك عَنْ طَلْحَة بْن عَبْد الْمَلِك الأَيْلِيّ عَنْ الْقَاسِم بْن مَالِك عَنْ عَائِشَة رَضِـــيَ اللَّه عَنْهَا أَنَّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ" مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيع اللَّه فَلْيُطِعْهُ وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِـــي اللَّه فَلا يَعْصِهِ " رَوَاهُ الْبُخَارِيّ مِنْ حَدِيث مَالِك .وَيَتْرُكُونَ الْمُحَرَّمَات الَّتِي نَهَاهُمْ عَنْهَا خِيفَة مِنْ سُوء الْحِسَاب يَوْم الْمَعَاد وَهُوَ الْيَوْم الَّذِي شَرّه مُسْتَطِير أيْ مُنْتَشِر عَامّ عَلَى النَّاس إلا مَنْ رَحِمَ اللَّه قَـــالَ اِبْـــن عَبَّاس فَاشِيًا وَقَالَ قَتَادَة اِسْتَطَارَ وَاَللَّه شَرّ ذَلِكَ الْيَوْم حَتَّى مَلا السَّمَوَات وَالأَرْض قَالَ اِبْن جَرِيـــر : وَمِنْهُ قَوْلهمْ اِسْتَطَارَ الصَّدْع فِي الزُّجَاجَة وَاسْتَطَالَ وَمِنْهُ قَوْل الأَعْشَى : فَبَانَتْ وَقَدْ أَسَأت فِي الْقَوْل د صَدْعًا عَلَى نَأيهَا مُسْتَطِيرًا يَعْنِي مُمْتَدًّا فَاشِيًا .

وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا

" عَلَى حُبّه " قِيلَ عَلَى حُبّ اللَّه تَعَالَى وَجَعَلُوا الضَّمِير عَائِدًا إِلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ لِدَلالَةِ السِّيَاق عَلَـــيْهِ وَالأَظْهَر أَنَّ الضَّمِير عَائِد عَلَى الطَّعَام أيْ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَام فِي حَال مَحَبَّتهمْ وَشَهْوَتهمْ لَهُ قَالَهُ مُجَاهِـــد وَمُقَاتِل وَاخْتَارَهُ اِبْن جَرِير كَقَوْلِهِ تَعَالَى " وَآتَى الْمَال عَلَى حُبّه " وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى " لَنْ تَنَالُوا الْبِرّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ " . وَرَوَى الْبَيْهَقِيّ مِنْ طَرِيق الأَعْمَش عَنْ نَافِع قَالَ : مَرِضَ اِبْن عُمَر فَاشْتَهَى عِنَـــبًا أَوَّل مَا جَاءَ الْعِنَب فَأَرْسَلَتْ صَفِيَّة يَعْنِي اِمْرَأَته فَاشْتَرَتْ عُنْقُودًا بِدِرْهَمٍ فَاتَّبَعَ الرَّسُول سَائِل فَلَمَّا دَخَـــلَ بِـــهِ قَالَ السَّائِل : السَّائِل فَقَالَ اِبْن عُمَر : أَعْطُوهُ إِيَّاهُ فَأَعْطَوْهُ إِيَّاهُ فَأَرْسَلَتْ بِدِرْهَمٍ آخَر فَاشْتَرَتْ عُـــنْقُودًا فَاتَّـــبَعَ الرَّسُول السَّائِل فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ السَّائِل : السَّائِل فَقَالَ اِبْن عُمَر : أَعْطُوهُ إِيَّاهُ فَأَعْطَوْهُ إِيَّاهُ فَأَرْسَلَتْ صَفِيَّة إِلَى السَّائِل فَقَالَ وَاَللَّه إِنْ عُدْت لا تُصِيب مِنْهُ خَيْرًا أَبَدًا ثُمَّ أَرْسَلَتْ بِدِرْهَمٍ آخَر فَاشْتَرَتْ بِـــهِ . وَفِي الصَّحِيح " أَفْضَل الصَّدَقَة أَنْ تَصَدَّق وَأَنْتَ صَحِيح شَحِيح تَأْمُل الْغِنَى وَتَخْشَى الْفَقْر" أيْ فِي حَـــال مَحَبَّتك لِلْمَالِ وَحِرْصك عَلَيْهِ وَحَاجَتك إِلَيْهِ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى " وَيُطْعِمُونَ الطَّعَام عَلَى حُبّه مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا " أَمَّا الْمِسْكِين وَالْيَتِيم فَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانهمَا وَصِفَتهمَا وَأَمَّا الأَسِير فَقَالَ سَعِيد بْن جُبَيْر وَالْحَسَن وَالضَّحَّاك : الأَسِير مِنْ أَهْل الْقِبْلَة وَقَالَ اِبْن عَبَّاس كَانَ أُسَرَاؤُهُمْ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكِينَ وَيَشْهَد لِهَذَا أَنَّ رَسُول اللَّـــه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ أَصْحَابه يَوْم بَدْر أَنْ يُكْرِمُوا الأُسَارَى فَكَانُوا يُقَدِّمُونَهُمْ عَلَى أَنْفُسهمْ عِنْد

الْغَـدَاء وَقَـالَ عِكْرِمَة هُمْ الْعَبِيد وَاخْتَارَهُ اِبْن جَرِير لِعُمُوم الْآيَة لِلْمُسْلِمِ وَالْمُشْرِك وَهَكَذَا قَالَ سَعِيد بْن جُبَيْـر وَعَطَـاء وَالْحَسَن وَقَتَادَة وَقَدْ وَصَّى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْأَرِقَّاء فِي غَيْر مَا حَدِيث حَتَّى إِنَّهُ كَانَ آخِر مَا أَوْصَى أَنْ جَعَلَ يَقُول " الصَّلَا ة وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانكُمْ" قَالَ مُجَاهِد هُوَ الْمَحْبُوس أَيْ يُطْعِمُونَ الطَّعَام لِهَؤُلَا ء وَهُمْ يَشْتَهُونَهُ وَيُحِبُّونَهُ .

إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا

" إِنَّمَا نُطْعِمكُمْ لِوَجْهِ اللَّه " أَيْ رَجَاء ثَوَاب اللَّه وَرِضَاهُ " لا نُرِيد مِنْكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا" أَيْ لا نَطْلُب مِنْكُمْ مُجَازَاة تُكَافِئُونَنَا بِهَا وَلا أَنْ تَشْكُرُونَا عِنْد النَّاس قَالَ مُجَاهِد وَسَعِيد بْن جُبَيْر أَمَا وَاَللَّه مَا قَالُوهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَلَكِنْ عَلِمَ اللَّه بِهِ مِنْ قُلُوبهمْ فَأَثْنَى عَلَيْهِمْ بِهِ لِيَرْغَب فِي ذَلِكَ رَاغِب .

إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا

أَيْ إِنَّمَا نَفْعَل هَذَا لَعَلَّ اللَّه أَنْ يَرْحَمنَا وَيَتَلَقَّانَا بِلُطْفِهِ فِي الْيَوْم الْعَبُوس الْقَمْطَرِير . قَالَ عَلِيّ بْن أَبِـي طَلْحَـة عَـنْ اِبْن عَبَّاس عَبُوسًا ضَيِّقًا قَمْطَرِيرًا طَوِيلا وَقَالَ عِكْرِمَة وَغَيْره عَنْهُ فِي قَوْله " يَوْمًا عَبُوسًـا قَمْطَرِيرًا" قَالَ يَعْبَس الْكَافِر يَوْمئِذٍ حَتَّى يَسِيل مِنْ بَيْن عَيْنَيْهِ عَرَق مِثْل الْقَطِرَان وَقَالَ مُجَاهِد " عَبُوسًـا " الْعَابِس الشَّفَتَيْن" قَمْطَرِيرًا " قَالَ يَقْبِض الْوَجْه بِالْبُسُور وَقَالَ سَعِيد بْن جُبَيْر وَقَتَادَة تَعْبِس فِيهِ الْوُجُـوه مِـنْ الْهَـوْل قَمْطَرِيرًا تَقْلِيص الْجَبِين وَمَا بَيْن الْعَيْنَيْن مِنْ الْهَوْل وَقَالَ اِبْن زَيْد الْعَبُوس الشَّرّ وَالْقَمْطَرِير الشَّدِيد وَأَوْضَح الْعِبَارَات وَأَجْلا هَا وَأَحْلا هَا وَأَعْلا هَا وَأَوْلا هَا قَوْل اِبْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَـنْهُ . قَـالَ اِبْـن جَرِيـر وَالْقَمْطَرِيـر هُوَ الشَّدِيد يُقَال هُوَ يَوْم قَمْطَرِير وَيَوْم قُمَاطِرٌ وَيَوْم عَصِيب وَعَصَبْصَـب وَقَدْ اِقْمَطَرَّ الْيَوْم يَقْمَطِرّ اِقْمِطْرَارًا وَذَلِكَ أَشَدّ الْأَيَّام وَأَطْوَلهَا فِي الْبَلَا ء وَالشِّدَّة وَمِنْهُ قَوْل بَعْضهمْ : بَنِي عَمّنَا هَلْ تَذْكُرُونَ بَلَا ءَنَا عَلَيْكُمْ إِذَا مَا كَانَ يَوْم قُمَاطِر .

فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا

وَهَـذَا مِـنْ بَاب التَّجَانُس الْبَلِيغ " فَوَقَاهُمْ اللَّه شَرّ ذَلِكَ الْيَوْم " أَيْ آمَنَهُمْ بِمَا خَافُوا مِنْهُ " وَلَقَّاهُمْ نَضْرَة " أَيْ فِي وُجُوههمْ " وَسُرُورًا " أَيْ فِي قُلُوبهمْ . قَالَهُ الْحَسَن الْبَصْرِيّ وَقَتَادَة وَأَبُو الْعَالِيَة وَالرَّبِيع بْـن أَنَـس وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى " وُجُوه يَوْمئِذٍ مُسْفِرَة ضَاحِكَة مُسْتَبْشِرَة " وَذَلِكَ أَنَّ الْقَلْب إِذَا سُرَّ اِسْتَنَارَ الْـوَجْه قَـالَ كَعْـب بْن مَالِك فِي حَدِيثه الطَّوِيل وَكَانَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اِسْتَنَارَ وَجْهـه حَتَّى كَأَنَّهُ فِلْقَة قَمَر وَقَالَتْ عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا دَخَلَ عَلَيّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسْرُورًا تَبْرُق أَسَارِير وَجْهه الْحَدِيث .

وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا

أَيْ بِسَبَبِ صَبْرِهِمْ أَعْطَاهُمْ وَنَوَّلَهُمْ وَبَوَّأَهُمْ جَنَّة وَحَرِيرًا أَيْ مَنْزِلا رَحْبًا وَعَيْشًا رَغَدًا وَلِبَاسًا حَسَنًا وَرَوَى الْحَافِظ اِبْن عَسَاكِر فِي تَرْجَمَة هِشَام بْن سُلَيْمَان الدَّارَانِيّ قَالَ قُرِئَ عَلَى أَبِي سُلَيْمَان الدَّارَانِيّ سُورَة " هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَان" فَلَمَّا بَلَغَ الْقَارِئ إِلَى قَوْله تَعَالَى " وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّة وَحَرِيرًا " قَالَ بِمَا صَبَرُوا عَلَى تَرْك الشَّهَوَات فِي الدُّنْيَا ثُمَّ أَنْشَدَ يَقُول : كَمْ قَتِيل لِشَهْوَةٍ وَأَسِير أُفّ مِنْ مُشْتَهًى خِلا ف الْجَمِيل شَهَوَات الإِنْسَان تُورِثهُ الذُّلّ وَتُلْقِيه فِي الْبَلا ء الطَّوِيل .

مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا

يُخْبِر تَعَالَى عَنْ أَهْل الْجَنَّة وَمَا هُمْ فِيهِ مِنْ النَّعِيم الْمُقِيم وَمَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْفَضْل الْعَمِيم فَقَالَ تَعَالَى " مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِك" وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلا م عَلَى ذَلِكَ فِي سُورَة الصَّافَّات وَذُكِرَ الْخِلا ف فِي الِاتِّكَاء هَلْ هُوَ الِاضْطِجَاع أَوْ التَّرَفُّق أَوْ التَّرَبُّع أَوْ التَّمَكُّن فِي الْجُلُوس وَأَنَّ الأَرَائِك هِيَ السُّرُر تَحْت الْحِجَال وَقَوْله تَعَالَى " لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا " أَيْ لَيْسَ عِنْدهمْ حَرّ مُزْعِج وَلا بَرْد مُؤْلِم بَلْ هِيَ مِزَاج وَاحِد دَائِم سَرْمَدِيّ لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلا .

وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلا لُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلا

" وَدَانِيَة عَلَيْهِمْ ظِلا لهَا " أَيْ قَرِيبَة إِلَيْهِمْ أَغْصَانهَا" وَذُلِّلَتْ قُطُوفهَا تَذْلِيلا " أَيْ مَتَى تَعَاطَاهُ دَنَا الْقِطْف إِلَيْهِ وَتَدَلَّى مِنْ أَعْلَى غُصْنه كَأَنَّهُ سَامِع طَائِع كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الآيَة الأُخْرَى " وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ" وَقَالَ جَلَّ وَعَلا " قُطُوفهَا دَانِيَة " وَقَالَ مُجَاهِد " وَذُلِّلَتْ قُطُوفهَا تَذْلِيلا " إِنْ قَامَ اِرْتَفَعَتْ مَعَهُ بِقَدْرٍ وَإِنْ قَعَدَ تَذَلَّلَتْ لَهُ حَتَّى يَنَالهَا وَإِنْ اِضْطَجَعَ تَذَلَّلَتْ لَهُ حَتَّى يَنَالهَا فَذَلِكَ قَوْله تَعَالَى " تَذْلِيلا" وَقَالَ قَتَادَة لا يَرُدّ أَيْدِيهِمْ عَنْهَا شَوْك وَلا بُعْد وَقَالَ مُجَاهِد أَرْض الْجَنَّة مِنْ وَرِق وَتُرَابهَا الْمِسْك وَأُصُول شَجَرهَا مِنْ ذَهَب وَفِضَّة وَأَفْنَانهَا مِنْ اللُّؤْلُؤ الرَّطْب وَالزَّبَرْجَد وَالْيَاقُوت وَالْوَرِق وَالثَّمَر بَيْن ذَلِكَ فَمَنْ أَكَلَ مِنْهَا قَائِمًا لَمْ تُؤْذِهِ وَمَنْ أَكَلَ مِنْهَا قَاعِدًا لَمْ تُؤْذِهِ وَمَنْ أَكَلَ مِنْهَا مُضْطَجِعًا لَمْ تُؤْذِهِ .

وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ

أَيْ يَطُوف عَلَيْهِمْ الْخَدَم بِأَوَانِي الطَّعَام وَهِيَ مِنْ فِضَّة وَأَكْوَاب الشَّرَاب وَهِيَ الْكِيزَان الَّتِي لا عُرَى لَهَا وَلا خَرَاطِيم " قَوَارِيرَا " مَنْصُوب بِخَبَرِ كَانَ أَيْ كَانَتْ قَوَارِيرَا .

قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا

" قَوَارِيرَا " مَنْصُوب إِمَّا عَلَى الْبَدَلِيَّة أَوْ تَمْيِيز لِأَنَّهُ بَيَّنَهُ بِقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلا " قَوَارِيرَا مِنْ فِضَّة " قَالَ اِبْن عَبَّاس وَمُجَاهِد وَالْحَسَن الْبَصْرِيّ وَغَيْر وَاحِد بَيَاض الْفِضَّة فِي صَفَاء الزُّجَاج وَالْقَوَارِير لا تَكُون إِلا مِنْ زُجَاج فَهَذِهِ الأَكْوَاب هِيَ مِنْ فِضَّة وَهِيَ مَعَ هَذَا شَفَّافَة يُرَى مَا فِي بَاطِنهَا مِنْ ظَاهِرهَا وَهَذَا مِمَّا لا نَظِير لَهُ فِي الدُّنْيَا قَالَ اِبْن الْمُبَارَك عَنْ إِسْمَاعِيل عَنْ رَجُل عَنْ اِبْن عَبَّاس : لَيْسَ فِي الْجَنَّة شَيْء إِلا قَدْ أَعْطَيْتُمْ فِي الدُّنْيَا شَبَهه إِلا قَوَارِيرَا مِنْ فِضَّة . رَوَاهُ اِبْن أَبِي حَاتِم . وَقَوْله تَعَالَى " قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا " أَيْ عَلَى قَدْر رِيّهمْ لا تَزِيد عَنْهُ وَلا تَنْقُص بَلْ هِيَ مُعَدَّة لِذَلِكَ مُقَدَّرَة بِحَسَبِ رِيّ صَاحِبهَا هَذَا مَعْنَى قَوْل اِبْن عَبَّاس وَمُجَاهِد وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَأَبِي صَالِح وَقَتَادَة وَابْن أَبْزَى وَعَبْد اللَّه بْن عُبَيْد اللَّه بْن عُمَيْر وَقَتَادَة وَالشَّعْبِيّ وَابْن زَيْد وَقَالَهُ اِبْن جَرِير وَغَيْر وَاحِد وَهَذَا أَبْلَغ فِي الِاعْتِنَاء وَالشَّرَف وَالْكَرَامَة وَقَالَ الْعَوْفِيّ عَنْ اِبْن عَبَّاس " قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا " قُدِّرَتْ لِلْكَفِّ وَهَكَذَا قَالَ الرَّبِيع بْن أَنَس وَقَالَ الضَّحَّاك عَلَى قَدْر كَفّ الْخَادِم وَهَذَا لا يُنَافِي الْقَوْل الأَوَّل فَإِنَّهَا مُقَدَّرَة فِي الْقَدْر وَالرِّيّ .

وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلا

أَيْ وَيُسْقَوْنَ يَعْنِي الأَبْرَار أَيْضًا فِي هَذِهِ الأَكْوَاب " كَأْسًا " أَيْ خَمْرًا " كَانَ مِزَاجهَا زَنْجَبِيلا " فَتَارَة يُمْزَج لَهُمْ الشَّرَاب بِالْكَافُورِ وَهُوَ بَارِد وَتَارَة بِالزَّنْجَبِيلِ وَهُوَ حَارّ لِيَعْتَدِل الأَمْر وَهَؤُلاءِ يُمْزَج لَهُمْ مِنْ هَذَا تَارَة وَمِنْ هَذَا تَارَة وَأَمَّا الْمُقَرَّبُونَ فَإِنَّهُمْ يَشْرَبُونَ مِنْ كُلّ مِنْهُمَا صِرْفًا كَمَا قَالَهُ قَتَادَة وَغَيْر وَاحِد .

عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلا

وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْله جَلَّ وَعَلا " عَيْنًا يَشْرَب بِهَا عِبَاد اللَّه " وَقَالَ هَاهُنَا " عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلا " أَيْ الزَّنْجَبِيل عَيْن فِي الْجَنَّة تُسَمَّى سَلْسَبِيلا قَالَ عِكْرِمَة : اِسْم عَيْن فِي الْجَنَّة وَقَالَ مُجَاهِد سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِسَلا سَة مَسِيلهَا وَحِدَّة جَرْيهَا وَقَالَ قَتَادَة عَيْن فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلا عَيْن سَلِسَة مُسْتَقِيد مَاؤُهَا وَحَكَى اِبْن جَرِير عَنْ بَعْضهمْ أَنَّهَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِسَلا سَتِهَا فِي الْحَلْق وَاخْتَارَ هُوَ أَنَّهَا تَعُمّ ذَلِكَ كُلّه وَهُوَ كَمَا قَالَ .

وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا

أَيْ يَطُوف عَلَى أَهْل الْجَنَّة لِلْخِدْمَةِ وِلْدَان مِنْ وِلْدَان الْجَنَّة " مُخَلَّدُونَ " أَيْ عَلَى حَالَة وَاحِدَة مُخَلَّدُونَ عَلَيْهَا لا يَتَغَيَّرُونَ عَنْهَا لا تَزِيد أَعْمَارهمْ عَنْ تِلْكَ السِّنّ وَمَنْ فَسَّرَهُمْ بِأَنَّهُمْ مُخَرَّصُونَ فِي آذَانهمْ الأَقْرِطَة فَإِنَّمَا عَبَّرَ عَنْ الْمَعْنَى بِذَلِكَ لِأَنَّ الصَّغِير هُوَ الَّذِي يَلِيق لَهُ ذَلِكَ دُون الْكَبِير " إِذَا رَأَيْتهمْ حَسِبْتهمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا " أَيْ إِذَا رَأَيْتهمْ فِي اِنْتِشَارهمْ فِي قَضَاء حَوَائِج السَّادَة وَكَثْرَتهمْ وَصَبَاحَة وُجُوههمْ

وَحُسْـــن أَلْـــوَانهمْ وَثِيَابهمْ وَحُلِيّهمْ حَسِبْتهمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا وَلا يَكُون فِي التَّشْبِيه أَحْسَن مِنْ هَذَا وَلا فِي الْمَنْظَر أَحْسَن مِنْ اللُّؤْلُؤ الْمَنْثُور عَلَى الْمَكَان الْحَسَن قَالَ قَتَاده عَنْ أَبِي أَيُّوب عَنْ عَبْد اللَّه بْن عَمْرو : مَا مِنْ أَهْل الْجَنَّة مِنْ أَحَد إِلا يَسْعَى عَلَيْهِ أَلْف خَادِم كُلّ خَادِم عَلَى عَمَل مَا عَلَيْهِ صَاحِبه .

وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا

وَإِذَا رَأَيْـــت يَـــا مُحَمَّد " ثَمَّ " أَيْ هُنَاكَ يَعْنِي فِي الْجَنَّة وَنَعِيمهَا وَسَعَتهَا وَارْتِفَاعهَا وَمَا فِيهَا مِنْ الْحِبْـــرَة وَالسُّـــرُور " رَأَيْـــت نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا " أَيْ مَمْلَكَة لِلَّهِ هُنَاكَ عَظْمَة وَسُلْطَانًا بَاهِرًا وَثَبَتَ فِي الصَّـــحِيح أَنَّ اللَّه تَعَالَى يَقُول لِآخِرِ أَهْل النَّار خُرُوجًا مِنْهَا وَآخِر أَهْل الْجَنَّة دُخُولا إِلَيْهَا : إِنَّ لَك مِثْل الدُّنْيَا وَعَشَرَة أَمْثَالهَا وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي الْحَدِيث الْمَرْوِيّ مِنْ طَرِيق ثُوَيْر بْن أَبِي فَاخِتَة عَنْ اِبْن عُمَر قَالَ : قَـــالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " إِنَّ أَدْنَى أَهْل الْجَنَّة مَنْزِلَة لَمَنْ يَنْظُر فِي مُلْكه مَسِيرَة أَلْف سَنَة يَنْظُـــر إِلَى أَقْصَاهُ كَمَا يَنْظُر إِلَى أَدْنَاهُ " فَإِذَا كَانَ هَذَا عَطَاؤُهُ تَعَالَى لِأَدْنَى مَنْ يَكُون فِي الْجَنَّة فَمَا ظَنّك بِمَا هُوَ أَعْلَى مَنْزِلَة وَأَحْظَى عِنْده تَعَالَى وَقَدْ رَوَى الطَّبَرَانِيّ هَاهُنَا حَدِيثًا غَرِيبًا جِدًّا فَقَالَ حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن عَبْد الْعَزِيز حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَمَّار الْمَوْصِلِيّ حَدَّثَنَا عُقْبَة بْن سَالِم عَنْ أَيُّوب بْن عُتْبَة عَنْ عَطَاء عَنْ اِبْن عُمَر قَالَ جَاءَ رَجُل مِنْ الْحَبَشَة إِلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ " سَلْ وَاسْتَفْهِمْ " فَقَالَ يَا رَسُول اللَّه فُضِّلْتُمْ عَلَيْنَا بِالصُّوَرِ وَالأَلْوَان وَالنُّبُوَّة أَفَرَأَيْت إِنْ آمَنْت بِمَا آمَـــنْت بِهِ وَعَمِلْت بِمَا عَمِلْت بِهِ إِنِّي لَكَائِن مَعَك فِي الْجَنَّة قَالَ " نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَيُرَى بَيَاض الأَسْـــوَد فِي الْجَنَّة مِنْ مَسِيرَة أَلْف عَام " ثُمَّ قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " مَنْ قَالَ لا إِله إِلا اللَّـــه كَانَ لَهُ بِهَا عَهْد عِنْد اللَّه وَمَنْ قَالَ سُبْحَان اللَّه وَبِحَمْدِهِ كُتِبَ لَهُ مِائَة أَلْف حَسَنَة وَأَرْبَعَة وَعِشْرُونَ أَلْف حَسَنَة " فَقَالَ رَجُل كَيْف نَهْلِك بَعْد هَذَا يَا رَسُول اللَّه ؟ فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " إِنَّ الـــرَّجُل لَيَأْتِي يَوْم الْقِيَامَة بِالْعَمَلِ لَوْ وُضِعَ عَلَى جَبَل لا ثَقَلَهُ فَتَقُوم النِّعْمَة أَوْ نِعَم اللَّه فَتَكَاد تَسْتَنْفِذ ذَلِكَ كُلّه إِلا أَنْ يَتَغَمَّدهُ اللَّه بِرَحْمَتِهِ " وَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَة " هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَان حِين مِنْ الدَّهْر – إِلَى قَوْله – مُلْكًـــا كَبِيـــرًا " فَقَـــالَ الْحَبَشِيّ وَإِنَّ عَيْنِي لَتَرَى مَا تَرَى عَيْنَاك فِي الْجَنَّة قَالَ " نَعَمْ " فَاسْتَبْكَى حَتَّى فَاضَتْ نَفْسه قَالَ اِبْن عُمَر وَلَقَدْ رَأَيْت رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدَلِّيه فِي حُفْرَته بِيَدِهِ .

عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا

" عَالِـــيَهُمْ ثِـــيَاب سُنْدُس خُضْر وَإِسْتَبْرَق " أَيْ لِبَاس أَهْل الْجَنَّة فِيهَا الْحَرِير وَمِنْهُ سُنْدُس وَهُوَ رَفِـــيع الْحَرِيـــر كَالْقُمْصَان وَنَحْوهَا مِمَّا يَلِي أَبْدَانهمْ وَالإِسْتَبْرَق مِنْهُ مَا فِيهِ بَرِيق وَلَمَعَان وَهُوَ مِمَّا يَلِي الظَّاهِـــر كَمَا هُوَ الْمَعْهُود فِي اللِّبَاس " وَحُلُّوا أَسَاوِر مِنْ فِضَّة " وَهَذِهِ صِفَة الأَبْرَار وَأَمَّا الْمُقَرَّبُونَ فَكَمَا قَالَ تَعَالَى " يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِر مِنْ ذَهَب وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسهمْ فِيهَا حَرِير " وَلَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى زِينَة الظَّاهِر

بالحرير والحُلِيّ قال بَعْده" وسَقَاهُمْ رَبّهمْ شَرَابًا طَهُورًا " أيْ طَهَّرَ بَوَاطِنهمْ مِنْ الحَسَد وَالحِقْد وَالغِلّ وَالأذَى وَسَائِر الأخْلا ق الرَّدِيئَة كَمَا رُوِّينَا عَنْ أمِير المُؤْمِنِينَ عَلِيّ بْن أبي طَالِب رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنَّهُ قَالَ : إذَا اِنْتَهَى أهْل الجَنَّة إلَى بَاب الجَنَّة وَجَدُوا هُنَالِكَ عَيْنَيْن فَكَأنَّمَا أُلْهِمُوا ذَلِكَ فَشَرِبُوا مِنْ إحْدَاهُمَا فَأذْهَبَ اللَّه مَا فِي بُطُونهمْ مِنْ أذًى ثُمَّ اِغْتَسَلُوا مِنْ الأخْرَى فَجَرَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَة النَّعِيم فَأخْبَرَ سُبْحَانه وَتَعَالَى بِحَالِهِمْ الظَّاهِر وَجَمَالهمْ البَاطِن .

إنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا

أيْ يُقَال لَهُمْ ذَلِكَ تَكْرِيمًا لَهُمْ وَإحْسَانًا إلَيْهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى " كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أسْلَفْتُمْ فِي الأيَّام الخَالِيَة " وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى " وَنُودُوا أنْ تِلْكُمْ الجَنَّة أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " وَقَوْله تَعَالَى " وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا " أيْ جَزَاكُمْ اللَّه تَعَالَى عَلَى القَلِيل بِالكَثِير .

إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ القُرْآنَ تَنْزِيلا

يَمْتَنّ اللَّه عَلَى رَسُوله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا أنْزَلَهُ عَلَيْهِ مِنْ القُرْآن العَظِيم تَنْزِيلا .

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أوْ كَفُورًا

" فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبّك " أيْ كَمَا أكْرَمَك بِمَا أنْزَلَ عَلَيْك فَاصْبِرْ عَلَى قَضَائِهِ وَقَدَره وَاعْلَمْ أنَّهُ سَيُدَبِّرك بِحُسْنِ تَدْبِيره " وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أوْ كَفُورًا " أيْ لا تُطِعْ الكَافِرِينَ وَالمُنَافِقِينَ إنْ أرَادُوا صَدَّك عَمَّا أُنْزِلَ إلَيْك بَلْ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إلَيْك مِنْ رَبّك وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّه فَإنَّ اللَّه يَعْصِمك مِنْ النَّاس فَالآثِم هُوَ الفَاجِر فِي أفْعَاله وَالكَفُور هُوَ الكَافِر قَلْبه .

وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأصِيلا

" بُكْرَة وَأصِيلا" أيْ أوَّل النَّهَار وَآخِره .

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلا طَوِيلا

"وَمِنْ اللَّيْل فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلا طَوِيلا " كَقَوْلِهِ تَعَالَى " وَمِنْ اللَّيْل فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَة لَك عَسَى أنْ يَبْعَثك رَبّك مَقَامًا مَحْمُودًا " وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى " يَا أيّهَا المُزَّمِّل قُمْ اللَّيْل إلا قَلِيلا نِصْفه أوْ اُنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلا أوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلْ القُرْآن تَرْتِيلا " .

إنَّ هَؤُلا ءِ يُحِبُّونَ العَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلا

ثُـمَّ قَـالَ تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَى الْكُفَّار وَمَنْ أَشْبَهَهُمْ فِي حُبّ الدُّنْيَا وَالإِقْبَال عَلَيْهَا وَالِانْصِبَاب إِلَيْهَا وَتَـرْك الدَّار الأَخِرَة وَرَاء ظُهُورهمْ : " إِنَّ هَؤُلَا ء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَة وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلا " يَعْنِي يَوْم الْقِيَامَة .

نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلا

" نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرهمْ" قَالَ اِبْن عَبَّاس وَمُجَاهِد وَغَيْر وَاحِد يَعْنِي خَلْقهمْ " وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْـثَالهمْ تَبْدِيلا " أَيْ وَإِذَا شِئْنَا بَعَثْنَاهُمْ يَوْم الْقِيَامَة وَبَدَّلْنَاهُمْ فَأَعَدْنَاهُمْ خَلْقًا جَدِيدًا وَهَذَا اِسْتِدْلَا ل بِالْبُدَاءَةِ عَلَى الرَّجْعَة وَقَالَ اِبْن زَيْد وَابْن جَرِير " وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالهمْ تَبْدِيلا " أَيْ وَإِذَا شِئْنَا أَتَيْنَا بِقَوْمٍ آخَرِينَ غَيْـرهمْ كَقَـوْلِهِ تَعَالَـى " إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيّهَا النَّاس وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّه عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا " وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى" إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيد وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّه بِعَزِيزٍ " .

إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا

" إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَة " يَعْنِي هَذِهِ السُّورَة تَذْكِرَة " فَمَنْ شَاءَ اِتَّخَذَ إِلَى رَبّه سَبِيلا " أَيْ طَرِيقًا وَمَسْلَكًا أَيْ مَنْ شَاءَ اِهْتَدَى بِالْقُرْآن كَقَوْلِهِ تَعَالَى " وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْم الأَخِر " الأَيَة .

وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا

أَيْ لا يَقْدِر أَحَد أَنْ يَهْدِي نَفْسه وَلا يَدْخُل فِي الإِيمَان وَلا يَجُرّ لِنَفْسِهِ نَفْعًا " إِلا أَنْ يَشَاء اللَّه إِنَّ اللَّـه كَـانَ عَلِيمًا حَكِيمًا " أَيْ عَلِيم بِمَنْ يَسْتَحِقّ الْهِدَايَة فَيُيَسِّرهَا لَهُ وَيُقَيِّض لَهُ أَسْبَابهَا وَمَنْ يَسْتَحِقّ الْغِـوَايَة فَيَصْـرِفهُ عَنْ الْهُدَى وَلَهُ الْحِكْمَة الْبَالِغَة وَالْحُجَّة الدَّامِغَة وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى " إِنَّ اللَّه كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا " .

يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

أَيْ يَهْـدِي مَـنْ يَشَاء وَيُضِلّ مَنْ يَشَاء فَمَنْ يَهْدِهِ فَلا مُضِلّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ آخِر تَفْسِير سُورَةالإِنْسَان وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّة .

UNIT –XI

(SURATUL HUJRAT)

الباب الحادي عشر
سورة الحجرات

بسم الله الرحمان الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ

هَذِهِ آيَات أَدَّبَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا يُعَامِلُونَ بِهِ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ التَّوْقِيـــر وَالِاحْتِرَام وَالتَّبْجِيل وَالإِعْظَام فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى" يَا أَيّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْن يَدَيْ اللَّه وَرَسُوله " أَيْ لا تُسْرِعُوا فِي الأَشْيَاء بَيْن يَدَيْهِ أَيْ قَبْلَهُ بَلْ كُونُوا تَبَعًا فِي جَمِيع الأُمُور حَتَّى يَدْخُل فِي عُمُـــوم هَذَا الأَدَب الشَّرْعِيّ حَدِيثُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ حَيْثُ قَالَ لَهُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِين بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَن " بِمَ تَحْكُمُ ؟ " قَالَ بِكِتَابِ اللَّه تَعَالَى قَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " فَإِنْ لَمْ تَجِد ؟ " قَالَ بِسُنَّةِ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " فَإِنْ لَمْ تَجِد ؟ " قَالَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَجْتَهِد رَأْيِي فَضَرَبَ فِي صَدْره وَقَالَ" الْحَمْد لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُول اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَـــيْهِ وَسَـــلَّمَ " وَقَـــدْ رَوَاهُ أَحْمَـــد وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَهْ فَالْغَرَض مِنْهُ أَنَّهُ أَخَّرَ رَأْيه وَنَظَرَهُ وَاجْـــتِهَاده إِلَـــى مَـــا بَعْد الْكِتَاب وَالسُّنَّة وَلَوْ قَدَّمَهُ قَبْل الْبَحْث عَنْهُمَا لَكَانَ مِنْ بَاب التَّقْدِيم بَيْن يَدَيْ اللَّه وَرَسُوله فَقَالَ عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة عَنْ اِبْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا " لا تُقَدِّمُوا بَيْن يَدَيْ اللَّه وَرَسُوله " لا تَقُولُـــوا خِلا ف الْكِتَاب وَالسُّنَّة وَقَالَ الْعَوْفِيّ عَنْهُ : نُهُوا أَنْ يَتَكَلَّمُوا بَيْن يَدَيْ كَلا مه وَقَالَ مُجَاهِد لا تَقْتَاتُوا عَلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ حَتَّى يَقْضِي اللَّه تَعَالَى عَلَى لِسَانه وَقَالَ الضَّحَّاك لا تَقْضُوا أَمْرًا دُون اللَّه وَرَسُوله مِنْ شَرَائِع دِينكُمْ وَقَالَ سُفْيَان الثَّوْرِيّ" لا تُقَدِّمُوا بَيْن يَدَيْ اللَّه وَرَسُوله " بِقَـــوْلٍ وَلا فِعْـــل وَقَالَ الْحَسَن الْبَصْرِيّ " لا تُقَدِّمُوا بَيْن يَدَيْ اللَّه وَرَسُوله " قَالَ لا تَدْعُوا قَبْل الإِمَام وَقَـــالَ قَتَادَة ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَاسًا كَانُوا يَقُولُونَ لَوْ أُنْزِلَ فِي كَذَا وَكَذَا لَوْ صَحَّ كَذَا فَكَرِهَ اللَّه تَعَالَى ذَلِكَ وَتَقَدَّمَ فِيهِ" وَاتَّقُوا اللَّه " أَيْ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ " إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ " أَيْ لِأَقْوَالِكُمْ " عَلِيم " بِنِيَّاتِكُمْ .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تشعرون

وَقَـــوْله تَعَالَى " يَا أَيّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتكُمْ فَوْق صَوْت النَّبِيّ " هَذَا أَدَب ثَانٍ أَدَّبَ اللَّه تَعَالَى بِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لا يَرْفَعُوا أَصْوَاتهمْ بَيْن يَدَيْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوْق صَوْته ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي الشَّيْخَيْنِ أَبِي بَكْر وَعُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا وَقَالَ الْبُخَارِيّ : حَدَّثَنَا يَسَرَة بْن صَفْوَان

اللَّخْمِـيّ حَدَّثَنَا نَافِع بْن عُمَر عَنْ اِبْن أبي مُلَيْكَة قَالَ : كَادَ الْخَيِّرَان أنْ يَهْلِكَا أبُو بَكْر وَعُمَر رَضِيَ اللَّه عَـنْهُمَا رَفَعَـا أصْوَاتَهُمَا عِنْد النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِين قَدِمَ عَلَيْهِ رَكْب بَنِي تَمِيم فَأشَارَ أحَدهمَا بِالأقْرَعِ بْن حَابِس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أخِي بَنِي مُجَاشِع وَأشَارَ الأخَر بِرَجُلٍ آخَر قَالَ نَافِع لا أحْفَظ اِسْمه فَقَـالَ أبُو بَكْر لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا مَا أرَدْت إلا خِلا فِي قَالَ مَا أرَدْت خِلا فَك فَارْتَفَعَتْ أصْوَاتهمَا فِـي ذَلِكَ فَأنْزَلَ اللَّه تَعَالَى " يَا أيّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أصْوَاتكُمْ فَوْق صَوْت النَّبِيّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَـوْلِ كَجَهْرِ بَعْضكُمْ لِبَعْضٍ أنْ تَحْبَط أعْمَالكُمْ وَأنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ " قَالَ اِبْن الزُّبَيْر رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا فَمَـا كَانَ عُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ يُسْمِعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْد هَذِهِ الآيَة حَتَّى يَسْتَفْهِمهُ وَلَمْ يَذْكُـر ذَلِكَ عَنْ أبِيهِ يَعْنِي أبَا بَكْر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ اِنْفَرَدَ بِهِ دُون مُسْلِم ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ حَدَّثَنَا حَسَن بْن مُحَمَّد حَدَّثَنَا حَجَّاج عَنْ اِبْن جُرَيْج حَدَّثَنِي اِبْن أبي مُلَيْكَة أنَّ عَبْد اللَّه بْن الزُّبَيْر رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا أخْبَرَهُ أنَّـهُ قَدِمَ رَكْب مِنْ بَنِي تَمِيم عَلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أبُو بَكْر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أمِّرْ الْقَعْقَاعَ بْن مَعْبَد وَقَالَ عُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ بَلْ أمِّرْ الأقْرَع بْن حَابِس فَقَالَ أبُو بَكْر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ مَا أرَدْت إلا خِـلا فِي فَقَالَ عُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ مَا أرَدْت خِلا فَك فَتَمَارَيَا حَتَّى اِرْتَفَعَتْ أصْوَاتهمَا فَنَزَلَتْ فِي ذَلِكَ " يَا أيّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْن يَدَيْ اللَّه وَرَسُوله " حَتَّى اِنْقَضَتْ الآيَة " وَلَوْ أنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُج إلَيْهِمْ " الآيَة وَهَكَذَا رَوَاهُ هَهُنَا مُنْفَرِدًا بِهِ أيْضًا وَقَالَ الْحَافِظ أبُو بَكْر الْبَزَّار فِي مُسْنَده حَدَّثَنَا الْفَضْل بْن سَهْل حَدَّثَنَا إسْحَاق بْن مَنْصُور حَدَّثَنَا حُصَيْن بْن عُمَر عَنْ مُخَارِق عَنْ طَارِق بْن شِهَاب عَنْ أبَى بَكْر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَة " يَا أيّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أصْوَاتكُمْ فَوْق صَوْت النَّبِيّ" قُلْت يَا رَسُول اللَّه وَاَللَّه لا أكَلِّمك إلا كَأخِي السِّرَار حُصَيْن بْن عُمَر هَذَا وَإنْ كَانَ ضَعِيفًا لَكِنْ قَـدْ رُوِّينَاهُ مِنْ حَدِيث عَبْد الرَّحْمَن بْن عَوْف وَأبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا بِنَحْوِ ذَلِكَ وَاَللَّه أعْلَم وَقَالَ الْبُخَارِيّ حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن عَبْد اللَّه حَدَّثَنَا أزْهَر بْن سَعْد أخْبَرَنَا اِبْن عَوْن أنْبَأنِي مُوسَى بْن أنَس عَنْ أنَس بْن مَالِك رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اِفْتَقَدَ ثَابِت بْنَ قَيْس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ فَقَالَ رَجُل يَا رَسُول اللَّه أنَا أعْلَم لك عِلْمه فَأتَاهُ فَوَجَدَهُ فِي بَيْته مُنَكِّسًا رَأسه فَقَالَ لَهُ مَا شَأنك ؟ فَقَالَ شَرٌّ كَانَ يَرْفَعُ صَـوْته فَـوْق صَوْت النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ فَهُوَ مِنْ أهْل النَّار فَأتَى الرَّجُلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأخْبَرَهُ أنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا قَالَ مُوسَى فَرَجَعَ إلَيْهِ الْمَرَّة الأخِرَة بِبِشَارَةٍ عَظِيمَة فَقَالَ " اِذْهَبْ إلَيْهِ فَقُلْ لَهُ إنَّك لَسْت مِنْ أهْل النَّار وَلَكِنَّك مِنْ أهْل الْجَنَّة " تَفَرَّدَ بِهِ الْبُخَارِيّ مِنْ هَذَا الْوَجْه وَقَالَ الإمَام أحْمَد حَدَّثَنَا هَاشِم حَدَّثَنَا سُلَيْمَان بْن الْمُغِيرَة عَنْ ثَابِت عَنْ أنَس بْن مَالِك رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَة " يَا أيّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أصْوَاتكُمْ فَوْق صَوْت النَّبِيّ إلَى قَوْله وَأنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ " وَكَانَ ثَابِت بْن قَيْس بْن الشَّمَّاس رَفِيع الصَّوْت فَقَالَ أنَا الَّذِي كُنْت أرْفَعُ صَوْتِي عَلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّـه عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ أنَا مِنْ أهْل النَّار حَبِطَ عَمَلِي وَجَلَسَ فِي أهْله حَزِينًا فَفَقَدَهُ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ فَانْطَلَـقَ بَعْض الْقَوْم إلَيْهِ فَقَالُوا لَهُ تَفَقَّدَك رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَالَك ؟ قَالَ أنَا الَّذِي

أرْفَعُ صَوْتِي فَوْق صَوْت النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَأَجْهَر لَهُ بِالْقَوْلِ حَبِط عَمَلِي أَنَا مِنْ أَهْل النَّار فَأَتَوْا النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرُوهُ بِمَا قَالَ فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " لا بَلْ هُوَ مِنْ أَهْل الْجَنَّة " قَالَ أَنَس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ فَكُنَّا نَرَاهُ يَمْشِي بَيْن أَظْهُرنَا وَنَحْنُ نَعْلَم أَنَّهُ مِنْ أَهْل الْجَنَّة فَلَمَّا كَانَ يَوْم الْيَمَامَة كَانَ فِينَا بَعْض الِانْكِشَاف فَجَاءَ ثَابِت بْن قَيْس بْن شَمَّاس وَقَدْ تَحَنَّطَ وَلَيْسَ كَفَنه فَقَالَ بِئْسَمَا تَعْوِدُونَ أَقْرَانكُمْ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ وَقَالَ مُسْلِم حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر بْن أَبِي شَيْبَة حَدَّثَنَا الْحَسَن بْن مُوسَى حَدَّثَنَا حَمَّاد بْن سَلَمَة عَنْ ثَابِت الْبُنَانِيّ عَنْ أَنَس بْن مَالِك رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَة " يَا أَيّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتكُمْ فَوْق صَوْت النَّبِيّ " إِلَى آخِر الْآيَة جَلَسَ ثَابِت رَضِيَ اللَّه عَنْهُ فِي بَيْته قَالَ أَنَا مِنْ أَهْل النَّار وَاحْتَبَسَ عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسَعْدِ بْن مُعَاذ " يَا أَبَا عَمْرو مَا شَأْن ثَابِت أَشْتَكَى ؟ " فَقَالَ سَعْد رَضِيَ اللَّه عَنْهُ إِنَّهُ لَجَارِي وَمَا عَلِمْت لَهُ بِشَكْوَى قَالَ فَأَتَاهُ سَعْد رَضِيَ اللَّه عَنْهُ فَذَكَرَ لَهُ قَوْل رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ ثَابِت رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَة وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنَا مِنْ أَهْل النَّار فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْد رَضِيَ اللَّه عَنْهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" بَلْ هُوَ مِنْ أَهْل الْجَنَّة " ثُمَّ رَوَاهُ مُسْلِم عَنْ أَحْمَد بْن سَعِيد الدَّارِمِيّ عَنْ حَيَّان بْن هِلا ل عَنْ سُلَيْمَان بْن الْمُغِيرَة بِهِ قَالَ وَلَمْ يَذْكُر سَعْد بْن مُعَاذ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ وَعَنْ قَطَن بْن نُسَيْر عَنْ جَعْفَر بْن سُلَيْمَان عَنْ ثَابِت عَنْ أَنَس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ بِنَحْوِهِ وَقَالَ لَيْسَ فِيهِ ذِكْر سَعْد بْن مُعَاذ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ حَدَّثَنِي هُدْبَة بْن عَبْد الْأَعْلَى الْأَسَدِيّ حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِر بْن سُلَيْمَان سَمِعْت أَبِي يَذْكُر عَنْ أَنَس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَة فَاقْتَصَّ الْحَدِيث وَلَمْ يَذْكُر سَعْد بْن مُعَاذ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ وَزَادَ : فَكُنَّا نَرَاهُ يَمْشِي بَيْن أَظْهُرنَا رَجُل مِنْ أَهْل الْجَنَّة فَهَذِهِ الطُّرُق الثَّلا ث مُعَلَّلَة لِرِوَايَةِ حَمَّاد بْن سَلَمَة فِيمَا تَفَرَّدَ بِهِ مِنْ ذِكْر سَعْد بْن مُعَاذ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ وَالصَّحِيح أَنَّ حَال نُزُول هَذِهِ الْآيَة لَمْ يَكُنْ سَعْد بْن مُعَاذ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ مَوْجُودًا لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ مَاتَ بَعْد بَنِي قُرَيْظَة بِأَيَّامٍ قَلا ئِل سَنَة خَمْس وَهَذِهِ الْآيَة نَزَلَتْ فِي وَفْد بَنِي تَمِيم وَالْوُفُود إِنَّمَا تَوَاتَرُوا فِي سَنَة تِسْع مِنْ الْهِجْرَة وَاَللَّه أَعْلَم وَقَالَ اِبْن جَرِير حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب حَدَّثَنَا زَيْد بْن الْحُبَاب حَدَّثَنَا أَبُو ثَابِت بْن ثَابِت بْن قَيْس بْن شَمَّاس حَدَّثَنِي عَمِّي إِسْمَاعِيل بْن مُحَمَّد بْن ثَابِت بْن قَيْس بْن شَمَّاس عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَة " لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتكُمْ فَوْق صَوْت النَّبِيّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ " قَالَ قَعَدَ ثَابِت بْن قَيْس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ فِي الطَّرِيق يَبْكِي قَالَ فَمَرَّ بِهِ عَاصِم بْن عَدِيّ مِنْ بَنِي الْعَجْلا ن فَقَالَ مَا يُبْكِيك يَا ثَابِت ؟ قَالَ هَذِهِ الْآيَة أَتَخَوَّف أَنْ تَكُون نَزَلَتْ فِيَّ وَأَنَا صَيِّت رَفِيع الصَّوْت قَالَ فَمَضَى عَاصِم بْن عَدِيّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ إِلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَغَلَبَهُ الْبُكَاء فَأَتَى اِمْرَأَته جَمِيلَة اِبْنَة عَبْد اللَّه بْن أُبَيّ بْن سَلُول فَقَالَ لَهَا إِذَا دَخَلْت بَيْت فَرْشِي فَشُدِّي عَلَيَّ الضَّبَّة بِمِسْمَارٍ فَضَرَبَتْهُ بِمِسْمَارٍ حَتَّى إِذَا خَرَجَ عَطَفَهُ وَقَالَ لا أَخْرُج حَتَّى يَتَوَفَّانِي اللَّهُ تَعَالَى أَوْ يَرْضَى عَنِّي رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَأَتَى عَاصِم رَضِيَ اللَّه

عَـنْهُ رَسُول اللَّه صلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسلَّمَ فَأخْبَرَهُ خَبَره فَقَالَ " اِذْهَبْ فَادْعُهُ لِي " فَجَاءَ عَاصِم رَضِيَ اللَّه عَـنْهُ إلى الْمَكَان فَلَمْ يَجِدهُ فَجَاءَ إلى أهْله فَوَجَدَهُ فِي بَيْت الْفَرْش فَقَالَ لَهُ إنَّ رَسُول اللَّه صلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ يَدْعُوك فَقَالَ اِكْسِرْ الضَّبَّة قَالَ فَخَرَجَا فَأتَيَا النَّبِيّ صلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ رَسُول اللَّه صلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" مَا يُبْكِيك يَا ثَابت ؟ " فَقَالَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنَا صَيِّت وَأتَخَوَّف أنْ تَكُون هَذِهِ الآيَة نَزَلَتْ فِيَّ " لا تَرْفَعُوا أصْوَاتكُمْ فَوْق صَوْت النَّبِيّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ" فَقَالَ لَهُ النَّبِيّ صلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أمَـا تَرْضَى أنْ تَعِيش حَمِيدًا وَتُقْتَلَ شَهِيدًا وَتَدْخُل الْجَنَّة ؟ " فَقَالَ رَضِيت يبُشْرَى اللَّه تَعَالَى وَرَسُوله صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلا أرْفَع صَوْتِي أبَدًا عَلَى صَوْت رَسُول اللَّه صلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَأنْزَلَ اللَّه تَعَالَى" إنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أصْوَاتهمْ عِنْد رَسُول اللَّه أولَئِكَ الَّذِينَ اِمْتَحَنَ اللَّه قُلُوبهمْ لِلتَّقْوَى " الآيَة وَقَدْ ذَكَرَ هَذِهِ الْقِصَّة غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ التَّابِعِينَ كَذَلِكَ فَقَدْ نَهَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ عَنْ رَفْع الأصْوَات بِحَضْرَةِ رَسُول اللَّـه صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ رُوِّينَا عَنْ أمِير الْمُؤْمِنِينَ عُمَر بْن الْخَطَّاب رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنَّهُ سَمِعَ صَوْت رَجُلَيْنِ فِي مَسْجِد النَّبِيّ صلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ اِرْتَفَعَتْ أصْوَاتهمَا فَجَاءَ فَقَالَ أتَدْرِيَانِ أيْنَ أنْتُمَا ؟ ثُـمَّ قَالَ مِنْ أيْنَ أنْتُمَا ؟ قَالا مِنْ أهْل الطَّائِف فَقَالَ لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أهْل الْمَدِينَة لا وْجَعْتُكُمَا ضَرْبًا وَقَالَ الْعُلَمَـاء : يُكْـرَه رَفْع الصَّوْت عِنْد قَبْره صلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُكْرَه فِي حَيَاته عَلَيْهِ الصَّلا ة وَالسَّلا م لِأنَّهُ مُحْتَرَم حَيًّا وَفِي قَبْره صلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَائِمًا ثُمَّ نَهَى عَنْ الْجَهْر لَهُ بِالْقَوْلِ كَمَا يَجْهَر الرَّجُلُ لِمُخَاطِبِهِ مِمَّنْ عَدَاهُ بَلْ يُخَاطب بِسَكِينَةٍ وَوَقَار وَتَعْظِيم وَلِهَذَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى " وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَـوْلِ كَجَهْرِ بَعْضكُمْ لِبَعْضٍ " كَمَا قَالَ تَعَالَى " لا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُول بَيْنكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضكُمْ بَعْضًا " وَقَوْله عَزَّ وَجَلَّ " أنْ تَحْبَط أعْمَالكُمْ وَأنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ " أيْ إنَّمَا نَهَيْنَاكُمْ عَنْ رَفْع الصَّوْت عِنْده خَشْيَة أنْ يَغْضَـب مِـنْ ذَلِكَ فَيَغْضَب اللَّه تَعَالَى لِغَضَبِهِ فَيَحْبَط عَمَل مَنْ أغْضَبَهُ وَهُوَ لا يَدْرِي كَمَا جَاءَ فِي الصَّـحِيح " إنَّ الـرَّجُل لَيَتَكَلَّم بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَان اللَّه تَعَالَى لا يُلْقِي لَهَا بَالا يُكْتَب لَهُ بِهَا الْجَنَّة وَإنَّ الـرَّجُل لَيَـتَكَلَّم بِالْكَلِمَـةِ مِنْ سَخَط اللَّه تَعَالَى لا يُلْقِي لَهَا بَالا يَهْوِي بِهَا فِي النَّار أبْعَدَ مَا بَيْن السَّمَاء وَالأرْض " ثُمَّ نَدَبَ اللَّه تَعَالَى إلى خَفْض الصَّوْتِ عِنْده وَحَثَّ عَلَى ذَلِكَ وَأرْشَدَ إلَيْهِ وَرَغَّبَ فِيهِ فَقَالَ .

إنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأجْرٌ عَظِيمٌ

أيْ أخْلَصَـهَا لَهَا وَجَعَلَهَا أهْلا وَمَحَلا" لَهُمْ مَغْفِرَة وَأجْر عَظِيم " وَقَدْ قَالَ الإمَام أحْمَد فِي كِتَاب الـزُّهْد حَدَّثَـنَا عَبْد الرَّحْمَن حَدَّثَنَا سُفْيَان عَنْ مَنْصُور عَنْ مُجَاهِد قَالَ كُتِبَ إلَى عُمَرَ يَا أمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَجُلٌ لا يَشْتَهِي الْمَعْصِيَةَ وَلا يَعْمَلُ بِهَا أفْضَلُ أمْ رَجُلٌ يَشْتَهِي الْمَعْصِيَةَ وَلا يَعْمَلُ بِهَا ؟ فَكَتَبَ عُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ إنَّ الَّذِينَ يَشْتَهُونَ الْمَعْصِيَةَ وَلا يَعْمَلُونَ بِهَا " أولَئِكَ الَّذِينَ اِمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبهمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَة وَأجْر عَظِيم " .

إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ

ثُمَّ إِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَمَّ الَّذِينَ يُنَادُونَهُ مِنْ وَرَاء الْحُجُرَات وَهِيَ بُيُوت نِسَائِهِ كَمَا يَصْنَع أَجْلا ف الأَعْرَاب فَقَالَ " أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ" وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي الأَقْرَع بْن حَابِس التَّمِيمِيّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ فِيمَا أَوْرَدَهُ غَيْر وَاحِد قَالَ الإِمَام أَحْمَد حَدَّثَنَا عَفَّان حَدَّثَنَا وُهَيْب حَدَّثَنَا مُوسَى بْن عُقْبَة عَنْ أَبِي سَلَمَة بْن عَبْد الرَّحْمَن عَنْ الأَقْرَع بْن حَابِس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّهُ نَادَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا مُحَمَّد يَا مُحَمَّد وَفِي رِوَايَة يَا رَسُول اللَّه فَلَمْ يُجِبْهُ فَقَالَ يَا رَسُول اللَّه إِنَّ حَمْدِي لَزَيْنٌ وَإِنَّ ذَمِّي لَشَيْنٌ فَقَالَ " ذَاكَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ " ثُمَّ أَرْشَدَ تَعَالَى إِلَى الأَدَب فِي ذَلِكَ وَقَالَ اِبْن جَرِير حَدَّثَنَا أَبُو عَمَّار الْحُسَيْن بْن حُرَيْث الْمَرْوَزِيّ حَدَّثَنَا الْفَضْل بْن مُوسَى عَنْ الْحُسَيْن بْن وَاقِد عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ الْبَرَاء فِي قَوْله تَبَارَكَ وَتَعَالَى " إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَك مِنْ وَرَاء الْحُجُرَات " قَالَ جَاءَ رَجُل إِلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا مُحَمَّد إِنَّ حَمْدِي زَيْنٌ وَذَمِّي شَيْن فَقَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" ذَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ " وَهَكَذَا ذَكَرَهُ الْحَسَن الْبَصْرِيّ وَقَتَادَة مُرْسَلا وَقَالَ سُفْيَان الثَّوْرِيّ عَنْ حَبِيب بْن أَبِي عَمْرَة قَالَ كَانَ بِشْر بْن غَالِب وَلَبِيد بْن عُطَارِد أَوْ بِشْر بْن عُطَارِد وَلَبِيد بْن غَالِب وَهُمَا عِنْد الْحَجَّاج جَالِسَان فَقَالَ بِشْر بْن غَالِب لِلَبِيد بْن عُطَارِد نَزَلَتْ فِي قَوْمك بَنِي تَمِيم " إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَك مِنْ وَرَاء الْحُجُرَات" قَالَ فَذَكَرْت ذَلِكَ لِسَعِيدِ بْن جُبَيْر فَقَالَ أَمَا إِنَّهُ لَوْ عَلِمَ بِآخِرِ الآيَة أَجَابَهُ " يَمُنُّونَ عَلَيْك أَنْ أَسْلَمُوا" قَالُوا أَسْلَمْنَا وَلَمْ يُقَاتِلك بَنُو أَسَد وَقَالَ اِبْن أَبِي حَاتِم حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَمْرو بْن عَلِيّ الْبَاهِلِيّ حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِر بْن سُلَيْمَان قَالَ سَمِعْت دَاوُدَ الطَّائِيّ يُحَدِّث عَنْ أَبِي مُسْلِم الْبَجَلِيّ عَنْ زَيْد بْن أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ : اِجْتَمَعَ أُنَاس مِنْ الْعَرَب فَقَالُوا اِنْطَلِقُوا بِنَا إِلَى هَذَا الرَّجُل فَإِنْ يَكُ نَبِيًّا فَنَحْنُ أَسْعَدُ النَّاس بِهِ وَإِنْ يَكُ مَلِكًا نَعِشْ بِجَنَاحِهِ قَالَ فَأَتَيْت رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْته بِمَا قَالُوا فَجَاءُوا إِلَى حُجْرَة النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلُوا يُنَادُونَهُ وَهُوَ فِي حُجْرَته يَا مُحَمَّد يَا مُحَمَّد فَأَنْزَلَ اللَّه تَعَالَى " إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَك مِنْ وَرَاء الْحُجُرَات أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ " قَالَ فَأَخَذَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأُذُنِي فَمَدَّهَا فَجَعَلَ يَقُولُ" لَقَدْ صَدَّقَ اللَّه تَعَالَى قَوْلك يَا زَيْدُ لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ قَوْلك يَا زَيْد " وَرَوَاهُ اِبْن جَرِير عَنْ الْحَسَن بْن عَرَفَة عَنْ الْمُعْتَمِر بْن سُلَيْمَان بِهِ .

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

أَيْ لَكَانَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الْخِيرَة وَالْمَصْلَحَة فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة ثُمَّ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ دَاعِيًا لَهُمْ إِلَى التَّوْبَة وَالإِنَابَة " وَاللَّه غَفُور رَحِيم "

ا فعلتُمْيَا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَ

نادمينْ

يَأمُر تَعَالى بالتَّثَبُّتِ فِي خَبَر الْفَاسِق لِيُحْتَاط لَهُ لِئَلا يُحْكَمَ بِقَوْلِهِ فَيَكُون فِي نَفْس الأمْر كَاذِبًا أوْ مُخْطِئًا فَيَكُون الْحَاكِم بِقَوْلِهِ قَدْ اِقْتَفَى وَرَاءَهُ وَقَدْ نَهَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ عَنْ اِتِّبَاع سَبِيل الْمُفْسِدِينَ ، وَمِنْ هُنَا اِمْتَنَعَ طَوَائِف مِنْ الْعُلَمَاء مِنْ قَبُول رِوَايَة مَجْهُول الْحَال لِاحْتِمَالِ فِسْقه فِي نَفْس الأمْر وَقِيلَهَا آخَرُونَ لِأَنَّا إنَّمَا أمِرْنَا بِالتَّثَبُّتِ عِنْد خَبَر الْفَاسِق وَهَذَا لَيْسَ بِمُحَقَّق الْفِسْق لِأَنَّهُ مَجْهُول الْحَال وَقَدْ قَرَّرْنَا هَذِهِ الْمَسْأَلَة فِي كِتَاب الْعِلْم مِنْ شَرْح الْبُخَارِيّ وَلِلَّهِ تَعَالى الْحَمْد وَالْمِنَّة وَقَدْ ذَكَرَ كَثِير مِنْ الْمُفَسِّرِينَ أنَّ هَذِهِ الآيَة نَزَلَتْ فِي الْوَلِيد بْن عُقْبَة بْن أبِي مُعَيْط حِين بَعَثَهُ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صَدَقَات بَنِي الْمُصْطَلِق وَقَدْ رُوِيَ ذَلِكَ مِنْ طُرُق وَمِنْ أحْسَنِهَا مَا رَوَاهُ الإمَام أحْمَد فِي مُسْنَده مِنْ رِوَايَة مَلِك بَنِي الْمُصْطَلِق وَهُوَ الْحَارِث بْن أبِي ضِرَار وَالِد جُوَيْرِيَة بِنْت الْحَارِث أمّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا قَالَ الإمَام أحْمَد حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن سَابِق حَدَّثَنَا عِيسَى بْن دِينَار حَدَّثَنِي أبِي أنَّهُ سَمِعَ الْحَارِث بْن ضِرَار الْخُزَاعِيّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ يَقُول : قَدِمْت عَلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَانِي إلَى الإسْلا م فَدَخَلْت فِيهِ وَأقْرَرْت بِهِ وَدَعَانِي إلَى الزَّكَاة فَأقْرَرْت بِهَا وَقُلْت يَا رَسُول اللَّه أرْجِع إلَيْهِمْ فَأدْعُوهُمْ إلَى الإسْلا م وَأدَاء الزَّكَاة فَمَنْ اِسْتَجَابَ لِي جَمَعْت زَكَاته وَتُرْسِل إلَيَّ يَا رَسُول اللَّه رَسُولا إبَّان كَذَا وَكَذَا لِيَأتِيَك بِمَا جَمَعْت مِنْ الزَّكَاة فَلَمَّا جَمَعَ الْحَارِث الزَّكَاة مِمَّنْ اِسْتَجَابَ لَهُ وَبَلَغَ الإبَّان الَّذِي أرَادَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يَبْعَث إلَيْهِ اِحْتَبَسَ عَلَيْهِ الرَّسُول وَلَمْ يَأتِهِ وَظَنَّ الْحَارِث أنَّهُ قَدْ حَدَثَ فِيهِ سَخْطَة مِنْ اللَّهِ تَعَالى وَرَسُوله فَدَعَا بِسَرَوَاتِ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُمْ : إنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ وَقَّتَ لِي وَقْتًا يُرْسِلُ إلَيَّ رَسُوله لِيَقْبِض مَا كَانَ عِنْدِي مِنْ الزَّكَاة وَلَيْسَ مِنْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخُلْفُ وَلا أرَى حَبْس رَسُوله إلا مِنْ سَخْطَة فَانْطَلِقُوا بِنَا نَأتِي رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعَثَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَلِيد بْن عُقْبَة إلَى الْحَارِث لِيَقْبِض مَا كَانَ عِنْده مِمَّا جَمَعَ مِنْ الزَّكَاة فَلَمَّا أنْ سَارَ الْوَلِيد حَتَّى بَلَغَ بَعْض الطَّرِيق فَرِقَ أيْ خَافَ فَرَجَعَ حَتَّى أتَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُول اللَّه إنَّ الْحَارِث قَدْ مَنَعَنِي الزَّكَاة وَأرَادَ قَتْلِي فَغَضِبَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعَثَ الْبَعْث إلَى الْحَارِث رَضِيَ اللَّه عَنْهُ وَأقْبَلَ الْحَارِث بِأصْحَابِهِ حَتَّى إذَا اِسْتَقْبَلَ الْبَعْث وَفَصَلَ عَنْ الْمَدِينَة لَقِيَهُمْ الْحَارِثُ فَقَالُوا هَذَا الْحَارِثُ فَلَمَّا غَشِيَهُمْ قَالَ لَهُمْ إلَى مَنْ بُعِثْتُمْ ؟ قَالُوا إلَيْك قَالَ وَلِمَ ؟ قَالُوا إنَّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ إلَيْك الْوَلِيد بْن عُقْبَة فَزَعَمَ أنَّك مَنَعْته الزَّكَاة

وَأَرَدْت قَـتْله قَالَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ لا وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ مَا رَأَيْته بَتَّة وَلا أَتَانِي فَلَمَّا دَخَلَ الْحَارِث عَلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " مَنَعْت الزَّكَاة وَأَرَدْت قَتْل رَسُولِي ؟ " قَـالَ لا وَالَّذِي بَعَثَك بِالْحَقِّ مَا رَأَيْته وَلا أَتَانِي وَمَا أَقْبَلْت إلا حِين اِحْتَبَسَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّـه عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ خَشِيت أَنْ يَكُون كَانَتْ سَخْطَة مِنْ اللَّه تَعَالَى وَرَسُوله قَالَ فَنَزَلَتْ الْحُجُرَات " يَا أَيّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جَاءَكُمْ فَاسِق بِنَبَإٍ – إلَى قَوْله – حَكِيم " وَرَوَاهُ اِبْن أَبِي حَاتِم عَنْ الْمُنْذِر بْن شَاذَان التَّمَّار عَنْ مُحَمَّد بْن سَابِق بِهِ وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ مِنْ حَدِيث مُحَمَّد بْن سَابِق بِهِ غَيْر أَنَّهُ سَمَّاهُ الْحَارِث بْن سِرَار وَالصَّوَاب أَنَّهُ الْحَارِث بْن ضِرَار كَمَا تَقَدَّمَ وَقَالَ اِبْن جَرِير حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب حَدَّثَنَا جَعْفَر بْن عَوْن عَنْ مُوسَـى بْن عُبَيْدَة عَنْ ثَابِت مَوْلَى أُمّ سَلَمَة عَنْ أُمّ سَلَمَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا قَالَتْ : بَعَثَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّـه عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلا فِي صَدَقَات بَنِي الْمُصْطَلِق بَعْد الْوَقِيعَة فَسَمِعَ بِذَلِكَ الْقَوْم فَتَلَقَّوْهُ يُعَظِّمُونَ أَمْر رَسُـول اللَّـه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ فَحَدَّثَهُ الشَّيْطَان أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ قَتْله قَالَتْ فَرَجَعَ إلَى رَسُول اللَّه صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إنَّ بَنِي الْمُصْطَلِق قَدْ مَنَعُونِي صَدَقَاتهمْ فَغَضِبَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ قَالَتْ فَبَلَغَ الْقَوْمَ رُجُوعُهُ فَأَتَوْا رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَفُّوا لَهُ حِين صَلَّى الظُّهْـر فَقَالُوا نَعُوذ بِاَللَّهِ مِنْ سَخَط اللَّه وَسَخَط رَسُوله بَعَثْت إلَيْنَا رَجُلا مُصَدِّقًا فَسُرِرْنَا بِذَلِكَ وَقَرَّتْ بِهِ أَعْيُنُنَا ثُمَّ إنَّهُ رَجَعَ مِنْ بَعْض الطَّرِيق فَخَشِينَا أَنْ يَكُون ذَلِكَ غَضَبًا مِنْ اللَّه تَعَالَى وَمِنْ رَسُوله صَلَّى اللَّه عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَزَالُوا يُكَلِّمُونَهُ حَتَّى جَاءَ بلا ل رَضِيَ اللَّه عَنْهُ فَأَذَّنَ بِصَلا ةِ الْعَصْر قَالَتْ وَنَزَلَتْ " يَا أَيّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جَاءَكُمْ فَاسِق بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ " وَرَوَى اِبْـن جَرِير أَيْضًا مِنْ طَرِيق الْعَوْفِيّ عَنْ اِبْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي هَذِهِ الأَيَةِ قَالَ : كَانَ رَسُـول فِي اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ الْوَلِيد بْن عُقْبَة بْن أَبِي مُعَيْط إلَى بَنِي الْمُصْطَلِق لِيَأْخُذ مِنْهُمْ الصَّـدَقَات وَأَنَّهُمْ لَمَّا أَتَاهُمْ الْخَبَرُ فَرِحُوا وَخَرَجُوا يَتَلَقَّوْنَ رَسُولَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ لَمَّا حُدِّثَ الْوَلِيدُ أَنَّهُمْ خَرَجُوا يَتَلَقَّوْنَهُ رَجَعَ الْوَلِيد إلَى رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إنَّ بَنِي الْمُصْطَلِق قَدْ مَنَعُوا الصَّدَقَة فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا فَبَيْنَا هُـوَ يُحَـدِّثُ نَفْسَهُ أَنْ يَغْزُوَهُمْ إذْ أَتَاهُ الْوَفْد فَقَالُوا يَا رَسُول اللَّه إنَّا حُدِّثْنَا أَنَّ رَسُولك رَجَعَ مِنْ نِصْف الطَّـرِيق وَإِنَّا خَشِينَا أَنَّمَا رَدَّهُ كِتَاب جَاءَ مِنْك لِغَضَبٍ غَضِبْته عَلَيْنَا وَإِنَّا نَعُوذ بِاَللَّهِ مِنْ غَضَبه وَغَضَب رَسُوله وَإِنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَغْشَّهُمْ وَهَمَّ بِهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى عُذْرهمْ فِي الْكِتَاب فَقَالَ " يَا أَيّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جَاءَكُمْ فَاسِق بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا " إلَى آخِر الأَيَة وَقَالَ مُجَاهِد وَقَتَادَة أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّـهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ إلَى بَنِي الْمُصْطَلِق لِيُصَدِّقَهُمْ فَتَلَقَّوْهُ بِالصَّدَقَةِ فَرَجَعَ فَقَالَ إنَّ بَنِي الْمُصْطَلِق قَدْ جَمَعَتْ لَك لِتُقَاتِلَك زَادَ قَتَادَة وَإِنَّهُمْ قَدْ اِرْتَدُّوا عَنْ الإِسْلا م فَبَعَثَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَـيْهِ وَسَـلَّمَ خَالِد بْن الْوَلِيد رَضِيَ اللَّه عَنْهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَثَبَّت وَلا يَعْجَل فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَاهُمْ لَيْلا فَبَعَثَ عُـيُونَهُ فَلَمَّا جَاءُوا أَخْبَرُوا خَالِدًا رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّهُمْ مُسْتَمْسِكُونَ بِالإِسْلا م وَسَمِعُوا أَذَانَهُمْ وَصَلا تهمْ

فلمَّا أصبْحُوا أتَاهُمْ خَالِد رَضِيَ اللَّه عَنْهُ فرَأى الَّذِي يُعْجِبُهُ فرَجَعَ إلى رَسُول اللَّه صلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسلَّمَ فأخْبَرَهُ الْخَبَر فأنْزَلَ اللَّهُ تَعَالى هَذِهِ الأيَة قَالَ قَتَادَة فكَانَ رَسُول اللَّه صلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسلَّمَ يَقُول " التَّثَبُّت مِـنْ اللَّه ، وَالْعَجَلَةُ مِنْ الشَّيْطَان" وكَذَا ذكَرَ غَيْر وَاحِد مِنْ السَّلف مِنْهُمْ إبْن أبي لَيْلى وَيَزِيد بْن رُومَان وَالضَّحَّاك وَمُقَاتِل بْن حَيَّان وَغَيْرهمْ فِي هَذِهِ الأيَة أنَّهَا نَزلَتْ فِي الْوَلِيد بْن عُقْبَة وَاَللَّه أعْلَمُ .

وَاعْلَمُوا أنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ

" وَاعْلَمُوا أنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ " أيْ إعْلَمُوا أنَّ بَيْنَ أظْهُرِكُمْ رَسُولَ اللَّه فَعَظِّمُوهُ وَوَقِّرُوهُ وَتَأَدَّبُوا مَعَـهُ وَانْقَادُوا لِأمْرِهِ فإنَّهُ أعْلَمُ بِمَصَالِحِكُمْ وَأشْفَقُ عَلَيْكُمْ مِنْكُمْ وَرَأيه فِيكُمْ أتَمُّ مِنْ رَأيِكُمْ لِأنْفُسِكُمْ كَمَا قَالَ تَـبَارَكَ وَتَعَالَـى " النَّبِـيّ أوْلَـى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أنْفُسهمْ " ثُمَّ بَيَّنَ أنَّ رَأيهمْ سَخِيف بِالنِّسْبَةِ إلى مُرَاعَاة مَصَالِحهمْ فَقَالَ " لَوْ يُطِيعكُمْ فِي كَثِير مِنْ الأمْر لَعَنِتُّمْ " أيْ لَوْ أطَاعَكُمْ فِي جَمِيع مَا تَخْتَارُونَهُ لا دَّى ذَلِكَ إلى عَنَتِكُمْ وَحَرَجكُمْ كَمَا قَالَ سُبْحَانه وَتَعَالى " وَلَوْ إتَّبَعَ الْحَقُّ أهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتْ السَّمَاوَات وَالأرْض وَمَنْ فِـيهِنَّ بَلْ أتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرهمْ مُعْرِضُونَ " وَقَوْله عَزَّ وَجَلَّ " وَلَكِنَّ اللَّه حَبَّبَ إلَيْكُمْ الإيمَان وَزَيَّـنَهُ فِي قُلُوبكُمْ " أيْ حَبَّبَهُ إلى نُفُوسكُمْ وَحَسَّنَهُ فِي قُلُوبكُمْ قَالَ الإمَام أحْمَد حَدَّثَنَا بَهْز حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن مَسْعَدَةَ حَدَّثَنَا قَتَادَة عَنْ أنَس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُول اللَّه صلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسلَّمَ يَقُول " الإسْلا م عَلا نِيَة وَالإيمَان فِي الْقَلْب – قَالَ ثُمَّ يُشِير بِيَدِهِ إلى صَدْره ثَلا ث مَرَّات ثُمَّ يَقُول – التَّقْوَى هَهُنَا التَّقْوَى هَهُـنَا " " وَكَرَّهَ إلَيْكُمْ الْكُفْر وَالْفُسُوق وَالْعِصْيَان " أيْ وَبَغَّضَ إلَيْكُمْ الْكُفْر وَالْفُسُوق وَهِيَ الذُّنُوب الْكِبَار وَالْعِصْـيَان وَهِـيَ جَمِيع الْمَعَاصِي وَهَذَا تَدْرِيج لِكَمَال النِّعْمَة وَقَوْله تَعَالى " أولَئِكَ هُمْ الرَّاشِدُونَ " أيْ الْمُتَّصِـفُونَ بِهَـذِهِ الصِّـفَة هُمْ الرَّاشِدُونَ الَّذِينَ قَدْ آتَاهُمْ اللَّه رُشْدَهُمْ قَالَ الإمَام أحْمَد حَدَّثَنَا مَرْوَان بْن مُعَاوِيَة الْفَزَارِيّ حَدَّثَنَا عَبْد الْوَاحِد بْن أيْمَنَ الْمَكِّيّ عَنْ أبي رِفَاعَة الزُّرَقِيّ عَنْ أبِيهِ قَالَ لَمَّا كَانَ يَوْم أحُد وَانْكَفَـأ الْمُشْـرِكُونَ قَـالَ رَسُول اللَّه صلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسلَّمَ" اِسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ " فَصَـارُوا خَلْفه صُفُوفًا فَقَالَ صلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسلَّمَ " اللَّهُمَّ لك الْحَمْد كُلّه اللَّهُمَّ لا قَابِض لِمَا بَسَطْت وَلا بَاسِـط لِمَا قَبَضْت وَلا هَادِي لِمَنْ أضْلَلْت وَلا مُضِلّ لِمَنْ هَدَيْت وَلا مُعْطِي لِمَا مَنَعْت وَلا مَانِع لِمَا أعْطَـيْت وَلا مُقَرِّب لِمَا بَاعَدْت وَلا مُبَاعِد لِمَا قَرَّبْت اللَّهُمَّ اُبْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتك وَرَحْمَتك وَفَضْلِك وَرِزْقـك اللَّهُـمَّ إنِّـي أسْأَلُك النَّعِيم الْمُقِيم الَّذِي لا يَحُول وَلا يَزُول اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُك النَّعِيم يَوْم الْعَيْلَة وَالأمْـن يَوْم الْخَوْف اللَّهُمَّ إنِّي عَائِذ بِك مِنْ شَرّ مَا أعْطَيْتَنَا وَمِنْ شَرّ مَا مَنَعْتَنَا اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلَيْنَا الإيمَان وَزَيِّـنْهُ فِي قُلُوبنَا وَكَرِّهْ إلَيْنَا الْكُفْر وَالْفُسُوق وَالْعِصْيَان وَاجْعَلْنَا مِنْ الرَّاشِدِينَ اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأحْيِنَا مُسْـلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْر خَزَايَا وَلا مَفْتُونِينَ اللَّهُمَّ قَاتِلْ الْكَفَرَة الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلك وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِك وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَك وَعَذَابَك اللَّهُمَّ قَاتِلْ الْكَفَرَة الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَاب إلَهَ الْحَقّ " وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ

فِي الْيَوْم وَاللَّيْلَة عَنْ زِيَاد بْن أَيُّوب عَنْ مَرْوَان بْن مُعَاوِيَة عَنْ عَبْد الْوَاحِد بْن أَيْمَنَ عَنْ عُبَيْد بْن رِفَاعَة عَنْ أَبِيهِ بِهِ وَفِي الْحَدِيث الْمَرْفُوع " مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ " .

فَضْلا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

أَيْ هَذَا الْعَطَاء الَّذِي مَنَحَكُمُوهُ هُوَ فَضْل مِنْهُ عَلَيْكُمْ وَنِعْمَة مِنْ لَدُنْهُ " وَاَللَّه عَلِيم حَكِيم " أَيْ عَلِيم بِمَنْ يَسْتَحِقّ الْهِدَايَة مِمَّنْ يَسْتَحِقّ الْغَوَايَة حَكِيمٌ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَشَرْعه وَقَدَره .

وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ

يَقُول تَعَالَى آمِرًا بِالإِصْلاَ ح بَيْن الْفِئَتَيْنِ الْبَاغِيَتَيْنِ بَعْضهمْ عَلَى بَعْض " وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اِقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا " فَسَمَّاهُمْ مُؤْمِنِينَ مَعَ الِاقْتِتَال ، بِهَذَا اِسْتَدَلَّ الْبُخَارِيّ وَغَيْره عَلَى أَنَّهُ لا يَخْرُج عَنْ الإِيمَان بِالْمَعْصِيَةِ وَإِنْ عَظُمَتْ لا كَمَا يَقُولهُ الْخَوَارِج وَمَنْ تَابَعَهُمْ مِنْ الْمُعْتَزِلَة وَنَحْوهمْ وَهَكَذَا ثَبَتَ فِي صَحِيح الْبُخَارِيّ مِنْ حَدِيث الْحَسَن عَنْ أَبِي بَكْرَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ إِنَّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ يَوْمًا وَمَعَهُ عَلَى الْمِنْبَر الْحَسَن بْن عَلِيّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا فَجَعَلَ يَنْظُر إِلَيْهِ مَرَّة وَإِلَى النَّاس أُخْرَى وَيَقُول " إِنَّ اِبْنِي هَذَا سَيِّد وَلَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُصْلِح بِهِ بَيْن فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ " فَكَانَ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْلَحَ اللَّه تَعَالَى بِهِ بَيْن أَهْل الشَّام وَأَهْل الْعِرَاق بَعْد الْحُرُوب الطَّوِيلَة وَالْوَاقِعَات الْمَهُولَة وَقَوْله تَعَالَى" فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْر اللَّه " أَيْ حَتَّى تَرْجِع إِلَى أَمْر اللَّه وَرَسُوله وَتَسْمَع لِلْحَقِّ وَتُطِيعهُ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيح عَنْ أَنَس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " اُنْصُرْ أَخَاك ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا " قُلْت يَا رَسُول اللَّه هَذَا نَصَرْته مَظْلُومًا فَكَيْف أَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ قَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " تَمْنَعهُ مِنْ الظُّلْم فَذَاكَ نَصْرُك إِيَّاهُ " وَقَالَ الإِمَام أَحْمَد حَدَّثَنَا عَارِم حَدَّثَنَا مُعْتَمِر قَالَ سَمِعْت أَبِي يُحَدِّث أَنَّ أَنَسًا رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ : قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ أَتَيْت عَبْد اللَّه بْن أُبَيّ فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَكِبَ حِمَارًا وَانْطَلَقَ الْمُسْلِمُونَ يَمْشُونَ وَهِيَ أَرْض سَبِخَة فَلَمَّا اِنْطَلَقَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ قَالَ : إِلَيْك عَنِّي فَوَاَللَّهِ لَقَدْ آذَانِي رِيحُ حِمَارِك فَقَالَ رَجُل مِنْ الأَنْصَار وَاَللَّه لَحِمَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْك قَالَ فَغَضِبَ لِعَبْدِ اللَّه رِجَال مِنْ قَوْمه فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِد مِنْهُمَا أَصْحَابه قَالَ فَكَانَ بَيْنهمْ ضَرْب بِالْجَرِيدِ وَالأَيْدِي وَالنِّعَال فَبَلَغَنَا أَنَّهُ أُنْزِلَتْ فِيهِمْ " وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اِقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنهمَا " وَرَوَاهُ الْبُخَارِيّ فِي الصُّلْح عَنْ مُسَدَّد وَمُسْلِم فِي الْمَغَازِي عَنْ مُحَمَّد بْن عَبْد الأَعْلَى كِلا هُمَا عَنْ الْمُعْتَمِر بْن سُلَيْمَان عَنْ أَبِيهِ بِهِ نَحْوه ، وَذَكَرَ سَعِيد بْن جُبَيْر أَنَّ الأَوْس وَالْخَزْرَج كَانَ بَيْنهمَا قِتَالٌ بِالسَّعَفِ وَالنِّعَال فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَة فَأَمَرَ بِالصُّلْحِ بَيْنهمَا ،

وَقَالَ السُّدِّيّ : كَانَ رَجُلا مِنْ الأنْصَار يُقَال لَهُ عِمْرَان كَانَتْ لَهُ اِمْرَأَة تُدْعَى أُمّ زَيْد ، وَإِنَّ الْمَرْأَة أَرَادَتْ أَنْ تَزُور أَهْلهَا فَحَبَسَهَا زَوْجُهَا وَجَعَلَهَا فِي عَلِيَّةٍ لَهُ لا يَدْخُل عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا وَإِنَّ الْمَرْأَة بَعَثَتْ إِلَى أَهْلِهَا فَجَاءَ قَوْمهَا وَأَنْزَلُوهَا لِيَنْطَلِقُوا بِهَا ، وَإِنَّ الرَّجُل كَانَ قَدْ خَرَجَ فَاسْتَعَانَ أَهْل الزَّجُل فَجَاءَ بَنُو عَمِّهِ لِيَحُولُوا بَيْن الْمَرْأَة وَبَيْن أَهْلِهَا فَتَدَافَعُوا وَاجْتَلَدُوا بِالنِّعَالِ فَنَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الأيَة فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْلَحَ بَيْنهمْ وَفَاءُوا إِلَى أَمْر اللَّه تَعَالَى وَقَوْله عَزَّ وَجَلَّ" فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنهمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ " أَيْ اِعْدِلُوا بَيْنهمَا فِيمَا كَانَ أَصَابَ بَعْضهمْ لِبَعْضٍ بِالْقِسْطِ وَهُوَ الْعَدْلُ " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ " قَالَ اِبْن أَبِي حَاتِم حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَة حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْر الْمُقَدَّمِيّ حَدَّثَنَا عَبْد الأعْلَى عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيد بْن الْمُسَيِّب عَنْ عَبْد اللَّه بْن عَمْرو رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ إِنَّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " إِنَّ الْمُقْسِطِينَ فِي الدُّنْيَا عَلَى مَنَابِر مِنْ لُؤْلُؤ بَيْن يَدَيْ الرَّحْمَن عَزَّ وَجَلَّ بِمَا أَقْسَطُوا فِي الدُّنْيَا " وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ عَنْ مُحَمَّد بْن الْمُثَنَّى عَنْ عَبْد الأعْلَى بِهِ ، وَهَذَا إِسْنَاده جَيِّد قَوِيّ رِجَاله عَلَى شَرْط الصَّحِيح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد اللَّه بْن يَزِيد حَدَّثَنَا سُفْيَان بْن عُيَيْنَة عَنْ عَمْرو بْن دِينَار عَنْ عَمْرو بْن أَوْس عَنْ عَبْد اللَّه بْن عَمْرو رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " الْمُقْسِطُونَ عِنْد اللَّه تَعَالَى يَوْم الْقِيَامَة عَلَى مَنَابِر مِنْ نُور عَلَى يَمِين الْعَرْش الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمهمْ وَأَهَالِيهِمْ وَمَا وَلُوا " وَرَوَاهُ مُسْلِم وَالنَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث سُفْيَان بْن عُيَيْنَة بِهِ .

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

أَيْ الْجَمِيع إِخْوَة فِي الدِّين كَمَا قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" الْمُسْلِم أَخُو الْمُسْلِم لا يَظْلِمهُ وَلا يُسْلِمهُ "وَفِي الصَّحِيح " وَاَللَّه فِي عَوْن الْعَبْد مَا كَانَ الْعَبْد فِي عَوْن أَخِيهِ " وَفِي الصَّحِيح أَيْضًا " إِذَا دَعَا الْمُسْلِم لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْب قَالَ الْمَلَكُ آمِينَ وَلَك بِمِثْلِهِ " وَالأحَادِيث فِي هَذَا كَثِيرَة وَفِي الصَّحِيح " مَثَل الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمهمْ وَتَوَاصُلهمْ كَمَثَلِ الْجَسَد الْوَاحِد إِذَا اِشْتَكَى مِنْهُ عُضْو تَدَاعَى لَهُ سَائِر الْجَسَد بِالْحُمَّى وَالسَّهَر" وَفِي الصَّحِيح أَيْضًا " الْمُؤْمِن لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا " وَشَبَّكَ بَيْن أَصَابِعه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ أَحْمَد حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن الْحَجَّاج حَدَّثَنَا عَبْد اللَّه أَخْبَرَنَا مُصْعَب بْن ثَابِت حَدَّثَنِي أَبُو حَازِم قَالَ : سَمِعْت سَهْل بْن سَعْد السَّاعِدِيّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ يُحَدِّث عَنْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " إِنَّ الْمُؤْمِن مِنْ أَهْل الإِيمَان بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنْ الْجَسَدِ يَأْلَمُ الْمُؤْمِنُ لأَهْل الإِيمَان كَمَا يَأْلَم الْجَسَد لِمَا فِي الرَّأْس " تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد وَلا بَأْسَ بِإِسْنَادِهِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى " فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ" يَعْنِي الْفِئَتَيْنِ الْمُقْتَتِلَتَيْنِ " وَاتَّقُوا اللَّه " أَيْ فِي جَمِيع أُمُوركُمْ " لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " وَهَذَا تَحْقِيق مِنْهُ تَعَالَى لِلرَّحْمَةِ لِمَنْ اِتَّقَاهُ .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظالمون

يَنْهَى تَعَالَى عَنْ السُّخْرِيَة بِالنَّاس وَهُوَ اِحْتِقَارُهُمْ وَالِاسْتِهْزَاء بِهِمْ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيح عَنْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ " الْكِبْر بَطَرُ الْحَقّ وَغَمْصُ النَّاس – وَيُرْوَى – وَغَمْط النَّاس " وَالْمُرَاد مِنْ ذَلِكَ اِحْتِقَارهمْ وَاسْتِصْغَارهمْ وَهَذَا حَرَام فَإِنَّهُ قَدْ يَكُون الْمُحْتَقَرُ أَعْظَمَ قَدْرًا عِنْد اللَّه تَعَالَى وَأَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ السَّاخِر مِنْهُ الْمُحْتَقِر لَهُ ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى " يَا أَيّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ " فَنَصَّ عَلَى نَهْي الرِّجَال وَعَطَفَ بِنَهْيِ النِّسَاء وَقَوْله تَبَارَكَ وَتَعَالَى " وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ " أَيْ لا تَلْمِزُوا النَّاس وَالْهَمَّاز اللَّمَّاز مِنْ الرِّجَال مَذْمُوم مَلْعُون كَمَا قَالَ تَعَالَى " وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ " وَالْهَمْز بِالْفِعْلِ وَاللَّمْز بِالْقَوْلِ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ" هَمَّاز مَشَّاء بِنَمِيمٍ " أَيْ يَحْتَقِر النَّاس وَيَهْمِزهُمْ طَاعِنًا عَلَيْهِمْ وَيَمْشِي بَيْنهمْ بِالنَّمِيمَةِ وَهِيَ اللَّمْز بِالْمَقَالِ وَلِهَذَا قَالَ هَهُنَا " وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ" كَمَا قَالَ " وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسكُمْ " أَيْ لا يَقْتُل بَعْضكُمْ بَعْضًا قَالَ اِبْن عَبَّاس وَمُجَاهِد وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَقَتَادَة وَمُقَاتِل بْن حَيَّان " وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسكُمْ " أَيْ لا يَطْعَن بَعْضكُمْ عَلَى بَعْض وَقَوْله تَعَالَى " وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ" أَيْ لا تَدَاعَوْا بِالأَلْقَابِ وَهِيَ الَّتِي يَسُوء الشَّخْص سَمَاعُهَا قَالَ الإِمَام أَحْمَد حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل حَدَّثَنَا دَاوُدَ بْن أَبِي هِنْد عَنْ الشَّعْبِيّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو جَبِيرَة بْن الضَّحَّاك قَالَ فِينَا نَزَلَتْ فِي بَنِي سَلَمَة " وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ " قَالَ قَدِمَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَة وَلَيْسَ فِينَا رَجُل إِلا وَلَهُ اِسْمَانِ أَوْ ثَلاثَة فَكَانَ إِذَا دَعَا أَحَدًا مِنْهُمْ بِاسْمٍ مِنْ تِلْكَ الأَسْمَاء قَالُوا يَا رَسُول اللَّه إِنَّهُ يَغْضَب مِنْ هَذَا فَنَزَلَتْ" وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ " وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ مُوسَى بْن إِسْمَاعِيل عَنْ وَهْب عَنْ دَاوُدَ بِهِ وَقَوْله جَلَّ وَعَلا " بِئْسَ الِاسْم الْفُسُوق بَعْد الإِيمَان " أَيْ بِئْسَ الصِّفَة وَالِاسْم الْفُسُوق وَهُوَ التَّنَابُز بِالأَلْقَابِ كَمَا كَانَ أَهْل الْجَاهِلِيَّة يَتَنَاعَتُونَ بَعْدَمَا دَخَلْتُمْ فِي الإِسْلام وَعَقَلْتُمُوهُ " وَمَنْ لَمْ يَتُبْ " أَيْ مِنْ هَذَا" فَأُولَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ " .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رحيم

يَقُول تَعَالَى نَاهِيًا عِبَاده الْمُؤْمِنِينَ عَنْ كَثِير مِنْ الظَّنّ وَهُوَ التُّهْمَة وَالتَّخَوُّن لِلْأَهْلِ وَالأَقَارِب وَالنَّاس فِي غَيْر مَحَلّه لِأَنَّ بَعْض ذَلِكَ يَكُون إِثْمًا مَحْضًا فَلْيُجْتَنَبْ كَثِيرٌ مِنْهُ اِحْتِيَاطًا وَرُوِّينَا عَنْ أَمِير الْمُؤْمِنِينَ عُمَر بْن الْخَطَّاب رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : وَلا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَخِيك الْمُؤْمِن إِلا خَيْرًا وَأَنْتَ تَجِد لَهَا فِي الْخَيْر مَحْمَلا وَقَالَ أَبُو عَبْد اللَّه بْن مَاجَهْ حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِم بْن أَبِي ضَمْرَة نَصْر

بْن مُحَمَّد بْن سُلَيْمَان الْحِمْصِيّ حَدَّثَنَا أبي حَدَّثَنَا عَبْد اللَّه بْن أبي قَيْس النَّصْرِيّ حَدَّثَنَا عَبْد اللَّه بْن عُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ رَأَيْت النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطُوف بِالْكَعْبَةِ وَيَقُول " مَا أَطْيَبَك وَأَطْيَبَ رِيحَك مَا أَعْظَمَك وَأَعْظَمَ حُرْمَتَك وَالَّذِي نَفْس مُحَمَّد بِيَدِهِ لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِن أَعْظَمُ عِنْد اللَّه تَعَالَى حُرْمَة مِنْك مَاله وَدَمه وَأَنْ يَظُنّ بِهِ إلا خَيْرًا " تَفَرَّدَ بِهِ اِبْن مَاجَهْ مِنْ هَذَا الْوَجْه وَقَالَ مَالِك عَنْ أبي الزِّنَاد عَنْ الأَعْرَج عَنْ أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " إِيَّاكُمْ وَالظَّنّ فَإِنَّ الظَّنّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا تَحَسَّسُوا وَلا تَنَافَسُوا وَلا تَحَاسَدُوا وَلا تَبَاغَضُوا وَلا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَاد اللَّه إِخْوَانًا " رَوَاهُ الْبُخَارِيّ عَنْ عَبْد اللَّه بْن يُوسُف ، وَمُسْلِم عَنْ يَحْيَى بْن يَحْيَى وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ الْعُنْبِيّ عَنْ مَالِك بِهِ وَقَالَ سُفْيَان بْن عُيَيْنَة عَنْ الزُّهْرِيّ عَنْ أَنَس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " لا تَقَاطَعُوا وَلا تَدَابَرُوا وَلا تَبَاغَضُوا وَلا تَحَاسَدُوا وَكُونُوا عِبَاد اللَّه إِخْوَانًا وَلا يَحِلّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُر أَخَاهُ فَوْق ثَلا ثَة أَيَّام " رَوَاهُ مُسْلِم وَالتِّرْمِذِيّ وَصَحَّحَهُ مِنْ حَدِيث سُفْيَان بْن عُيَيْنَة بِهِ وَقَالَ الطَّبَرَانِيّ حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد اللَّه الْقِرْمِطِيّ الْعَدَوِيّ حَدَّثَنَا بَكْر بْن عَبْد الْوَهَّاب الْمَدَنِيّ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن قَيْس الأَنْصَارِيّ حَدَّثَنِي عَبْد الرَّحْمَن بْن مُحَمَّد بْن أبي الرِّجَال عَنْ أبيهِ عَنْ جَدّه حَارِثَة بْن النُّعْمَان رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ثَلا ث لا زِمَات لِأُمَّتِي : الطِّيَرَة وَالْحَسَد وَسُوء الظَّنّ " فَقَالَ رَجُل وَمَا يُذْهِبهُنَّ يَا رَسُول اللَّه مِمَّنْ هُنَّ فِيهِ ؟ قَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" إِذَا حَسَدْت فَاسْتَغْفِرْ اللَّه وَإِذَا ظَنَنْت فَلا تُحَقِّقْ وَإِذَا تَطَيَّرْت فَامْضِ " وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر بْن أبي شَيْبَة حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَة عَنْ الأَعْمَش عَنْ زَيْد رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ أُتِيَ اِبْن مَسْعُود رَضِيَ اللَّه عَنْهُ بِرَجُلٍ فَقِيلَ لَهُ هَذَا فُلا ن تَقْطُر لِحْيَتُهُ خَمْرًا فَقَالَ عَبْد اللَّه رَضِيَ اللَّه عَنْهُ إِنَّا قَدْ نُهِينَا عَنْ التَّجَسُّس وَلَكِنْ إِنْ يَظْهَر لَنَا شَيْء نَأْخُذ بِهِ سَمَّاهُ اِبْن أبي حَاتِم فِي رِوَايَته الْوَلِيد بْن عُقْبَة بْن أبي مُعَيْط وَقَالَ الإِمَام أَحْمَد حَدَّثَنَا هَاشِم حَدَّثَنَا لَيْث عَنْ إِبْرَاهِيم بْن نَشِيط الْخَوْلا نِيّ عَنْ كَعْب بْن عَلْقَمَة عَنْ أبي الْهَيْثَم عَنْ دُخَيْن كَاتِب عُقْبَة قَالَ : قُلت لِعُقْبَة إِنَّ لَنَا جِيرَانًا يَشْرَبُونَ الْخَمْر وَأَنَا دَاعٍ لَهُمْ الشُّرَط فَيَأْخُذُونَهُمْ قَالَ لا تَفْعَل وَلَكِنْ عِظْهُمْ وَتَهَدَّدْهُمْ قَالَ فَفَعَلَ فَلَمْ يَنْتَهُوا قَالَ فَجَاءَهُ دُخَيْن فَقَالَ إِنِّي قَدْ نَهَيْتهمْ فَلَمْ يَنْتَهُوا وَإِنِّي دَاعٍ لَهُمْ الشُّرَط فَتَأْخُذهُمْ فَقَالَ لَهُ عُقْبَة وَيْحك لا تَفْعَل فَإِنِّي سَمِعْت رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول " مَنْ سَتَرَ عَوْرَة مُؤْمِن فَكَأَنَّمَا اِسْتَحْيَا مَوْءُودَةً مِنْ قَبْرهَا" وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيّ مِنْ حَدِيث اللَّيْث بْن سَعْد بِهِ نَحْوه وَقَالَ سُفْيَان الثَّوْرِيّ عَنْ رَاشِد بْن سَعْد عَنْ مُعَاوِيَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ سَمِعْت النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول " إِنَّك إِنْ اِتَّبَعْت عَوْرَات النَّاس أَفْسَدْتهمْ أَوْ كِدْت أَنْ تُفْسِدهُمْ " فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاء رَضِيَ اللَّه عَنْهُ كَلِمَة سَمِعَهَا مُعَاوِيَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ مِنْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفَعَهُ اللَّه تَعَالَى بِهَا وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مُنْفَرِدًا بِهِ مِنْ حَدِيث الثَّوْرِيّ بِهِ وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا حَدَّثَنَا سَعِيد بْن عَمْرو الْحَضْرَمِيّ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْن عَيَّاش حَدَّثَنَا ضَمْضَم بْن زُرْعَة عَنْ شُرَيْح بْن عُبَيْد عَنْ جُبَيْر بْن نُفَيْر وَكَثِير بْن مُرَّة وَعَمْرو بْن الأَسْوَد وَالْمِقْدَام بْن مَعْد ي كَرِبَ وَأبي أُمَامَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُمْ

عَـنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " إنَّ الأمِير إذَا اِبْتَغَى الرِّيبَة فِي النَّاس أفْسَدَهُمْ " " وَلا تَجَسَّسُوا " أيْ عَلَـى بَعْضكُمْ بَعْضًا وَالتَّجَسُّس غَالِبًا يُطْلَق فِي الشَّرّ وَمِنْهُ الْجَاسُوس وَأَمَّا التَّحَسُّس فَيَكُون غَالِبًا فِي الْخَيْـر كَمَـا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ إخْبَارًا عَنْ يَعْقُوب أَنَّهُ قَالَ " يَا بَنِيَّ اِذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُف وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْح اللَّه " وَقَدْ يُسْتَعْمَل كُلّ مِنْهُمَا فِي الشَّرّ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيح أَنَّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " لا تَجَسَّسُوا وَلا تَحَسَّسُوا وَلا تَبَاغَضُوا وَلا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَاد اللَّه إخْوَانًا " وَقَالَ الأَوْزَاعِـيّ التَّجَسُّس الْبَحْث عَنْ الشَّيْء وَالتَّحَسُّس الِاسْتِمَاع إلَى حَدِيث الْقَوْم وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ أَوْ يَتَسَمَّع عَلَـى أَبْوَابهمْ وَالتَّدَابُر : الصَّرْم رَوَاهُ اِبْن أَبِي حَاتِم عَنْهُ وَقَوْله تَعَالَى " وَلا يَغْتَبْ بَعْضكُمْ بَعْضًا " فِيهِ نَهْـي عَنْ الْغِيبَة وَقَدْ فَسَّرَهَا الشَّارِع كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيث الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا الْقَعْنَبِيّ حَدَّثَنَا عَبْد الْعَزِيز بْن مُحَمَّد عَنْ الْعَلا ء عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَالَ : قِيلَ يَا رَسُول اللَّه مَا الْغِيبَة ؟ قَالَ : صَلَّى اللَّـه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ذِكْرُك أَخَاك بِمَا يَكْرَه " قِيلَ أَفَرَأَيْت إنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُول ؟ قَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" إنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُول فَقَدْ اِغْتَبْته وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُول فَقَدْ بَهَتَّهُ " وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ قُتَيْبَة عَنْ الـدَّرَاوَرْدِيّ بِهِ وَقَالَ حَسَن صَحِيح وَرَوَاهُ اِبْن جَرِير عَنْ بُنْدَار عَنْ غُنْدَر عَنْ شُعْبَة عَنْ الْعَلا ء وَهَكَذَا قَـالَ اِبْـن عُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا وَمَسْرُوق وَقَتَادَة وَأَبُو إسْحَاق وَمُعَاوِيَة بْن قُرَّة وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا مُسَدَّد حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ سُفْيَان حَدَّثَنِي عَلِيّ بْن الأَقْمَر عَنْ أَبِي حُذَيْفَة عَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا قَالَتْ : قُلْت لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسْبُك مِنْ صَفِيَّة كَذَا وَكَذَا قَالَ غَيْر مُسَدَّد تَعْنِي قَصِيرَة فَقَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " لَقَدْ قُلْت كَلِمَة لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْر لَمَزَجَتْهُ " قَالَتْ وَحَكَيْت لَهُ إنْسَانًا فَقَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ " مَـا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْت إنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا " وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث يَحْيَى الْقَطَّان وَعَبْد الـرَّحْمَن بْـن مَهْدِيّ وَوَكِيع ثَلا ثَتهمْ عَنْ سُفْيَان الثَّوْرِيّ عَنْ عَلِيّ بْن الأَقْمَر عَنْ أَبِي حُذَيْفَة سَلَمَة بْن صُـهَيْب الأَرْحَبِيّ عَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا بِهِ وَقَالَ حَسَن صَحِيح وَقَالَ اِبْن جَرِير حَدَّثَنِي اِبْن أَبِي الشَّـوَارِب حَدَّثَنَا عَبْد الْوَاحِد بْن زِيَاد حَدَّثَنَا سُلَيْمَان الشَّيْبَانِيّ حَدَّثَنَا حَسَّان بْن الْمُخَارِق أَنَّ اِمْرَأَة دَخَلَتْ عَلَـى عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا فَلَمَّا قَامَتْ لِتَخْرُج أَشَارَتْ عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا بِيَدِهَا إلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْ أَنَّهَا قَصِيرَة فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " اغْتَبْتِيهَا " وَالْغِيبَة مُحَرَّمَة بِالإِجْمَاع لا يُسْـتَثْنَى مِـنْ ذَلِكَ إلا مَا رُجِّحَتْ مَصْلَحَتُهُ كَمَا فِي الْجَرْح وَالتَّعْدِيل وَالنَّصِيحَة كَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ لَمَّا اِسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الرَّجُل الْفَاجِر" اِئْذَنُوا لَهُ بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَة " وَكَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِفَاطِمَة بِنْت قَيْس رَضِيَ اللَّه عَنْهَا وَقَدْ خَطَبَهَا مُعَاوِيَة وَأَبُو الْجَهْم " أَمَّا مُعَاوِيَة فَصُعْلُوك وَأَمَّا أَبُو الْجَهْم فَـلا يَضَع عَصَاهُ عَنْ عَاتِقه " وَكَذَا مَا جَرَى مَجْرَى ذَلِكَ ثُمَّ بَقِيَّتُهَا عَلَى التَّحْرِيم الشَّدِيد وَقَدْ وَرَدَ فِيهَا الزَّجْـر الأَكِـيد ؛ وَلِهَذَا شَبَّهَهَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَكْلِ اللَّحْم مِنْ الإِنْسَان الْمَيِّت كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ " أَيُحِبُّ أَحَـدكُمْ أَنْ يَأْكُل لَحْم أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ " أَيْ كَمَا تَكْرَهُونَ هَذَا طَبْعًا فَاكْرَهُوا ذَاكَ شَرْعًا فَإِنَّ عُقُوبَته أَشَـدُّ مِـنْ هَذَا وَهَذَا مِنْ التَّنْفِير عَنْهَا وَالتَّحْذِير مِنْهَا كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّه عليه وسلم فِي الْعَائِد فِي هِبَته "

كَالْكَلْبِ يَقِيء ثُمَّ يَرْجِع فِي قَيْئِهِ" وَقَدْ قَالَ " لَيْسَ لَنَا مَثَل السَّوْء " وَثَبَتَ فِي الصِّحَاح وَالْحِسَان وَالْمَسَانِيد مِـنْ غَيْر وَجْه أَنَّهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي خُطْبَة حَجَّة الْوَدَاع " إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالكُمْ وَأَعْرَاضكُمْ عَلَـيْكُمْ حَـرَام كَحُرْمَةِ يَوْمكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدكُمْ هَذَا " وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَنَا وَاصِل بْن عَبْد الأَعْلَى حَدَّثَنَا أَسْبَاط بْن مُحَمَّد عَنْ هِشَام بْن سَعْد عَنْ زَيْد بْن أَسْلَمَ عَنْ أَبِي صَالِح عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " كُلّ الْمُسْلِم عَلَى الْمُسْلِم حَرَام مَاله وَعِرْضه وَدَمه حَسْب امْرِىءٍ مِـنْ الشَّرّ أَنْ يَحْقِر أَخَاهُ الْمُسْلِم" وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ عَنْ عُبَيْد بْن أَسْبَاط بْن مُحَمَّد عَنْ أَبِيهِ بِهِ وَقَالَ حَسَن غَـرِيب وَحَدَّثَنَا عُثْمَان بْن أَبِي شَيْبَة حَدَّثَنَا الأَسْوَد بْن عَامِر حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر بْن عَيَّاش عَنْ الأَعْمَش عَنْ سَـعِيد بْـن عَبْد اللَّه بْن جُرَيْج عَنْ أَبِي بَرْزَة السُّلَمِيّ قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " يَا مَعْشَر مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُل الإِيمَان قَلْبه لا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِع عَـوْرَاتهمْ يَتَّـبِع اللَّـه عَوْرَته وَمَنْ يَتَّبِع اللَّهُ عَوْرَته يَفْضَحهُ فِي بَيْته " تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو دَاوُدَ وَقَدْ رُوِيَ مِنْ حَدِيث الْبَرَاء بْن عَازِب فَقَالَ الْحَافِظ أَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَده حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن دِينَار حَدَّثَنَا مُصْعَب بْن سَلا م عَـنْ حَمْـزَة بْـن حَبِيب الزَّيَّات عَنْ أَبِي إِسْحَاق السَّبِيعِيّ عَنْ الْبَرَاء بْن عَازِب رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ خَطَبَـنَا رَسُـول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَسْمَعَ الْعَوَاتِق فِي بُيُوتهَا أَوْ قَالَ فِي خُدُورهَا فَقَالَ " يَا مَعْشَـر مَـنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ لا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتهمْ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِع عَوْرَة أَخِيهِ يَتَّبِع اللَّه عَوْرَته وَمَنْ يَتَّبِع اللَّه عَوْرَته يَفْضَحهُ فِي جَوْف بَيْته " " طَرِيق أُخْرَى " عَنْ اِبْن عُمَر قَالَ أَبُو بَكْر أَحْمَد بْـن إِبْرَاهِيم الإِسْمَاعِيلِيّ حَدَّثَنَا عَبْد اللَّه بْن نَاجِيَة حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن أَكْثَم حَدَّثَنَا الْفَضْل بْن مُوسَى الشَّيْبَانِيّ عَنْ الْحُسَيْن بْن وَاقِد عَنْ أَوْفَى بْن دَلْهَم عَنْ نَافِع عَنْ اِبْن عُمَر أَنَّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " يَا مَعْشَر مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَان إِلَى قَلْبه لا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتهمْ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِع عَوْرَات الْمُسْلِمِينَ يَتَّبِع اللَّه عَوْرَته وَمَنْ يَتَّبِع اللَّه عَوْرَته يَفْضَحهُ وَلَوْ فِي جَوْف رَحْله " قَالَ وَنَظَرَ اِبْن عُمَر يَوْمًا إِلَى الْكَعْبَة فَقَالَ مَا أَعْظَمَك وَأَعْظَمَ حُرْمَتِك وَلِلْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْد اللَّه مِنْكِ قَالَ أَبُو دَاوُدَ حَدَّثَـنَا حَيْوَة بْن شُرَيْح حَدَّثَنَا بَقِيَّة عَنْ اِبْن ثَوْبَان عَنْ أَبِيهِ عَنْ مَكْحُول عَنْ وَقَّاص بْن رَبِيعَة عَنْ الْمِسْـوَر أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " مَنْ أَكَلَ بِرَجُلٍ مُسْلِم أَكْلَة فَإِنَّ اللَّه يُطْعِمهُ مِثْلهَا فِـي جَهَنَّم وَمَنْ كَسَا ثَوْبًا بِرَجُلٍ مُسْلِم فَإِنَّ اللَّه يَكْسُوهُ مِثْله فِي جَهَنَّم وَمَنْ قَامَ بِرَجُلٍ مَقَام سُمْعَة وَرِيَاء فَـإِنَّ اللَّه تَعَالَى يَقُوم بِهِ مَقَام سُمْعَة وَرِيَاء يَوْم الْقِيَامَة " تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو دَاوُدَ وَحَدَّثَنَا اِبْن مُصَفَّى حَدَّثَنَا بَقِيَّة وَأَبُو الْمُغِيرَة حَدَّثَنَا صَفْوَان حَدَّثَنِي رَاشِد بْن سَعْد وَعَبْد الرَّحْمَن بْن جُبَيْر عَنْ أَنَس بْن مَالِك قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْت بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَار مِنْ نُحَاس يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورهمْ قُلْت مَنْ هَؤُلا ء يَا جِبْرَائِيل ؟ قَالَ هَؤُلا ء الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُوم النَّاس وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضهمْ " تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو دَاوُدَ هَكَذَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد عَنْ أَبِي الْمُغِيرَة عَبْد الْقُدُّوس بْن الْحَجَّاج الشَّامِيّ بِهِ وَقَالَ اِبْن أَبِـي حَـاتِم حَدَّثَـنَا أَبِي حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عَبْدَة أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْد الصَّمَد بْن عَبْد الْعَزِيز الْعَمِّيّ أَخْبَرَنَا أَبُو

هَـارُون الْعَبْدِيّ عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيّ قَالَ : قُلْنَا يَا رَسُول اللَّه حَدِّثْنَا مَا رَأَيْت لَيْلَة أُسْرِيَ بِك ؟ قَالَ " ثُـمَّ اِنْطَلَـقَ بِي إِلَى خَلْق مِنْ خَلْق اللَّه كَثِير رِجَال وَنِسَاء مُوَكَّل بِهِمْ رِجَالٌ يَعْمِدُونَ إِلَى عَرْض جَنْب أَحَـدهمْ فَـيَجُدُّونَ مِنْهُ الْجَدَّة مِثْل النَّعْل ثُمَّ يَضَعُونَهَا فِي فِي أَحَدِهِمْ فَيُقَال لَهُ كُلْ كَمَا أَكَلْت وَهُوَ يَجِد مِنْ أَكْلِهِ الْمَوْتَ يَا مُحَمَّد لَوْ يَجِد الْمَوْت وَهُوَ يُكْرَه عَلَيْهِ فَقُلْت يَا جِبْرَائِيل مَنْ هَؤُلا ء قَالَ هَؤُلا ء الْهَمَّازُونَ اللَّمَّـازُونَ أَصْحَاب النَّمِيمَة فَيُقَال : أَيُحِبُّ أَحَدكُمْ أَنْ يَأْكُل لَحْم أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَهُوَ يُكْرَه عَلَى أَكْل لَحْمِـه " هَكَذَا أَوْرَدَ هَذَا الْحَدِيثَ وَقَدْ سُقْنَاهُ بِطُولِهِ فِي أَوَّل تَفْسِير سُورَة سُبْحَان وَلِلَّهِ الْحَمْد وَالْمِنَّة وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيّ فِي مُسْنَده حَدَّثَنَا الرَّبِيع عَنْ يَزِيد عَنْ أَنَس أَنَّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ الـنَّاس أَنْ يَصُومُوا يَوْمًا وَلا يُفْطِرَنَّ أَحَدٌ حَتَّى آذَن لَهُ فَصَامَ النَّاس فَلَمَّا أَمْسَوْا جَعَلَ الرَّجُل يَجِيء إِلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُول ظَلِلْتُ مُنْذُ الْيَوْم صَائِمًا فَأْذَنْ لِي فَأُفْطِر فَأَذِنَ لَهُ وَيَجِيء الرَّجُل فَـيَقُول ذَلِكَ فَيَأْذَن لَهُ حَتَّى جَاءَ رَجُل فَقَالَ يَا رَسُول اللَّه إِنَّ اِمْرَأَتَيْنِ مِنْ أَهْلِك ظَلَّتَا مُنْذُ الْيَوْم صَائِمَتَيْنِ فَأْذَنْ لَهُمَا فَلْيُفْطِرَا فَأَعْرَضَ عَنْهُ ثُمَّ أَعَادَ فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " مَا صَامَتَا وَكَيْف صَامَ مَـنْ ظَلَّ يَأْكُل مِنْ لُحُوم النَّاس ؟ اِذْهَبْ فَمُرْهُمَا إِنْ كَانَتَا صَائِمَتَيْنِ أَنْ يَسْتَقِيئَا " فَقَعَلَتَا فَقَاءَتْ كُلّ وَاحِدَة مِـنْهُمَا عَلَقَـة فَأَتَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ رَسُول اللَّه " لَوْ مَاتَتَا وَهُمَا فِيهِمَا لا كَلَتْهُمَا الـنَّارُ " إِسْنَاد ضَعِيف وَمَتْنٌ غَرِيب وَقَدْ رَوَاهُ الْحَافِظ الْبَيْهَقِيّ مِنْ حَدِيث يَزِيد بْن هَارُون حَدَّثَنَا سُلَيْمَان التَّيْمِـيّ قَـالَ سَمِعْت رَجُلا يُحَدِّث فِي مَجْلِس أَبِي عُثْمَان النَّهْدِيّ عَنْ عُبَيْد مَوْلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اِمْرَأَتَيْنِ صَامَتَا عَلَى عَهْد رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّ رَجُلا أَتَى رَسُول اللَّه صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُول اللَّه إِنَّ هَهُنَا اِمْرَأَتَيْنِ صَامَتَا وَإِنَّهُمَا كَادَتَا تَمُوتَانِ مِنْ الْعَطَش أَرَاهُ قَـالَ بِالْهَاجِرَةِ فَأَعْرَضَ عَنْهُ أَوْ سَكَتَ عَنْهُ فَقَالَ يَا نَبِيّ اللَّه إِنَّهُمَا وَاَللَّه قَدْ مَاتَتَا أَوْ كَادَتَا تَمُوتَانِ فَقَالَ " اُدْعُهُمَا " فَجَاءَتَا قَالَ فَجِيءَ بِقَدَح أَوْ عُسّ فَقَالَ لِإِحْدَاهُمَا " قِيئِي " فَقَاءَتْ مِنْ قَيْح وَدَم وَصَدِيد حَتَّى قَاءَتْ نِصْـف الْقَدَح ثُمَّ قَالَ لِلْأُخْرَى" قِيئِي " فَقَاءَتْ قَيْحًا وَدَمًا وَصَدِيدًا وَلَحْمًا وَدَمًا عَبِيطًا وَغَيْره حَتَّى مَلا تْ الْقَـدَح ثُـ " " إِنَّ هَاتَيْنِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمَا وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّه عَلَيْهِمَا جَلَسَتْ إِحْـدَاهُمَا إِلَى الأُخْرَى فَجَعَلَتَا تَأْكُلا ن لُحُوم النَّاس " وَهَكَذَا رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَد عَنْ يَزِيد بْن هَارُون وَابْن أَبِي عَدِيّ كِلا هُمَا عَنْ سُلَيْمَان بْن صوعان التَّيْمِيّ بِهِ مِثْله أَوْ نَحْوه ثُمَّ رَوَاهُ أَيْضًا مِنْ حَدِيث مُسَدَّد عَنْ يَحْيَـى الْقَطَّان عَنْ عُثْمَان بْن غِيَاث حَدَّثَنِي رَجُل أَظُنّهُ فِي حَلْقَة أَبِي عُثْمَان عَنْ سَعْد مَوْلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ أُمِرُوا بِصِيَامِ فَجَاءَ رَجُل فِي نِصْف النَّهَار فَقَالَ يَا رَسُول اللَّه فُلا نَة وَفُلا نَة قَدْ بَلَغَتَا الْجَهْد فَأَعْرَضَ عَنْهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلا ثًا ثُمَّ قَالَ " اُدْعُهُمَا " فَجَاءَ بِعُسٍّ أَوْ قَدَحٍ فَقَالَ لِإِحْدَاهُمَا : قِيئِي فَقَـاءَتْ لَحْمًـا وَدَمًا عَبِيطًا وَقَيْحًا وَقَالَ لِلْأُخْرَى مِثْل ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ " إِنَّ هَاتَيْنِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللَّه لَهُمَا وَأَفْطَـرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّه عَلَيْهِمَا أَتَتْ إِحْدَاهُمَا لِلْأُخْرَى فَلَمْ تَزَالا تَأْكُلا ن لُحُوم النَّاس حَتَّى اِمْتَلا تْ أَجْـوَافهمَا قَـيْحًا " قَالَ الْبَيْهَقِيّ كَذَا قَالَ عَنْ سَعْد وَالأَوَّل وَهُوَ عُبَيْد أَصَحُّ وَقَالَ الْحَافِظ أَبُو يَعْلَى حَدَّثَنَا

عَمْرو بْن الضَّحَّاك بْن مَخْلَد حَدَّثَنَا أبي ثَنَا أَبُو عَاصِم حَدَّثَنَا اِبْن جُرَيْج أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْر عَنْ اِبْن عُمَر لِأَبِـي هُرَيْـرَة أَنَّ مَاعِـزًا جَاءَ إِلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُول اللَّه إِنِّي قَدْ زَنَيْت فَأَعْـرَضَ عَنْهُ حَتَّى قَالَهَا أَرْبَعًا فَلَمَّا كَانَ فِي الْخَامِسَة قَالَ" زَنَيْت " قَالَ نَعَمْ قَالَ " وَتَدْرِي مَا الزِّنَا " قَالَ نَعَـمْ أَتَـيْت مِنْهَا حَرَامًا مَا يَأْتِي الرَّجُل مِنْ اِمْرَأَته حَلَا لا قَالَ " مَا تُرِيد إِلَى هَذَا الْقَوْل " قَالَ أُرِيد أَنْ تُطَهِّرنِـي قَالَ : فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أَدْخَلْت ذَلِكَ مِنْك فِي ذَلِكَ مِنْهَا كَمَا يَغِيب الْمِيل فِي الْمُكْحُلَة وَالرِّشَا فِي الْبِئْر " قَالَ نَعَمْ يَا رَسُول اللَّه قَالَ فَأَمَرَ بِرَجْمِهِ فَرُجِمَ فَسَمِعَ النَّبِي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ رَجُلَيْنِ يَقُول أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ أَلَمْ تَرَ إِلَى هَذَا الَّذِي سَتَرَ اللَّه عَلَيْهِ فَلَمْ تَدَعْهُ نَفْسُهُ حَتَّى رُجِمَ رَجْمَ الْكَلْبِ ثُمَّ سَارَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى مَرَّ بِجِيفَةِ حِمَار فَقَالَ : أَيْنَ فُلا ن وَفُلا ن " اِنْزِلا فَكُلا مِنْ جِيفَة هَذَا الْحِمَار " قَالا غَفَرَ اللَّهُ لَك يَا رَسُول اللَّه وَهَلْ يُؤْكَل هَذَا ؟ قَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " فَمَا نِلْـتُمَا مِـنْ أَخِـيكُمَا آنِفًا أَشَدُّ أَكْلا مِنْهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ الْآن لَفِي أَنْهَار الْجَنَّة يَنْغَمِس فِيهَا " بِإِسْنَاد صَـحِيح وَقَالَ الْإِمَام أَحْمَد حَدَّثَنَا عَبْد الصَّمَد حَدَّثَنِي أَبِي حَدَّثَنَا وَاصِل مَوْلَى اِبْن عُيَيْنَة حَدَّثَنِي خَالِد بْن عُـرْفُطَة عَنْ طَلْحَة بْن نَافِع عَنْ جَابِر بْن عَبْد اللَّه رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيّ اللَّه فَارْتَفَعَتْ رِيح جِـيفَة مُنْتِـنَة فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الرِّيح ؟ هَذِهِ رِيح الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الـنَّاس ؟ " " طَرِيق أُخْرَى " قَالَ عَبْد بْن حُمَيْد فِي مُسْنَده حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن الْأَشْعَث حَدَّثَنَا الْفُضَيْل بْن عِيَاض عَنْ سُلَيْمَان عَنْ أَبِي سُفْيَان وَهُوَ طَلْحَة بْن نَافِع عَنْ جَابِر بْن عَبْد اللَّه رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَر فَهَاجَتْ رِيح مُنْتِنَة فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" إِنَّ نَفَرًا مِنْ الْمُنَافِقِـينَ اِغْـتَابُوا أُنَاسًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَلِذَلِكَ بُعِثَتْ هَذِهِ الرِّيح " وَرُبَّمَا قَالَ " فَلِذَلِكَ هَاجَتْ هَذِهِ الرِّيح " وَقَالَ السُّدِّيّ فِي قَوْله تَعَالَى " أَيُحِبُّ أَحَدكُمْ أَنْ يَأْكُل لَحْم أَخِيهِ مَيْتًا " زَعَمَ أَنَّ سَلْمَان الْفَارِسِيّ رَضِيَ اللَّه عَـنْهُ كَانَ مَعَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَاب النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَر يَخْدُمهُمَا وَيَخِفّ لَهُمَا وَيَنَال مِنْ طَعَامهمَا وَأَنَّ سَلْمَان رَضِيَ اللَّه عَنْهُ لَمَّا سَارَ النَّاس ذَات يَوْم وَبَقِيَ سَلْمَان رَضِيَ اللَّه عَنْهُ نَائِمًا لَمْ يَسِرْ مَعَهُمْ فَجَعَلَ صَاحِبَاهُ يُكَلِّمَاهُ فَلَمْ يَجِدَاهُ فَضَرَبَا الْخِبَاء فَقَالا مَا يُرِيد سَلْمَان أَوْ هَذَا الْعَبْد شَيْئًا غَيْر هَذَا أَنْ يَجِيء إِلَى طَعَام مَقْدُور وَخِبَاء مَضْرُوب فَلَمَّا جَاءَ أَرْسَلا هُ إِلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطْلُب لَهُمَـا إِدَامًـا فَانْطَـلَقَ فَأَتَـى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ قَدَح لَهُ فَقَالَ يَا رَسُول اللَّه بَعَثَنِي أَصْـحَابِي لِتُؤْدِمَهُمْ إِنْ كَانَ عِنْدك قَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " مَا يَصْنَع أَصْحَابك بِالْأُدْمِ ؟ قَدْ اِئْتَدَمُوا " فَـرَجَعَ سَلْمَان رَضِيَ اللَّه عَنْهُ يُخْبِرهُمَا بِقَوْلِ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا رَسُول اللَّـه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالا : وَالَّذِي بَعَثَك بِالْحَقِّ مَا أَصَبْنَا طَعَامًا مُنْذُ نَزَلْنَا قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " إِنَّكُمَا قَدْ اِئْتَدَمْتُمَا بِسَلْمَان بِقَوْلِكُمَا" قَالَ وَنَزَلَتْ " أَيُحِبُّ أَحَدكُمْ أَنْ يَأْكُل لَحْم أَخِيهِ مَيْتًا " إِنَّـهُ كَانَ نَائِمًا وَرَوَى الْحَافِظ الضِّيَاء الْمَقْدِسِيّ فِي كِتَابه الْمُخْتَار مِنْ طَرِيق حَسَّان بْن هِلا ل عَنْ حَمَّاد بْن سَلَمَة عَنْ ثَابِت عَنْ أَنَس بْن مَالِك رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ كَانَتْ الْعَرَب تَخْدُم بَعْضهَا بَعْضًا فِي الْأَسْفَار

وَكَانَ مَعَ أَبِي بَكْر وَعُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا رَجُل يَخْدُمهُمَا فَنَامَا فَاسْتَيْقَظَا وَلَمْ يُهَيِّئ لَهُمَا طَعَامًا فَقَالا إِنَّ هَـذَا لَنَنُوم فَأَيْقَظَاهُ فَقَالا لَهُ اِئْتِ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْ لَهُ إِنَّ أَبَا بَكْر وَعُمَر رَضِيَ اللَّه عَـنْهُمَا يُقْرِئَانِك السَّلا م وَيَسْتَأْدِمَانِك فَقَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " إِنَّهُمَا قَدْ اِئْتَدَمَا" فَجَاءَا فَقَالا يَا رَسُول اللَّه بِأَيِّ شَيْء اِئْتَدَمْنَا ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " بِلَحْمِ أَخِيكُمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لا رَى لَحْمه بَيْن ثَنَايَاكُمَا " فَقَالا رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا اِسْتَغْفِرْ لَنَا يَا رَسُول اللَّه فَقَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " مُرَاهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمَـا" وَقَالَ الْحَافِظ أَبُو يَعْلَى حَدَّثَنَا الْحَكَم بْن مُوسَى حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن مَسْلَمَة عَنْ مُحَمَّد بْن إِسْحَاق عَنْ عَمّه مُوسَى بْن يَسَار عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " مَنْ أَكَلَ مِنْ لَحْم أَخِيهِ فِي الدُّنْيَا قُرِّبَ إِلَيْهِ لَحْمُهُ فِي الأَخِرَة فَيُقَال لَهُ كُلْهُ مَيْتًا كَمَا أَكَلْته حَيًّا – قَالَ – فَيَأْكُلهُ وَيَكْلَـح وَيَصِيح " غَرِيب جِدًّا وَقَوْله عَزَّ وَجَلَّ " وَاتَّقُوا اللَّه " أَيْ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ فَرَاقِبُوهُ فِي ذَلِكَ وَاخْشَوْا مِنْهُ " إِنَّ اللَّه تَوَّاب رَحِيم " أَيْ تَوَّاب عَلَى مَنْ تَابَ إِلَيْهِ رَحِيم لِمَنْ رَجَعَ إِلَيْهِ وَاعْتَمَدَ عَلَيْهِ قَـالَ الْجُمْهُـور مِنْ الْعُلَمَاء طَرِيق الْمُعْتَاب لِلنَّاسِ فِي تَوْبَته أَنْ يُقْلِع عَنْ ذَلِكَ وَيَعْزِم عَلَى أَنْ لا يَعُود وَهَلْ يُشْتَرَط النَّدَم عَلَى مَا فَاتَ ؟ فِيهِ نِزَاع وَأَنْ يَتَحَلَّل مِنْ الَّذِي اِغْتَابَهُ ، وَقَالَ آخَرُونَ : لا يُشْتَرَط أَنْ يَتَحَلَّلهُ فَإِنَّهُ إِذَا أَعْلَمَهُ بِذَلِكَ رُبَّمَا تَأَذَّى أَشَدَّ مِمَّا إِذَا لَمْ يَعْلَم بِمَا كَانَ مِنْهُ فَطَرِيقه إِذًا أَنْ يُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا فِيهِ فِـي الْمَجَـالِس الَّتِي كَانَ يَذُمّهُ فِيهَا وَأَنْ يَرُدّ عَنْهُ الْغِيبَة بِحَسَبِهِ وَطَاقَته لِتَكُونَ تِلْكَ بِتِلْكَ كَمَا قَالَ الإِمَام أَحْمَد حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن الْحَجَّاج حَدَّثَنَا عَبْد اللَّه أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْن أَيُّوب عَنْ عَبْد اللَّه بْن سُلَيْمَان أَنَّ إِسْمَاعِيل بْن يَحْيَى الْمُعَافِرِيّ أَخْبَرَهُ أَنَّ سَهْل بْن مُعَاذ بْن أَنَس الْجُهَنِيّ أَخْبَرَهُ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " مَنْ حَمَى مُؤْمِنًا مِنْ مُنَافِق يَغْتَابهُ بَعَثَ اللَّه تَعَالَى إِلَيْهِ مَلَكًا يَحْمِي لَحْمه يَوْم الْقِـيَامَة مِنْ نَار جَهَنَّم وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِشَيْءٍ يُرِيد سَبَّهُ حَبَسَهُ اللَّه تَعَالَى عَلَى جِسْر جَهَنَّم حَتَّى يَخْرُج مِمَّا قَالَ " وَكَذَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيث عَبْد اللَّه وَهُوَ اِبْن الْمُبَارَك بِهِ بِنَحْوِهِ وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْن الصَّبَّاح حَدَّثَنَا بْن أَبِي مَرْيَم أَخْبَرَنَا اللَّيْث حَدَّثَنِي يَحْيَى بْن سُلَيْم أَنَّهُ سَمِعَ إِسْمَاعِيل بْن بَشِير يَقُـول سَمِعْت جَابِر بْن عَبْد اللَّه وَأَبَا طَلْحَة بْن سَهْل الأَنْصَارِيّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا يَقُولا ن قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " مَا مِنْ امْرِىءٍ يَخْذُل امْرَأ مُسْلِمًا فِي مَوْضِع تُنْتَهَك فِيهِ حُرْمَته وَيُنْتَقَص فِيهِ مِـنْ عِرْضه إِلا خَذَلَهُ اللَّه تَعَالَى فِي مَوَاطِن يُحِبّ فِيهَا نُصْرَته وَمَا مِنْ امْرِىءٍ يَنْصُر اِمْرَأ مُسْلِمًا فِي مَوْضِع يُنْتَقَص فِيهِ مِنْ عِرْضه وَيُنْتَهَك فِيهِ مِنْ حُرْمَته إِلا نَصَرَهُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ فِي مَوَاطِن يُحِبّ فِيهَا نُصْرَته " تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو دَاوُدَ .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِير

يَقُول تَعَالَى مُخْبِرًا لِلنَّاس أَنَّهُ خَلَقَهُمْ مِنْ نَفْس وَاحِدَة ، وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَهُمَا آدَم وَحَوَّاء وَجَعَلَهُمْ شُعُوبًا وَهِيَ أَعَمُّ مِنْ الْقَبَائِل وَبَعْد الْقَبَائِل مَرَاتِب أُخَر كَالْفَصَائِلِ وَالْعَشَائِر وَالْعَمَائِر وَالأَفْخَاذ وَغَيْر ذَلِكَ وَقِيلَ الْمُرَاد بِالشُّعُوبِ بُطُون الْعَجَم وَبِالْقَبَائِلِ بُطُون الْعَرَب كَمَا أَنَّ الأَسْبَاط بُطُون بَنِي إِسْرَائِيل وَقَدْ لَخَّصْت هَذَا فِي مُقَدِّمَة مُفْرَدَة جَمَعْتهَا مِنْ كِتَاب الأَشْبَاه لِأَبِي عُمَر بْن عَبْد الْبَرّ وَمِنْ كِتَاب " الْقَصْد وَالأَمَم فِي مَعْرِفَة أَنْسَاب الْعَرَب وَالْعَجَم " فَجَمِيع النَّاس فِي الشَّرَف بِالنِّسْبَةِ الطِّينِيَّة إِلَى آدَم وَحَوَّاء عَلَيْهِمَا السَّلا م سَوَاء وَإِنَّمَا يَتَفَاضَلُونَ بِالأُمُور الدِّينِيَّة وَهِيَ طَاعَة اللَّه تَعَالَى وَمُتَابَعَة رَسُوله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى بَعْد النَّهْي عَنْ الْغِيبَة وَاحْتِقَار بَعْض النَّاس بَعْضًا مُنَبِّهًا عَلَى تَسَاوِيهِمْ فِي الْبَشَرِيَّة " يَا أَيّهَا النَّاس إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَر وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِل لِتَعَارَفُوا " أَيْ لِيَحْصُل التَّعَارُف بَيْنهمْ كُلّ يَرْجِع إِلَى قَبِيلَته وَقَالَ مُجَاهِد فِي قَوْله عَزَّ وَجَلَّ " لِتَعَارَفُوا" كَمَا يُقَال فُلا ن بْن فُلا ن مِنْ كَذَا وَكَذَا أَيْ مِنْ قَبِيلَة كَذَا وَكَذَا وَقَالَ سُفْيَان الثَّوْرِيّ كَانَتْ حِمْيَر يَنْتَسِبُونَ إِلَى مَخَالِيفهَا وَكَانَتْ عَرَب الْحِجَاز يَنْتَسِبُونَ إِلَى قَبَائِلهَا وَقَدْ قَالَ أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيّ حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن مُحَمَّد حَدَّثَنَا عَبْد اللَّه بْن الْمُبَارَك عَنْ عَبْد الْمَلِك بْن عِيسَى الثَّقَفِيّ عَنْ يَزِيد مَوْلَى الْمُنْبَعِث عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامكُمْ فَإِنَّ صِلَة الرَّحِم مَحَبَّة فِي الأَهْل مَثْرَاة فِي الْمَال مَنْسَأَة فِي الأَثَر " ثُمَّ قَالَ غَرِيب لا نَعْرِفهُ إِلا مِنْ هَذَا الْوَجْه وَقَوْله تَعَالَى " إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْد اللَّه أَتْقَاكُمْ " أَيْ إِنَّمَا تَتَفَاضَلُونَ عِنْد اللَّه تَعَالَى بِالتَّقْوَى لا بِالأَحْسَابِ وَقَدْ وَرَدَتْ الأَحَادِيث بِذَلِكَ عَنْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْبُخَارِيّ حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن سَلا م حَدَّثَنَا عَبْدَة عَنْ عُبَيْد اللَّه عَنْ سَعِيد بْن أَبِي سَعِيد رَضِيَ اللَّه عَنْهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَالَ : سُئِلَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيّ النَّاس أَكْرَم ؟ قَالَ " أَكْرَمُهُمْ عِنْد اللَّه أَتْقَاهُمْ " قَالُوا لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلك قَالَ " فَأَكْرَمُ النَّاس يُوسُف نَبِيّ اللَّه اِبْن نَبِيّ اللَّه اِبْن نَبِيّ اللَّه اِبْن خَلِيل اللَّه" قَالُوا لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلك قَالَ " فَعَنْ مَعَادِن الْعَرَب تَسْأَلُونِي ؟ " قَالُوا نَعَمْ قَالَ " فَخِيَارِكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّة خِيَارِكُمْ فِي الإِسْلا م إِذَا فَقِهُوا " وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيّ فِي غَيْر مَوْضِع مِنْ طُرُق عَنْ عَبْدَة بْن سُلَيْمَان وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ فِي التَّفْسِير مِنْ حَدِيث عُبَيْد اللَّه وَهُوَ اِبْن عُمَر الْعُمَرِيّ بِهِ " حَدِيث آخَر " قَالَ مُسْلِم رَحِمَهُ اللَّه حَدَّثَنَا عَمْرو النَّاقِد حَدَّثَنَا كَثِير بْن هِشَام حَدَّثَنَا جَعْفَر بْن بُرْقَان عَنْ يَزِيد بْن الأَصَمّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " إِنَّ اللَّه لا يَنْظُر إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ " وَرَوَاهُ اِبْن مَاجَهْ عَنْ أَحْمَد بْن سِنَان عَنْ كَثِير بْن هِشَام بِهِ " حَدِيث آخَر " وَقَالَ الإِمَام أَحْمَد حَدَّثَنَا وَكِيع عَنْ أَبِي هِلا ل عَنْ بَكْر عَنْ أَبِي ذَرّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ إِنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ " اُنْظُرْ فَإِنَّك لَسْت بِخَيْرِ مِنْ أَحْمَر وَلا أَسْوَد إِلا أَنْ تَفْضُلهُ بِتَقْوَى اللَّه " تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَد رَحِمَهُ اللَّه " حَدِيث آخَر " وَقَالَ الْحَافِظ أَبُو الْقَاسِم الطَّبَرَانِيّ حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدَة عَبْد الْوَارِث بْن إِبْرَاهِيم الْعَسْكَرِيّ حَدَّثَنَا عَبْد الرَّحْمَن بْن عَمْرو بْن جَبَلَة حَدَّثَنَا عُبَيْد بْن حُنَيْن الطَّائِيّ سَمِعْت مُحَمَّد بْن حَبِيب بْن خِرَاش الْعَصْرِيّ

يُحَدِّث عَنْ أبيهِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أنَّهُ سَمِعَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول " المُسْلِمُونَ إخْوَة لا فَضْل لِأحَدٍ عَلَى أحَد إلا بِالتَّقْوَى " " حَدِيث آخَر " قَالَ أبُو بَكْر البَزَّار فِي مُسْنَده حَدَّثَنَا أحْمَد بْن يَحْيَى الكُوفِيّ حَدَّثَنَا الحَسَن بْن الحُسَيْن حَدَّثَنَا قَيْس يَعْنِي اِبْن الرَّبِيع عَنْ شَبِيب بْن غَرْقَدَة عَنْ المُسْتَظِلّ بْن حُصَيْن عَنْ حُذَيْفَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " كُلّكُمْ بَنُو آدَم وَآدَم خُلِقَ مِنْ تُرَاب وَلَيَنْتَهِيَنَّ قَوْم يَفْخَرُونَ بِآبَائِهِمْ أوْ لَيَكُونُنَّ أهْوَنَ عَلَى اللَّه تَعَالَى مِنْ الجِعْلا ن " ثُمَّ قَالَ لا نَعْرِفهُ عَنْ حُذَيْفَة إلا مِنْ هَذَا الوَجْه " حَدِيث آخَر " قَالَ اِبْن أبِي حَاتِم حَدَّثَنَا الرَّبِيع بْن سُلَيْمَان حَدَّثَنَا أسَد بْن مُوسَى حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن زَكَرِيَّا القَطَّان حَدَّثَنَا مُوسَى بْن عُبَيْدَة عَنْ عَبْد اللَّه بْن دِينَار عَنْ اِبْن عُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ طَافَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْم فَتْح مَكَّة عَلَى نَاقَته القَصْوَاء يَسْتَلِم الأرْكَان بِمِحْجَنٍ فِي يَده فَمَا وَجَدَ لَهَا مُنَاخًا فِي المَسْجِد حَتَّى نَزَلَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أيْدِي الرِّجَال فَخَرَجَ بِهَا إلَى بَطْن المَسِيل فَأنِيخَتْ ثُمَّ إنَّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَهُمْ عَلَى رَاحِلَته فَحَمِدَ اللَّه تَعَالَى وَأثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ لَهُ أهْل ثُمَّ قَالَ : " يَا أيّهَا النَّاس إنَّ اللَّه تَعَالَى قَدْ أذْهَبَ عَنْكُمْ عَيْبَة الجَاهِلِيَّة وَتَعَظُّمهَا بِآبَائِهَا فَالنَّاس رَجُلا ن رَجُلٌ بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّه تَعَالَى وَرَجُل فَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللَّه تَعَالَى إنَّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ يَقُول" يَا أيّهَا النَّاس إنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَر وَأنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِل لِتَعَارَفُوا إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْد اللَّه أتْقَاكُمْ إنَّ اللَّه عَلِيم خَبِير " – ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أقُول قَوْلِي هَذَا وَأسْتَغْفِر اللَّه لِي لَكُمْ " هَكَذَا رَوَاهُ عَبْد بْن حُمَيْد عَنْ أبِي عَاصِم الضَّحَّاك عَنْ مَخْلَد عَنْ مُوسَى بْن عُبَيْدَة بِهِ " حَدِيث آخَر " قَالَ الإمَام أحْمَد حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن إسْحَاق حَدَّثَنَا اِبْن لَهِيعَة عَنْ الحَارِث بْن يَزِيد عَنْ عَلِيّ بْن رَبَاح عَنْ عُقْبَة بْن عَامِر رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ : إنَّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " إنَّ أنْسَابكُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ بِمَسَبَّةٍ عَلَى أحَد كُلّكُمْ بَنُو آدَم طَفُّ الصَّاع لَمْ يَمْلَئُوهُ لَيْسَ لِأحَدٍ عَلَى أحَد فَضْل إلا بِدِينٍ وَتَقْوَى وَكَفَى بِالرَّجُلِ أنْ يَكُون بَذِيًّا بَخِيلا فَاحِشًا " وَقَدْ رَوَاهُ اِبْن جَرِير عَنْ يُونُس عَنْ اِبْن وَهْب عَنْ اِبْن لَهِيعَة بِهِ وَلَفْظه : " النَّاس لِآدَم وَحَوَّاء طَفُّ الصَّاع لَمْ يَمْلَئُوهُ إنَّ اللَّه لا يَسْأَلكُمْ عَنْ أحْسَابكُمْ وَلا عَنْ أنْسَابكُمْ يَوْم القِيَامَة إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْد اللَّه أتْقَاكُمْ " وَلَيْسَ هُوَ فِي شَيْء مِنْ الكُتُب السِّتَّة مِنْ هَذَا الوَجْه " حَدِيث آخَر " قَالَ الإمَام أحْمَد حَدَّثَنَا أحْمَد بْن عَبْد المَلِك حَدَّثَنَا شَرِيك عَنْ سِمَاك عَنْ عَبْد اللَّه بْن عَمْرَة زَوْج دُرَّة بِنْت أبِي لَهَب عَنْ دُرَّة بِنْت أبِي لَهَب رَضِيَ اللَّه عَنْهَا قَالَتْ : قَامَ رَجُل إلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى المِنْبَر فَقَالَ يَا رَسُول اللَّه أيّ النَّاس خَيْر ؟ قَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " خَيْر النَّاس أقْرَؤُهُمْ وَأتْقَاهُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَآمَرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَأنْهَاهُمْ عَنْ المُنْكَر وَأوْصَلُهُمْ لِلرَّحِمِ " " حَدِيث آخَر " قَالَ الإمَام أحْمَد حَدَّثَنَا حَسَن حَدَّثَنَا اِبْن لَهِيعَة حَدَّثَنَا أبُو الأسْوَد عَنْ القَاسِم بْن مُحَمَّد عَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا قَالَتْ مَا أعْجَبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْءٌ مِنْ الدُّنْيَا وَلا أعْجَبَهُ أحَدٌ قَطُّ إلا دُو تُقًى تَفَرَّدَ بِهِ أحْمَد وَقَوْله تَعَالَى " إنَّ اللَّه عَلِيم خَبِير " أيْ عَلِيم بِكُمْ خَبِير بِأمُوركُمْ فَيَهْدِي مَنْ يَشَاء وَيُضِلّ مَنْ يَشَاء وَيَرْحَم مَنْ يَشَاء وَيُعَذِّب مَنْ يَشَاء وَيُفَضِّل مَنْ يَشَاء

عَلَـــى مَنْ يَشَاء وَهُوَ الْحَكِيم الْعَلِيم الْخَبِير فِي ذَلِكَ كُلّه ، وَقَدْ اِسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الآيَة الْكَرِيمَة وَهَذِهِ الأَحَادِيث الشَّـرِيفَة مَـنْ ذَهَبَ مِنْ الْعُلَمَاء إِلَى أَنَّ الْكَفَاءَة فِي النِّكَاح لا تُشْتَرَط ، وَلا يُشْتَرَط سِوَى الدِّين لِقَوْلِهِ تَعَالَى " إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْد اللَّه أَتْقَاكُمْ " وَذَهَبَ الآخَرُونَ إِلَى أَدِلَّة أُخْرَى مَذْكُورَة فِي كُتُب الْفِقْه وَقَدْ ذَكَرْنَا طَـرَفًا مِنْ ذَلِكَ فِي " كِتَاب الأَحْكَام " وَلِلَّهِ الْحَمْد وَالْمِنَّة وَقَدْ رَوَى الطَّبَرَانِيّ عَنْ عَبْد الرَّحْمَن أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلا مِنْ بَنِي هَاشِم يَقُول أَنَا أَوْلَى النَّاس بِرَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ غَيْره أَنَا أَوْلَى بِهِ مِنْك وَلَك مِنْهُ نِسْبَة .

قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

يَقُـول تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَى الأَعْرَاب الَّذِينَ أَوَّل مَا دَخَلُوا فِي الإِسْلا م اِدَّعَوْا لِأَنْفُسِهِمْ مَقَام الإِيمَان وَلَـمْ يَـتَمَكَّن الإِيمَان فِي قُلُوبهمْ بَعْد " قَالَتْ الأَعْرَاب آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُل الإِيمَـان فِـي قُلُوبكُمْ " وَقَدْ اُسْتُفِيدَ مِنْ هَذِهِ الآيَة الْكَرِيمَة أَنَّ الإِيمَان أَخَصُّ مِنْ الإِسْلا م كَمَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة ، وَيَدُلّ عَلَيْهِ حَدِيث جِبْرِيل عَلَيْهِ الصَّلا ة وَالسَّلا م حِين سَأَلَ عَنْ الإِسْلا م ثُمَّ عَنْ الإِيمَـان ثُـمَّ عَنْ الإِحْسَان فَتَرَقَّى مِنْ الأَعَمّ إِلَى الأَخَصّ ثُمَّ لِلأَخَصِّ مِنْهُ وَقَالَ الإِمَام أَحْمَد حَدَّثَنَا عَبْد الـرَّزَّاق أَخْبَرَنَا مَعْمَر عَنْ الزُّهْرِيّ عَنْ عَامِر بْن سَعْد بْن أَبِي وَقَّاص عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ أَعْطَـى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِجَالا وَلَمْ يُعْطِ رَجُلا مِنْهُمْ شَيْئًا فَقَالَ سَعْد رَضِيَ اللَّه تَعَالَى عَـنْهُ يَـا رَسُول اللَّه أَعْطَيْت فُلا نًا وَفُلا نًا وَلَمْ تُعْطِ فُلا نًا شَيْئًا وَهُوَ مُؤْمِن فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أَوْ مُسْلِم " حَتَّى أَعَادَهَا سَعْد رَضِيَ اللَّه عَنْهُ ثَلا ثًا وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول " أَوْ مُسْلِم " ثُمَّ قَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " إِنِّي لا عْطِي رِجَالا وَأَدَع مَنْ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُمْ فَلَمْ أُعْطِهِ شَيْئًا مَخَافَة أَنْ يُكَبُّوا فِي النَّار عَلَى وُجُوههمْ " أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيث الزُّهْرِيّ بِهِ فَقَدْ فَرَّقَ النَّبِيّ صَـلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْن الْمُؤْمِن وَالْمُسْلِم فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الإِيمَان أَخَصُّ مِنْ الإِسْلا م ، وَقَدْ قَرَّرْنَا ذَلِكَ بِأَدِلَّتِهِ فِي أَوَّل شَرْح كِتَاب الإِيمَان مِنْ صَحِيح الْبُخَارِيّ وَلِلَّهِ الْحَمْد وَالْمِنَّة وَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ ذَاكَ الرَّجُل كَانَ مُسْلِمًا لَيْسَ مُنَافِقًا لِأَنَّهُ تَرَكَهُ مِنْ الْعَطَاء وَوَكَلَهُ إِلَى مَا هُوَ فِيهِ مِنْ الإِسْلا م فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ هَؤُلا ء الأَعْـرَاب الْمَذْكُـورِينَ فِـي هَذِهِ الآيَة لَيْسُوا بِمُنَافِقِينَ وَإِنَّمَا هُمْ مُسْلِمُونَ لَمْ يَسْتَحْكِمْ الإِيمَان فِي قُلُوبهمْ فَادَّعَوْا لِأَنْفُسِهِمْ مَقَامًا أَعْلَى مِمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ فَأُدِّبُوا فِي ذَلِكَ وَهَذَا مَعْنَى قَوْل اِبْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا وَإِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ وَقَتَادَة وَاخْتَارَهُ اِبْن جَرِير وَإِنَّمَا قُلْنَا هَذَا لِأَنَّ الْبُخَارِيّ رَحِمَهُ اللَّه ذَهَبَ إِلَى أَنَّ هَؤُلا ء

كَانُــوا مُنَافِقِــينَ يُظْهِرُونَ الإيمَان وَلَيْسُوا كَذَلِكَ ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر وَمُجَاهِد وَابْن زَيْد أَنَّهُمْ قَالُــوا فِي قَوْله تَبَارَكَ وَتَعَالَى " وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا" أَيْ اِسْتَسْلَمْنَا خَوْف الْقَتْل وَالسَّبْي قَالَ مُجَاهِد نَزَلَتْ فِي بَنِي أَسَد بْن خُزَيْمَة وَقَالَ قَتَادَة نَزَلَتْ فِي قَوْم اِمْتَنُّوا بِإِيمَانِهِمْ عَلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّــحِيح الأَوَّل أَنَّهُــمْ قَوْم اِدَّعَوْا لِأَنْفُسِهِمْ مَقَام الإيمَان وَلَمْ يَحْصُل لَهُمْ بَعْد فَأُدِّبُوا وَأُعْلِمُوا أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَصِلُوا إِلَيْهِ بَعْد وَلَوْ كَانُوا مُنَافِقِينَ لَعُنِّفُوا وَفُضِحُوا كَمَا ذُكِرَ الْمُنَافِقُونَ فِي سُورَة بَرَاءَة ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِهَؤُلَاءِ تَأْدِيــبًا " قُــلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُل الإيمَان فِي قُلُوبكُمْ " أَيْ لَمْ تَصِلُوا إِلَى حَقِيقَة الإِيمَــان بَعْــد ثُمَّ قَالَ تَعَالَى" وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّه وَرَسُوله لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا " أَيْ لا يُنْقِصكُمْ مِنْ أُجُورِكُمْ شَيْئًا كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ " وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلهمْ مِنْ شَيْء " وَقَوْله تَعَالَى " إِنَّ اللَّه غَفُور رَحِيم " أَيْ لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَأَنَابَ .

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ

" إِنَّمَــا الْمُؤْمِــنُونَ " أَيْ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الْكُمَّل " الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُوله ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا " أَيْ لَمْ يَشُكُّوا وَلا تَزَلْزَلُوا بَلْ ثَبَتُوا عَلَى حَال وَاحِدَة ، وَهِيَ التَّصْدِيق الْمَحْض " وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسهمْ فِي سَــبِيل اللَّه " أَيْ وَبَذَلُوا مُهَجهمْ وَنَفَائِس أَمْوَالهمْ فِي طَاعَة اللَّه وَرِضْوَانه" أُولَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ " أَيْ فِي قَــوْلهمْ إِذَا قَالُوا إِنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ لا كَبَعْض الأَعْرَاب الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ الإِيمَان إِلا الْكَلِمَة الظَّاهِرَة وَقَالَ الإِمَــام أَحْمَــد حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن غَيْلا ن حَدَّثَنَا رِشْدِين حَدَّثَنَا عَمْرو بْن الْحَارِث عَنْ أَبِي السَّمْح عَنْ أَبِي الْهَيْثَم عَنْ أَبِي سَعِيد رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ إِنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " الْمُؤْمِنُونَ فِي الدُّنْيَا عَلَى ثَلا ثَة أَجْزَاء : الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُوله ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسهمْ فِي سَبِيل اللَّه وَالَّذِي يَأْمَنُهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالهمْ وَأَنْفُسهمْ ، وَالَّذِي إِذَا أَشْرَفَ عَلَى طَمَع تَرَكَهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " .

قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

أَيْ أَتُخْبِــرُونَهُ بِمَا فِي ضَمَائِركُمْ " وَاللَّه يَعْلَم مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْض " أَيْ لا يَخْفَى عَلَيْهِ مِثْقَال ذَرَّة فِي الأَرْض وَلا فِي السَّمَاء وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ " وَاللَّه بِكُلِّ شَيْء عَلِيم " .

يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

ثُـمَّ قَـالَ تَعَالى " يَمُنُّونَ عَلَيْك أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلا مكُمْ " يَعْنِي الأَعْرَاب الَّذِينَ يَمُـنُّونَ بِإِسْلا مِهِمْ وَمُتَابَعَتهمْ وَنُصرَتهمْ عَلى الرَّسُول صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول اللَّه تَعَالى رَدًّا عَلَيْهِمْ" قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلا مكُمْ " فَإِنَّ نَفْعَ ذَلِكَ إِنَّمَا يَعُود عَلَيْكُمْ وَلِلَّهِ الْمِنَّة عَلَيْكُمْ فِيهِ " بَلْ اللَّه يَمُنّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَان إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " أَيْ فِي دَعْوَاكُمْ ذَلِكَ كَمَا قَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْأَنْصَار يَوْم حُنَـيْن " يَـا مَعْشَر الأَنْصَار أَلَمْ أَجِدكُمْ ضُلا لا فَهَدَاكُمْ اللَّه بِي ؟ وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمْ اللَّه بِي ؟ وَكُنْتُمْ عَالَـة فَأَغْـنَاكُمْ اللَّه بِي ؟ " كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا : اللَّه وَرَسُوله أَمَنُّ وَقَالَ الْحَافِظ أَبُو بَكْر الْبَزَّار حَدَّثَنَا إِبْـرَاهِيم بْن سَعِيد الْجَوْهَرِيّ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْن سَعِيد الأَمَوِيّ عَنْ مُحَمَّد بْن قَيْس عَنْ أَبِي عَوْن عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ اِبْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ جَاءَتْ بَنُو أَسَد إِلى رَسُول اللَّه اللَّه فَقَالُوا يَا رَسُول اللَّه أَسْـلَمْنَا وَقَاتَلَتْك الْعَرَب وَلَمْ نُقَاتِلك فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " إِنَّ فِقْههمْ قَلِيل وَإِنَّ الشَّيْطَان يَـنْطِق عَلَـى أَلْسِنَتهمْ " وَنَزَلَتْ هَذِهِ الأَيَة " يَمُنُّونَ عَلَيْك أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلا مكُمْ بَلْ اللَّه يَمُنّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَان إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ".

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

كَـرَّرَ الإِخْـبَار بِعِلْمِهِ بِجَمِيعِ الْكَائِنَات وَبَصَره بِأَعْمَال الْمَخْلُوقَات فَقَالَ " إِنَّ اللَّه يَعْلَم غَيْب السَّمَاوَات وَالأَرْض وَاللَّـه بَصِـير بِمَـا تَعْمَلُـونَ " آخِر تَفْسِير سُوَره الْحُجُرَات وَلِلَّهِ الْحَمْد وَالْمِنَّة وَبِهِ التَّوْفِيق وَالْعِصْمَة .

UNIT – XII

(HADITH – AL - SABUNI)

الباب الثاني عشر
الحديث النبوي
محمد علي الصابوني

هو محمد علي بن الشيخ جميل الصابوني ولد في سوريا بمدينة حلب الشهباء عام 1930 من أسرة عريقة بالعلم ووالده من كبار علماء حلب. تلقى علوم العربية والفرائض وعلوم الدين على يد والده الشيخ جميل، وحفظ القرآن الكريم في الكُتّاب وأكمل حفظه في الثانوية وهو في سن مبكرة، وكانت للشيخ دراسة على كبار علماء سوريا منذ نعومة أظفاره فهو قد نشأ محباً للعلم، راغباً في تلقيه. وقد كان من أبرز شيوخه فضيلة الشيخ محمد نجيب سراج (عالم الشهباء) وفضيلة الشيخ أحمد الشماع، وفضيلة الشيخ محمد سعيد الإدلبي، وفضيلة الشيخ راغب الطباخ، وفضيلة الشيخ محمد نجيب خياطة (شيخ القراء) وغيرهم من العلماء والشيوخ الأفاضل في ذلك العصر، وكان يحضر دروساً خاصة على أيدي بعض الشيوخ في المساجد والبيوت. تلقى الشيخ محمد علي الصابوني الدراسة النظامية في المدارس الحكومية، وحصل على الشهادة الابتدائية ثم انتسب إلى إعدادية وثانوية التجارة فدرس فيها سنة واحدة، ولما لم توافق ميوله العلمية -لأنهم كانوا يعلمون فيها الطلاب أصول المعاملات الربويّة التي تجري في البنوك- هجر الإعدادية التجارية (مع أن ترتيبه فيها كان الأول على زملائه) وانتقل إلى الثانوية الشرعية التي كانت تسمى (الخسروية) في مدينة حلب وفيها درس الإعدادية والثانوية، وكانت دراسته فيها مزدوجة تجمع بين العلوم الشرعية والعلوم الكونية التي كانت تدرس في وزارة المعارف، فقد كانت المواد الشرعية كلها من التفسير، والحديث، والفقه، والأصول، والفرائض، وسائر العلوم الشرعية إلى جانب الكيمياء والفيزياء والجبر والهندسة والتاريخ والجغرافيا، واللغة الإنجليزية تدرّس أيضاً فيها، فكانت دراسته جامعة بين الدراسة الشرعية والدراسة العصرية، وقد تخرج في الثانوية الشرعية عام 1949م.

أنهى دراسته الثانوية بتفوق ثم ابتعثته وزارة الأوقاف السورية إلى الأزهر الشريف على نفقتها للدراسة الجامعية، فحصل على شهادة كلية الشريعة منها بتفوق في عام 1952م، ثم أتمّ دراسة التخصص فتخرج عام 1954م في الأزهر الشريف حاصلاً على شهادة "العالمية في تخصص القضاء الشرعي" وكانت هذه الشهادة أعلى الشهادات في ذلك العصر، وهي تعادل شهادة الدكتوراه حالياً، وقد نالها بتفوق وامتياز.

رجع بعد دراسته في مصر إلى بلده (سوريا) فعيّن أستاذاً لمادة الثقافة الإسلامية في ثانويات حلب الشهباء ودور المعلمين، وبقي في التدريس ثماني سنوات من عام 1955م إلى عام 1962م.

انـــتدب إلى المملكة العربية السعودية أستاذاً مُعاراً من وزارة التربية في سوريا للتدريس بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، وكلية التربية بالجامعة بمكة المكرمة، وكان على رأس البعثة السورية إلـــى المملكة آنذاك، فدرّس فيها ما يقارب 28 عاماً، وتخرج على يديه أساتذة الجامعة في هذه الفترة الطويلة.

وللشـــيخ مـــؤلفات عديـــدة في شتى العلوم الشرعية والعربية ألفها في مشواره العلمي الطويل فكانـــت من أهم الكتب في مجالاتها ولاقت قبولاً وانتشاراً واسعاً بين طلاب العلم في شتى أنحاء العالم الإســـلامي وترجم العديد منها إلى لغات مختلفة كالتركية والإنجليزية والفرنسية والملاوية والهوساوية وغيـــرها مـــن لغات العالم الإسلامي، وقد ألف بعضها أثناء تدريسه في الجامعة، والبعض الآخر بعد انـــتهائه من التدريس، وتفرغه للتأليف، وإلى جانب مؤلفاته، فإن للشيخ نشاطاً علمياً واسعاً فقد كان له درس يومي في المسجد الحرام بمكة المكرمة يقعد فيه للإفتاء في المواسم، كما كان له درس أسبوعي فـــي التفســـير في أحد مساجد مدينة جدة امتد لفترة ما يقارب الثماني سنوات فسّر خلالها لطلاب العلم أكثـــر مـــن ثلثـــي القرآن الكريم، وهي مسجلة على أشرطة كاسيت، كما قام الشيخ بتصوير أكثر من ســـتمائة حلقـــة لبرنامج لتفسير القرآن الكريم كاملاً ليعرض في التلفاز، وقد استغرق هذا العمل زهاء السنتين، وقد أتمه نهاية عام 1419ه

ومن مؤلفاته: صفوة التفاسير، المواريث في الشريعة الإسلامية، من كنوز السنة، روائع البيان فـــي تفســـير آيات الأحكام، قبس من نور القرآن الكريم، السنة النبوية قسم من الوحي الإلهي المنزّل، موســـوعة الفقـــه الشرعي الميسر (سلسلة التفقه في الدين)، الزواج الإسلامي المبكر سعادة وحصانة، التفســـير الواضـــح الميسر، الهدي النبوي الصحيح في صلاة التراويح، إيجاز البيان في سور القرآن، موقف الشريعة الغرّاء من نكاح المتعة، حركة الأرض ودورانها حقيقة علمية أثبتها القرآن، التبيان في علـــوم القـــرآن، عقيدة أهل السنة في ميزان الشرع، النبوة والأنبياء، رسالة الصلاة، المهدي وأشراط الســـاعة، المقتطف من عيون الشعر، كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات حول صفوة التفاسير، درة التفاسير (على هامش المصحف)، جريمة الربا أخطر الجرائم الدينية والاجتماعية

الإيمان فطرة في الإنسان

الحديث الأول:

عـــن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كل مولود يولد على الفطـــرة فأبـــواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم يقول أبو هريرة واقرأو إن شئتم:

"فطـــرة الله التـــي فطـــر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون"

رواه البخاري

الأبحاث العربية:

كل: لفظ من ألفاظ العموم يفيد الاستغراق والشمول مثل قوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) وكقول الشاعر: كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر.

مولود: أي مخلوق وهو الجنين الذي خرج من بطن الأم سواء كان ذكرا أو أنثى.

قال الشاعر العربي في التذكير بالمنشأ والمصير:

ولدتك أمك يا ابن آدم باكيا والناس حوالك يضحكون سرورا

فاعمل لنفسك أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكا مسرورا

يهودانه : أي يجعلانه يهوديا وهو مشتق من هاد بمعنى تاب قال تعالى (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفـــي الآخـــرة إنـــا هـــدنا إليك ...) أي تبنا ورحنا والمراد من التعبير (يهودانه) أن الأبوين يخرجانه من الإسلام الفطري إلى اليهودية الضالة.

ينصـــرانه:أي يجعلانه نصرانيا والنصارى هم أتباع عيسى عليه السلام وهم يسمون أنفسهم مسيحيون والقـــرآن الكـــريم سماهم نصارى وهم أهل الانجيل وقد نسخت شريعتهم كما نسخت شريعة اليهود بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فأصبح دينهم باطلا غير مقبول عند الله قال تعالى (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين).

يمجســـانه : أي يجعلانـــه مجوســـيا والمجـــوس هـــم عباد النار أو عبدة الشمس والقمر وغيرها من المعـــبودات الكونـــية والمجـــوس موجودون في زمننا بكثرة يعبدون الكون أو يعبدون الشجر والبقر وهم مشركون ليس لهم كتاب سماوي.

تنتج: مضارع مبني للمجهول بمعنى تولد وتخلق وهو مشتق من الرباعي (أنتج) لا من الثلاثي.

البهيمة: اسم للدابة التي لا تعقل وقد يشبه بها الرجل الأحمق ناقص العقل والتفكير.

كما قال الشاعر العربي:

ابني إن من الرجال بهيمة في صورة الرجل السميع المبصر

فطن بكل مصيبة في ماله فإذا أصيب بدينه لم يشعر

جمعاء: أي كاملة الخلقة ليس فيها نقص أو تشويه.

هـــل تحســـون: أي هـــل تشعرون بنقص فيها أو هل ترون وتجدون فيها نقصا وهو مشتق من (أحس) الرباعي قال تعالى: (فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركشون)

جـــدعاء: أي مقطـــوعة الأنف أو الأذن مشتقة من جدع بمعنى قطع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : (من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه) وفي الأمثلة (لأمر ما جدع قصير أنفه).

الأبحاث البلاغية:

١) قـــوله (يـــولد علـــى الفطرة) كناية عن النشأة الطيبة والعقيدة السليمة التي هي عقيدة التوحيد الخالص.

(2 قــوله (فأبواه) المراد به الأب والأم فهو من باب (التغليب) مثل (العمرين) أي أبي بكر وعمر و(القمرين) أي الشمس والقمر. و(الأسودين) أي التمر والماء.

(3 قــوله (يهودانه – ينصرانه – يمجسانه) استعمال هذه الأفعال في صيغة المضارع تفيد التجدد والثبوت.

(4 قوله (كما تنتج البهيمة) فيه تشبيه لطيف بديع يسمى (التشبيه التمثيلي) فقد مثل صلى الله عليه وســلم للمولود الذي يلد على الإيمان بالشاة التي تلد كاملة الأعضاء والخلقة ثم يعتريها النقص مــن البشر أنفسهم فيقطعون أذنها أو أنفها ويشوهونها كذلك الطفل يولد موحدا مؤمنا ثم تفسد عقيدته وتتلوث بالتربية السيئة والبيئة الفاسدة.

(5 قــوله (جمعــاء وجدعاء) بينهما جناس لطيف وهو من المحسنات البديعية وهو جناس ناقص لتغيــر بعض الحروف بين الكلمتين من الخيل والخير) في قوله صلى الله عليه: (الخيل معقود في نواسيها الخير إلى يوم القيامة) ولا يخفى ما للجناس من وقع في الحس وتأثير في النفس.

الأبحاث النحوية:

كل: مبتدأ والخبر جملة "يولد على الفطرى" والتقدير كل إنسان مولود على الفطرة.

على الفطرة: الجار والمجرور متعلق ب(يولد).

يهودانه: جملة يهودانه أو ينصرانه خبر المبتدأ (أبواه).

البهيمة: نائب فاعل (تنتج).

بهيمة: حال منصوب بالفتحة الظاهرة.

جمعاء: صفة البهيمة وصفة المنصوب منصوب.

من جدعاء: من حرف جر زائد و(جدعاء) مفعول به لتحسون.

وتــزاد من في بعض المواطن: 1 – بعد النفي مثل: (ما جاءنا من بشير) 2 – بعد الإستفهام مــثل: هل من خالق غير الله يرزقكم؟ ويشترط أن يأتي بعدها نكرة قال ابن مالك: (وزيد في نفي وشبه فجر نكرة كما لبالغ من مفر).

إن شئتم: جملة اعتراضية وجملة (فطر الله) في محل نصب مفعول به ل(اقرءوا).

التعريف براوي الحديث:

راوي هذا الحديث هو الصحابي الجليل (أبو هريرة) رضي الله عنه وهذه كنيته كناه بها النبي صــلى الله عليه وسلم واسمه الحقيقي (عبد الرحمان بن صخر الدوسي) وهو من كبار الصحابة الذين حفظوا للأمة الإسلامية هذا الركن العظيم من الشريعة المطهرة ألا وهي (السنة النبوية) التي نقلها إلينا أمثال هؤلاء الحفاظ الثقات من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعدهم من المحدثين الأخــيار ولقد كان أبو هريرة من أكثر الصحابة رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه كان يلازمــه تامة حتى شهد له الرسول الكريم بالحرص على الحديث ودعا له بثبات الحفظ فلم يسمع شيئا مــن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حفظه ببركة دعائه صلوات الله عليه أسلم في السنة السابعة مــن الهجــرة عام خيبر وتوفي بالمدينة المنورة سنة 57 هــ ودفن بالبقيع وقبره معروف حتى الآن رضي الله عنه وأرضاه.

الشرح الأدبي:

فــي هذا الحديث الشريف نفحة من نفحات الجمال وإشراقة من إشراقات النبوة فقد وضح عليه الصــلاة والســلام ببيانه العذب وأسلوبه اللطيف الرصين ناحية علمية هامة يعني بها علماء الإجتماع

ويهتم بها الفلاسفة والمفكرون وهي : هل الدين فطرة في الإنسان؟ وهل الخير أصل فيه أم الشر؟ وهل يكون الطفل عند ولادته مزودا بطاقة روحية تلهمه السداد والرشاد؟ فالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم وضـــع أصـــلا من أصول التربية الخلقية الكريمة يعتبر نبراسا مضيئا لكل مرب ينشد السعادة ولكل باحث ومفكر يطلب المعرفة والحقيقة ... وهذا الأصل الذي أرشد إليه الرسول الكريم هو إن الخير في الإنســـان أصـــيل وأن الشر فيه عارض وأنه يخلق على الفطرة السليمة والصفاء والنقاء وأن استعداده للخيـــر كامل ولكن المجتمع هو الذي يفسده والبيئة التي يعيش فيها هي التي تلوث فطرته وتفسد خلقه ودينه ولا سيما أبواه فهما سبب هلاكه ودماره وسبب فساده وأ صلاحه وسبب استقامته أو اعوجاجه. فالطفل حين يولد يكون عضوا صالحا في المجتمع ولو خلي بين هذا الطفل وفطرته لنشأ على الإيمان وعـــاش على الخير والصلاح ولكن المجتمع الفاسد والبيئة المنحرفة وأقرب اللناس فيها الأبوان – هي التي تفسد نفسية الطفل وتخرب عقليته وفطرته فتقلبه من الهدى إلى الضلال ومن السعادة إلى الشقاوة ومـــن الإيمـــان إلى الكفر ولولا الأسرة الفاسدة ولولا المجتمع المنحرف ولولا الأبوان الضالان لبقي الإنسان على فطرته طيب النفس سليم العقيدة مندفعا نحو الحياة الفضيلة والكمال.

فانظـــر – هـــداك الله – إلى التمثيل الرائع الذي مثله عليه الصلاة والسلام حيث صور الطفل (بالشـــاة) التـــي يخلقهـــا الله تبارك وتعالى كاملة الخلق جميلة الشكل والصورة ولكن الناس هم الذين يشـــوهون جمالهـــا فيقطعون أنفها أو دونها ويعبثون بها حتى تصبح ناقصة الخلق مشوهة التصوير؟! أفليس هذه حقيقة يدركها كل شخص وهي أن الخلق الكامل هو خلق الله وأن النقص إنما يأتي من فعل الإنســـان؟! فهـــذا الحـــديث الشريف ما هو إلا تصوير دقيق (لحقيقة الإنسان) وسمو به وارتفاع من حضيض الشر القائم إلى أفق المعرفة المشرق وضياء الحق المنير فاناس في جميع العصور والدهور يولدون على الفطرة وعلى الاستعداد التام الكامل للخير والصلاح وصدق الله:

(فطـــرة الله التـــي فطر الناسُ عليها لا تبديل لخلق الله) وفي الحديث الشريف رد صريح واضح على أولئك الذين ينكرون الفطرة كما هي (الفكرة الشيوعية الخبيثة) التي تقول: إن الإنسان يخلق خاليا من كل شيء يسمى بالدوافع وإننا نستطيع أن نصنعه كما نشاء ... فهم يعتبرونه كالآلة الصماء أو كالدابة العجماء ولا عجب في أن ينكروا الدين أو الفطرة فقد أنكروا من قبل وجود الله وصدق الله حيث يقول: (أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون).

السعداء في الآخرة

الحديث الثاني:

عـــن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سبعة يظلهم الله في ظلـــه يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل وشاب نشأ في عبادة ربه ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابـــا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه. ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله. ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه. ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه.

متفق عليه

الأبحاث العربية:

يظلهـــم: المـــراد بالظل هنا هو الظل الحقيقي حيث يكون هؤلاء السعداء تحت ظل العرش يوم القيامة بقـــرينة قـــوله (يـــوم لا ظل إلا ظله) فلا يمسهم حر الشمس ولا وهجها وقيل المراد بالظل : الكرامة والحماية فهو (كناية) عن الرعاية والحماية والأول أرجح.

فـــي ظله: إضافة الظل إلى الله إضافة تشريف وهو على حذف مضاف أي في ظل عرشه وإنما اضافه إليه تكريما وتشريفا كما يقال للمسجد (بيت الله).

إمام عادل: المراد بالإمام الحاكم أو السلطان ويشمل أيضا القاضي وكل من له ولاية على غيره والعادل الذي يحكم بالعدل بين الناس فلا يميل مع هوى ولا يرتشي بمال.

معلـــق بالمساجد: أي محب لها حبا شديدا فهو ينتظر الصلاة بعد الصلاة ويصليها بالجماعة ولا يؤخرها عن وقتها كما قال تعالى في هذا الصنف(والذين هم على صلاتهم يحافظون).

تحابا في الله : أي لأجله لا لغرض دنيوي وتحابا أصله تحاببا أدغم الأول في الثاني والتفاعل عبارة عن معنى يقتضي الماركة أي أن كلا منهما أحب صاحبه في الله.

اجتمعاعلـــيه: الضمير يرجع إلى الحب في الله والمعنى اجتمعا على ذلك الحب وتفرقا عليه فهو اشارة إلـــى أن الحـــب تمكن من قلب الرجلين تمام التمكن من أجل الله تعالى لا لغرض دنيوي وفي الحديث "من أحب الله وأبغض الله ومن الله فقد استكمل الإيمان".

ذات منصب: أي امرأة صاحبة جاه من أصل أو شرف أو سلطان أو مال وفي الحديث الشريف (تنكح المـــرأة لأربـــع: لمالها ولحبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) ومعنى تربت يداك: أي إن لم تفعل هلكت.

أخـــاف الله : الخـــوف مـــن الله هو الرهبة من عذابه وهو دليل الإيمان قال تعالى "وخافون إن كنتم مؤمنين".

شماله ما تنفق يمينه: الشمال واليمين اليدان التان بجانبي الإنسان وضرب المثل بها للتوضيح فلو فرضنا ان الشمال رجل مستيقظ وتصدق الإنسان بيمينه لما شعر ذلك الرجل الذي عن يساره.

ذكـــر الله: مـــن الذكر بكسر الذال فهو باللسان أو من التذكر بالفكر والقلب أي تذكر عظمة الله وجلاله فبكى من خشيته سبحانه فيكون المراد بالذكر القلبي.

خاليا: أي بعيدا عن الناس ليكون أقرب إلى الخلاص وأبعد عن الرياء.

ففاضـــت عيناه: أي سالت منها الدموع كأنها فيض لغزارتها وذلك دليل على الخوف من الله وقوة اليقين به سبحانه وفي الحديث "عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله".

الأبحاث النحوية:

ســـبعة : مبـــتدأ وخبـــره جملة يظلهم الله ويجوز الابداء بها مع أنها نكرة لكونها على معنى الإضافة أي سبعة أشخاص من الناس. إمام عادل: امام خبر لمبتدأ محذوف تقديره أحدهم امام وعادل صـــفة لإمام "وشاب نشأ" وشاب خبر لمبتدأ محذوف أيضا تقديره والثاني شاب وجملة (نشأ في عبادة الله) صفة لها. لأن القاعدة "أن الجمل من بعد النكرات صفات ومن بعد المعارف أحوال" ويكون التقدير وشاب ناشئ "قلبه معلق" قلبه مبتدأ ثاني وخبره معلق في المساجد والمبتدأ الثاني وخبره في محل رفع صفة الرجل "حتى لا تعلم " بالنصب فتكون حتى للغاية وبالرفع فتكون تفريعية نحو: مرض زيد حتى لا يرجونه "خاليا" حال من فاعل ذكر الله حال كونه وحيدا فريدا ليس معه أحد.

ترجمة راوي الحديث:

تقدمت ترجمة الراوي في الحديث الأول فارجع إليه...

الأبحاث البلاغية :

١) قوله (معلق في المساجد) فيه كناية لطيفة فقد كنى عن ملازمته للمسجد وتردده عليه ومحافظته على الصلاة بالجماعة بتعلق قلبه في المساجد وهو (كناية عن صفة).

(2 قــوله (لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) فيه استعارة لطيفة تسمى (الإستعارة المكنية) فقد شبه اليد اليمنـــى بإنســـان واليد اليسرى بإنسان آخر وحذف المشبه به وهو الشخص الأول ورمز إله بشيء من لوازمه وهي اليد على طريق (الإستعارة المكنية).

(3 قوله (دعته امرأة) كناية عن المراودة عن النفس من أجل عمل الفاحشة هي (كناية عن صفة).

(4 قــوله (ففاضـــا عيناه) مجاز مرسل على حذف مضاف أي فاضت دموع عينيه لأن العين لا تفيض إنما يفيض الدمع فيها وذلك علامة الإيمان. قال الشاعر:

وذاق طعم الإيمان من ذكر الله ففاضت عيناه بالعبرات

الشرح الأدبي:

فـــي هذا الحديث النبوي الشريف تقسيم لطيف وبيان شاف مجيد لأولئك السعداء الأبرار الذين نالو الكرامة الإلهية والسعادة الأبدية في دار الخلد والنعيم بسبب ما قدموا في الدنيا من صالح الأعمال واتصفوا به من جميل الخصال.

فالرسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن شمول العناية الإلهية والرحمة الربانية تحت ظل عرش الله الكريم لكل من اتصف بواحدة من تلك الخصال الحميدة التي يحبها الله ورسوله وقد أوضحها علـــيه الصـــلاة والسلام في أجمل عرض وأقوى بيان ليلهب نفوس المؤمنين ويحرك فيهم روح الجد والاخلاص والعمل الصالح ليسيروا على النهج القويم ويقتدوا الأخيار الأطهار من عبادة الله الصالحين. فهو يدعو أولا إلى مراعات العدل ومجانبة الظلم لكل من تولى شأن من شئون المسلمين أو ولى أمرا من أمورهم سواء كانت الولاية عام أم خاصة فالعدل شريعة الله والله تعالى يمقت الظلم ويرهه أيا كان مصدره وصدق الله حيث يقول (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهـــوى فيضـــلك عـــن سبيل الله) وهو يدعو ثانيا الشباب إلى الإقبال على طاعة الله وعبادته منذ بدء حياتهم ونعومة أظفارهم ليكونو رجال المستقبل وليحققوا (الجبل المتالى) الذي ينشده الاسلام. ولقد أثنى القرآن الكريم على فتية أهل الكهف بقوله: (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) فالشباب موطن الرجاء والأمل وهم عدة المستقبل.

وفي الخصلة الثالثة: إشارة بفضل ذلك الرجل الصالح الذي عمر الإيمان قلبه وتعلقت جوارحه وقلـــبه بذكر الله عن طريقة المحافظة على الصلاة التي هي عماد الدين لتتشرب القلوب حب الإجتماع والألفـــة وتـــتوحد صـــفوف الأمة عن طريق الاجتماع في بيوت الله ولقد أثنى الله عز وجل على هذا الصـــنف من الناس بقوله: (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال ...)

وفـــي الخصـــلة الـــرابعة: يدعم ال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى (الحب في الله) ابتغاء وجهـــه الكـــريم لا لغـــرض دنيوي أو كسب ما دي أو مصلحة دنيئة .... وهل الدين إلا حب في الله واجـــتماع على مرضاته والتقاء على دعوة الحق التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون الحب طهرا وصفاء وسموا ونقاء!!

وفي الخصلة الخامسة: إظهار لأسمى ما تصورته البشرية من طهارة وسمو وصفاء إنه طهارة الـــوجدان وصفاء الإيمان الذي يعصم صاحبه من الانزلاق في مزالق الرذيلة فها هي الفتنة والإغراء تتزيا بصورة واقعية في صورة (امرأة جميلة) ذات حسب ونسب تدعوا الرجل إلى نفسها وتراوده على عمل الفاحشة بها ولكنه تجنب كل ذلك خوفا من الله.

وفـــي الخصـــلة السادس: نرى روعة البيان في أجمل المحسن الذي تصدق بصدقة خفية عن أعـــين الـــناس ابتغاء مرضاة الله فأخفى صدقته حتى عن أقرب ما يتصل به الا وهي شماله حتى لو تصورنا أن يمينه تصدقت بشيء لما شعرت يده اليسرى فيما أنفق في سبيل الله.

وأخيـرا يخـتم علـيه الصلاة والسلام حديثه الشريف بفضل البكاء من خشية الله. فلله ما أروع هدى الرسول وما أجمل حكمته ومغزاه !! إنه الهدى النبوي والحكمة المحمدية.

بين يدي الساعة

الحديث الثالث:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل".

رواه الترمذي

الأبحاث العربية:

بين يدي الساعة: أي قرب قيام الساعة وأمامها والمراد بالساعة (القيامة) وسميت بذلك لأنها تظهر في أدنى لحظى من الزمن وهي مما اختص الله سبحانه وتعالى بعلمه قال تعالى (يسألك الناس عن الساعة قل إن علمها عند الله).

فتـنا: جمع فتنة والمراد بالتن هنا (المصائب والنكبات) والبلايا التي تنزل على الناس في آخر الزمان فتصيبهم في أنفسهم أو في أموالهم أو في أولادهم أو في عقائدهم قال الشاعر العربي:

إن لله عبادا فطن — طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلما علموا — أنها ليست لحي سكنا

جعلوها لجة واتخذوا — صالح الأعمال فيها سفنا

كقطع الليل : جمع قطعة وهي الجزء من الشيء والمراد أن الفتن تأتي متلاحقة متتالية كما يأتي الليل متلاحق الأجزاء وكلما تقدم الليل اشتد الظلام.

ويصـبح ويمسي: معنى أصبح دخل في الصباح وأمسى دخل في المساء قال تعالى: "فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون" وفي الحديث الشريف "أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبي ضمضم؟ قالوا ومـن هو أبو ضمضم يا رسول الله؟ قال رجل ممن كان قبلكم كان كلما أصبح أو أمسى قال اللهم إني قد جعلت عرضي لمن شتمني" أي عفوت عنه وسامحته.

كافرا: أي مرتد عن الدين جاحدا بآيات الله مشتق من الكفر بمعنى الجحود والانكار قال تعالى (افرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا) الآية.

بعـــرض من الدنيا: المراد بالعرض الشيء الحقير من حطام الدنيا ونكر اللفظ ليشير إلى الحقارة والقلة أي بشيء قليل وحقير من الدنيا وسمي عرضا لأنه يزول ولا يدوم.

الأبحاث البلاغية:

١) في قوله صلى الله عليه وسلم (بين يدي) استعارة مكنية وطريق اجراء هذه الاستعارة أن نقول شـــبه الســـاعة بـــرجل وحـــذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو اليد على سبيل الإستعارة المكنية بجامع القرب بين كل منهما فاليد قريبة من الرجل والفتن قريبة من الساعة.

(2 في قول (فتنا كقطع الليل المظلم) تشبيه يسمى (مرسلا مفصلا) لأن أداة التشبيه قد ذكرت فيه وهـــي (الكاف) فهو (مرسل) من هذا الوجه و(مفصل) لأن وجه الشبه وهو الظلمة قد ذكر فيه وقد تمت فيه الأركان.

(3 في قوله (يصبح ويمسي) وفي قوله (مؤمنا وكافرا) تقابل جميل وهذا ما يسمى في علم البلاغة (الطباق) مثل قوله تعالى (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود) والطباق هو أن يجمع المتكلم لين لفظين متقابلين وقد يكون الطباق في الفعل كما في الأول (يصبح ويمسي) وقد يكون في الإسم كما في قـــوله (مؤمـــنا وكافـــرا) وقـــد يكـــون فـــي الحرف مثل قوله تعالى (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف).

(4 قوله (يبيع دينه بعرض من الدنيا) جملة خبرية يقصد منها (التحذير والتخويف).

الأبحاث النحوية:

جملـــة (بين يدي الساعة) خبر إن مقدم و(فتنا) اسمها مؤخر وجملة (كقطع الليل المظلم) صفة لفتـــنا لأن الجمل بعد النكرات صفات و(يصبح الرجل مؤمنا) الرجل اسم أصبح التي هي من أخوات كـــان و(مؤمـــنا) خبـــرها وكـــذلك في (يمسي) لها إسم وخبر لأنها أيضا من أخوات كان. (يبيع دينه بعـــرض..إلـــخ) هـــذه الجملة كالتعليل لما سبقها فكأن سائلا يقول لم يحدث ذلك فقال يبيع بعرض من الدنيا.

ترجمة راوي الحديث:

راوي الحـــديث الصـــحابي الجليل (أبو موسى الأشعري) رضي الله عنه واسمه (عبد الله بن قـــيس) وهـــو من قبيلة الأشعريين الذين أثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (إن الأشعريين إذا أرملـــوا فـــي الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم).

أسلم رضي الله عنه ورجع إلى بلاد قومه ثم قدم المدينة مع الأشعريين وهم نحو خمسين رجلا فـــي سفينة فألقتهم الريح إلى النجاشي بأرض الحبشة فوافقوا خروج (جعفر بن أبي طالب) وأصحابه مـــنها فأتـــو معهم وقدمت السفينتان معا على النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على بعض بلدان اليمن ثم استعمله (عمر) على البصرة فافتتح الأهواز وأصبهان وفي خلافة عثمان استعمله على الكوفة. وكان رضي الله عنه حسن الصوت بالقرآن سمعه النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وهو يقرأ القرآن فقال له (لقد أوتيت مزمارامن مزامير آل داود) وكان عمر إذا رآه قـــال لـــه (ذكـــرنا ربنا يا أبا موسى) فيقرأ القرآن وأبو موسى هو الذي فقه أهل البصرة وأقرأهم القـــرآن. قال (إبن المديني) (قضاة الأمة أربعة: عمر وعلي وأبو موسى وزيد بن ثابت) مات سنة 46 هـــ وهو ابن ثلاث وستين سنة رحمه الله تعالى.

الشرح الأدبي:

في هذا الحديث الشريف صفحة من صفحات الجمال الفني في روعة العرض وسمو التصوير والتشبيه.. فإن الانسان ليحص بالبلاء الذي ينزل غسق والفتن التي تحيط به وكأنها ملموسة محسوسة تلاحقه كما يلاحق الظلام غسق الليل وتلازمه كما يلازم الهلع ثلب الجبان ... وأي إنسان لا يفزع وهو يرى ذلك المنظر المخيف وتلك الصورة الرهيبة التي تملك عليه شعوره وإحساسه؟

صورة الفتن تتلاحق كتلاحق الجيوش يطارد بعضها بعضا وتشتد هذه الفتن كاشتداد الظلام ... يبدأ رويدا ثم لا يزال يشتد ويشتد حتى يعم أرجاء الكون ويصبح ظلاما مطبقا دامسا لا يرى فيه الانسان ما حوله "إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور!!

وإن الناظر ليلمس خطر هذه الفتن العصيبة والمحن المريرة في الانقلاب العظيم الذي تحدثه في نفوس البشر ... إذا ينقلب الانسان مابين عشية وضحاها من الايمان إلى الكفر ويعود من الهدى إلى الضلال وينتقل من النور إلى الظلام فيصاب بأعظم نكسة وأفدح مصيبة وهل هنالك من مصيبة تعدل المصيبة في الدين والإيمان؟ وهل هنالك من خسارة توازي هذه الخسارة؟!

إنها "المادية الطاغية" التي حدثنا عنها الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ... إنها فتنة المادة التي جرف في تيارها اصحاب النفوس المريضة الذين عاشوا (لبطونهم) و (شهواتهم) ممن آثروا الحياة الدنيا على الآخرة فخدعوا ببريقها واغتروا بحطامها حتى باعوا أقدس شيء لدينهم ألا وهو (الإيمان) بأتفه شيء ألا وهو (الحطام) (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) إنه (طغيان المادة) الذي يطغى على القيم الروحية والخلقية والدينية فيجعل الفرد لا يفكر إلا في المادة ولا يعيش إلا من أجل المادة ... فهل بعد هذا الانتكاس من انتكاس؟ (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)

الحرية الشخصية

الحديث الرابع:

عن النعما بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم اسفلها فكان الذين في اسفلها إذا استقوا من الماء مرو على من فوقهم فأذوهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجو ونجو جميعا).

رواه البخاري والترمذي

الأبحاث العربية:

القائم على حدود الله: المراد به المستمسك بالدين القائم بواجب الدعوة من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وحدود الله تقسم إلى قسمين: حدود الأمر وحدود النهي فحدود الأمر يجب امتثالها وحدود النهي يجب اجتنابها فمن الأول قوله تعالى (وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون) ومن الثاني (تلك حدود الله فلا تقربوها)

الواقع فيها : المراد به المستهتر بأمور الدين المرتكب للمنكرات والمعاصي الذي لا يبالي بما فعل من فحش وموبقات.

استهموا: أي اقترعوا فيما بينهم والرعة إنما تكون لقطع النزاع ورفع الخلاف. وفي الحديث الشريف. (لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا) والمراد

بالـــنداء : الأذان وكـــان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أسهم بين نسائه. أي ضرب القرعة بينهن فأتيهن خرجت قرعتها أخذها معه.

خرقنا في نصيبنا : أي ثقبنا المكان الذي نحن فيه لنستخرج منه الماء والمراد خرق السفينة.

أخذوا على ايديهم : أي منعوا مما ارادوا من خرق السفينة والتعبير بلفظ (أخذوا على ايديهم) يفيد المنع بالقـــوة كمـــن شددنا يديه بالوثاق لمنعه من الحركة والعمل. وهذا كما قال السفهاء من كفار قريش لبعضهم البعض. (خذوا على يديه قبل أن تظهر دعوته أي امنعوه بالقوة والحزم قبل أن ينتشر دينه.

الأبحاث النحوية :

مـــثل القائم: مبتدأ وخبره جملة (كمثل قوم استهموا على سفينة) وجملة (استهموا على سفينة) صفة لقوم ولفظ (أعلاها) مفعول به لأصاب وهو المضاف إلى الهاء أي أعلى السفينة. (مروا على من فـــوقهم) مـــن اســـم موصـــول بمعنى الذي ومحله الجر بعلى وفوقهم منصوب على الظرفية والجار المجـــرور متعلق بمروا (فقالوا: لو أنا خرقنا .. إلخ) جملة لو أنا خرقنا مقول القول لأن (قال) تنصب الجمل ولا تنصب المفرد (خرقا) مفعول به.

الأبحاث البلاغية:

١) قوله (مثل القائم ... كمثل قوم استهمو) فيه تشبيه يسمى (تشبيها تمثيليا) لأن وجه الشبه فيه صـــورة منتزعة من متعدد ... وهذا النوع من التشبيه له تأثير عظيم على النفس فإنه إذا وقـــع في صدر القول بعث المعنى إلى النفس بوضوح وجلاء مؤيد بالبرهان ليقنع السامع وإذا جـــاء بعـــد تمـــام المعاني كان كالبرهان الذي تثبت به الدعوى والحجة التي توجب الإذعان مثل قول الشاعر:

لا ينزل المجد إلا في منازلنا كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

2) بـــين لفظ (أعلاها) ولفظ (أسفلها) طباق بين اسمين والطباق هو لجمع بين لفظين متقابلين في المعنى كما هو معلوم في (علم البديع) وكذلك يوجد طباق بين قوله (القائم والواقع).

3) (وإن أخذوا على أيديهم) في هذا اللفظ (كناية) لطيفة فقد كنى عن المنع بالأخذ على الأيدي فهو إذا كناية عن (صفة) أي فإذا منعوهم عن تنفيد ما أرادوا إلخ.

ترجمة راوي الحديث

راوي الحـــديث الشريف هو (النعمان بن بشير بن سعد) الأنصاري الخزرجي يكنى (أبا عبد الله) وهو أول مولود في الإسلام من الأنصار ولد بعد الهجرة بأربعة أشهر وله صحبة بالنبي صلى الله علـــيه وسلم هو وأبوه ولذلك يقال رضي الله عنهما تولى قضاء الشام ثم استعمله (معاوية) رضي الله عـــنه على الكوفة وكان من ا لخطباءُ المشهورين الذين لا يجاريهم أحد في قوة البيان وجودة التعبير. وقـــد عـــتل رحمه الله بالشام في إحدى القرى التابعة لحمص في ذي الحجة سنة 64 هـــ ودفن هناك وكـــان مقـــتله في عهد (مروان بن الحكم) روي له عن النبي صلى الله عليه وسلم 114 مائة وأربعة عشر حديثا أخرج بعضها البخاري وبعضها مسلم رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

الشرح الأدبي:

مثل في منتهى الجمال والروعة يضربه الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه لأولئك الذين اخطـأوا الطريق وضلوا الجادة وتنكبوا عن سبيل الهدى ففهموا (الحرية) فهما خاطئا وساروا في هذه الحياة حسب أهوائهم وشهواتهم.. ومثل آخر لأولئك الذين رأو المنكر لسكتو عنه وأغمضوا أعينهم عما يدور حولهم من آثام وموبقات كأن الأمر لا يعنيهم وظنوا في أنفسهم الصلاح والفلاح.

إن مـثل رائع من روائع الحكم النبوية التي ضرب بها الرسول الكريم معلم الإنسانية ومهذب البشـرية الذي دانت له الفصاحة والبلاغة وأعطي جوامع الكلم فكان له منها النصيب الأوفر فصلوات ربي وسلامه عليه.

مثل في غاية الروعة يصور فيه الرسول الكريم (المجتمع البشري) بما فيه من أخيار وأشرار ومتقين وفجار بركاب سفينة في بحر خضم متلاطم الأمواج هذه السفينة تسير وسط البحر تشق طريقها بـين الأمـواج والأعاصير وقد انقسم الركاب فيها إلى قسمين : قسم في اعلى السفينة يتمتعون بجمال الكـون وروعة الطبيعة ونضارة الحياة وقد تأمنت لهم كل أسباب الرفاعية والراحة من مياه عذبة نقية وسرر وأرائك وخدم وولدان يسعون في خدمتهم وقضاء حاجاتهم ... وقسم في أسفل السفينة لا يرون مناظـر الطبـيعة ولا يتمتعون بجمالها الخلابة ولا ينعمون بما ينعم به إخوانهم في الطبقة العليا حتى المـاء فقـد كانـوا يجلـبونه مـن الأعلى .. وهنا خطرت لهم خاطرة: وهي أن يثقبوا أسفل السفينة ويستخرجوا من البحر الماء حتى لا يتعبوا أنفسهم في حمل الماء ولا يزعجوا جيرانهم وهنا بدأوا بما عـزموا علـيه وقـرروا ثقـب السفينة فاستخرجوا المعاول والفؤوس وراحوا يضربون بها السفينة لاسـتخراج المـاء ...وسمع الذين هم في الطبقة العليا أصوات السفينة وهي تخرق فهرعوا نحوهم ووقفوا في وجههم يريدون منعهم ولكن أولئك الأذكياء "الشطار" استاءوا من تدخل إخوانهم وقالوا لهم : هـذا مكاننا نصنع فيه ما نشاء لأننا "أحرار" وهل تمنعون الناس من استعمال حرياتهم ؟ فإن تركوهم على إرادتهم وصنيعهم هلك ركاب السفينة جميعا وإن منعوهم وأخذوا على ايديهم نجوا جميعا .

وهكذا نحن حالنا في هذه الحياة نعيش فوق سطح هذا الكوكب الأرضي (كركاب السفينة) فينا البر والفاجر وفينا الصالح والطالح فإن تركنا أهل الشر والفساد يسرحون ويمرحون ويفعلون ما يحلو لهـم وما يشاءون دون أن نوجه لهم النصح أو نمنعهم عن اقتراف الموبقات والآثام هلكنا جميعا وإن منعناهم منها نجونا جميعا فكان في ذلك نجاتنا ونجاتهم وحياتنا وحياتهم .. فيا له من مثل رائع وتوجيه حكـيم. نبهنا إليه رسول الهدى والرحمة ونبي العلم والعرفان. يا له من مثل رائع لو أن الناس كانوا يعلمون!!

الجليس الصالح والجليس السوء

الحديث الخامس:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه واما أن تجد ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا منتنة.

رواه البخاري

الأبحاث العربية:

الجلـــيس الصالح: إنما أداة حصر والمثل بفتحتين: الشأن العجيب والأمر الغريب ويستعمل في تقريب البعـــيد وتوضـــيح الغـــامض قال تعالى "وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العاملون" والأمثال لها أثر عظيم في النفوس ولذلك فقد أكثر منها القرآن.

مـــثل الجلـــيس: يقصد بالجليس الصالح هنا الصديق الفاضل المتحلي بالأخلاق الكريمة. وفي الحديث الشريف (لاتصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي)

جلـــيس السوء: يقصد به الصديق والصاحب السيء الذي فسدت طباعه وساءت أخلاقه والسوء بالفتح مصدر وبالضم اسم مصدر وقال اللغويون يجوز فتح السين وضمها.

كحامل المسك: المراد بحامل المسك بائع المسك وهو الطيب الذي يتطيت به الناس والمقصود منه هنا هو "بائع العطورات" لأنه يقابل (الحداد) نافخ الكير.

ونـــافخ الكير: الكير: هو حانوت الحداد وأما نافخ الكير فالمراد به الحداد الذي ينفخ النار على الحديد حتى يحمر فيستعمله.

تبـــتاع منه: أي تشتري منه وهو فعل مضارع من باب الافتعال للمبالغة في طلب البيع. وفي الحديث الشريف (إذا رأيتم من يبيع في المسجد فقولو له لا ربح الله تجارتك).

ريحا منتنة: أي رائحة كريهة تنفر منه النفس يقال انتن الطعام إذا فسد وانتشر منه رائحة خبيثة وفي الحديث "دعوها فإنها منتنة" وهي قولهم يا للأنصار ويا للمهاجرين .. الخ.

الأبحاث النحوية:

(إنمـــا) كافة مكفوفة ملغاة لا عمل لها وهي تفيد الحصر. و(مثل) مبتدأ وخبره جملة (كحامل المســـك ونـــافخ الكيـــر) و(حامل المسك) حامل مبتدأ والمسك مضاف إليه والخبر هو جملة و(إما أن يحذيك ..) إلخ. و(ريحا طيبا) ريحا مفعول به ل(تجد) وطيبة صفة وصفة المنصوب منصوب ومثلها ريحا منتنة وقوله (إما) شريطة تفيد معنى التفصيل.

الأبحاث البلاغية:

١) قـــوله (إنما مثل) قصر إضافي يسمى هنا (قصر موصوف على صفة) وعلماء النحو يقولون: إنما للحصر مثل (إنما يخشى الله من عباده العلماء).

2) قـــوله (مـــثل الجليس الصالح) فيه تشبيه يسمى (التشبيه التمثيلي) حيث شبه ببائع الطيب الذي يدخل إليه الإنسان فيشتري منه أو يهديه البائع أو يشم الرائحة العطرية الزكية.

3) قـــوله (كحامـــل المسك ونافخ الكير) فيه لف ونشر مرتب وهو من المحسنات البديعية فحامل المســـك مثل للجليس الصالح ونافخ الكير مثل للجليس السوء وسمي (لفا ونشرا مرتبا) لأنه قد عاد عليهما بالترتيب ومثله قوله تعالى: جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله).

الشرح الأدبي:

مـــا أروعه من معنى وما أجمله من تصوير تتجلى فيه البلاغة النبوية وروعة البيان وإن من البـــيان لســـحرا صـــورة حية صادقة للجليس. فالجليس الصالح هو الذي ترتاح إليه نفسك ويطمئن به فـــؤادك وتنتعش روحك ... تطرب لحديثه وتنعم بمجالسته وتستعد بصحبته إنه عدة في الرخاء وزينة في الشدة وبلسم الفؤاد وراحة النفس:

صحبة الصالحين بلسم قلبي إنها للنفوس أعظم راقي

وقـــد شـــبه الرسول صلى الله عليه وسلم ببائع الطيب الذي ينفخ بعطره ويغمر بنشره فإما أن يهديك وإما أن تجد عنده ريحا طيبة فأنت معه في ربح دائم ونشوة غامرة.

أما جليس السوء فليس هناك أبلغ من تشبيه بالحداد الذي ينفخ بكيره فأنت معه في خسارة دائمة فإن لم يحرقك بناره أحرقك بشراره فصحبته هم دائم وحزن لازم.

وقد سأل أحد الشعراء عن جواب لهذا البيت:

"مالي أرى المع يذري في معادنه: من صحبة النار أم من فرقة العسل؟

فأجابه أحد الأدباء:

من لم تجانسه فاحذر أن تجالسه: ما ضر بالشمع إلا صحبة الفتل

وهكـــذا يقولـــون: مـــن جالس جانس لأن النفس تقتبس الخير أو الشر من الجلساء ولهذا أمر الباري تبارك وتعالى بصحبة الصالحين: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونو مع الصادقين).

هلاك الأمم

الحديث السادس:

"عـــن أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول: ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه – وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها – فقلت يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث"

رواه البخاري ومسلم

الأبحاث العربية:

فزعا: الفزع : الذعر والخوف ومنه قوله تعالى (لا يحمنهم الفزع الأكبر) وقوله سبحانه (وهم من فزع يومـــئذ آمنون) وفي الحديث الشريف الذي رواه أنس (فزع أهل المدينة ذات ليلة فخرجوا جهة الصوت فرأوا الرسول صلى الله عليه وسلم وهو راجع يركب بغلته وهو يقول لن تراعوا فكان الرسول صلى الله عليه وسلم أسبقهم ...)

ويل للعرب: كلمة ويل تستعمل للتهديد والوعيد مثل قوله تعالى (فويل لهم مما كسبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) وقوله سبحانه (ويل للمطففين) أي هلاك وعذاب لهم قال في الصحاح: ويل كلمة مـــثل ويـــح إلا أنها كلمة عذاب ... وقد تستعمل لإظهار الحسرة والتفجع كما في الحديث هنا

وكما في قوله تعالى (وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق). والعرب اسم جمع يقابل الفـرس والعجم وأما الأعراب فهم سكان البوادي يقابل سكان المدن وهم الحاضرة أنظر دليل الفالحين).

ردم يأجـوج: الردم: السد العظيم ومنه قوله تعالى (جعل بينكم وبينهم ردما) أي سدا متينا ولردم أكبر من السد وأوثق فهو السد المتين والحاجز الحصين ... وردم يأجوج ومأجوج هو السد العظيم الـذي بناه (ذو القرنين) وإلى ذلك تشير الآية الكريمة (قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا؟) ويأجوج ومأجوج هما التتر والمغول أصلهما من أب واحد يسمى (ترك) وكانوا يسكنون الجزء الشمالي من آسيا وهم من الأمم المتوحشة.

الخـبث: أي إذا كثر الفسوق والفجور هكذا فسره الجمهور وقيل المراد به المعاصي مطلقا .. وأصل الخبث الشيء النجس المستقبح من القول والعمل.

الأبحاث البلاغية:

١) قوله (ويل للعرب) جملة خبرية ابتدائية والغرض من الخبر إظهار (التفجع والحزن) على ما يحل بالعرب في آخر الزمان.

2) بين لفظي (العرب) و (اقترب) في علم البديع ما يسمى بـ (السجع) وهو توافق الفاصلتين فـي الحرف الأخير وهو في النثر كالقافية في الشعر وأفضله ما تساوتت فقره وهو على ثلاثـة أنـواع (سجع مطرف – وسجع مرصع – وسجع متوازي) وللسجع نغمة موسيقية ووقـع جميل ولا يستحسن إلا إذا جاء عفوا خاليا من التكلف والتصنع كما في هذا الحديث الشريف وإلا فهو ثقيل يشبه سجع الكهانز

3) قـوله (مـثل هـذه) فيه تشبيه وهو (مرسل مجمل) لأن أداة التشبيه مذكورة ووجه الشبه محذوف.

4) قـوله (الخـبث) هو كناية عن الفسوق والفجور الذي يكثر في آخر الزمن فهو (كناية عن صفة)

5) قوله (أنهلك وفينا الصالحون؟) استفهام للتعجب من هلاك المة وفيها العباد الصالحون.

الأبحاث النحوية:

(ويـل للعرب) ويل مبتدأ والجار والمجرور هو الخبر وجاز الابتداء بها مع أنها نكرة لكونها موصـوفة والوصف هنا تقديري أي ويل عظيم للعرب وقد ذكر النحاة أن الوصف على ثلاثة أنواع: وصـف لفظي كقوله: رجل من الكرام عندنا ووصف تقديري كقوله تعالى (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) فإن تقدير الكلام وطائفة من غيركم ووصف معنوي وهو إذا كانت النكرة على صيغة التصغير كقولك: رجـيل عـندنا فـان المعنى رجل صغير عندنا (فزعا) حال من فاعل دخل أي دخل أي دخل عليها الرسول حال كونه مذعورا مضطربا وهو منتقل مشتق وليس جامدا (يقول) فعل مضارع والجملة من الفعـل والفاعـل في محل نصب حال ثان أي فزعا قائلا ويل للعرب. (يأجوج ومأجوج) لفظ يأجوج ومأجـوج مضاف إليه ومحله الجر بالإضافة ولكنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. (مثل) نائب فاعـل لفـتح (وحلـق) الواو واو الحال والجملة حالية (فينا الصالحون) الواو للحال الجار والمجرور (خبر) مقدم والصالحون (مبتدأ) مؤخر وجملة (إذا كثر الخبث) مقول القول.

ترجمة راوي الحديث:

الراوي للحديث الشريف زوج الرسول صلى الله عليه وسلم وهي (زينب بنت جحش) رضي الله عنها التي أسلمت مع المسلمين الأوائل وهاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ابنة عمة الرسول الكريم وأمها هي (أميمة بنت عبد المطلب) ... وقد تزوجت (زيد بن حارثة) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومتبناه ثم بعد أن طلقها زيد أراد الرسول الكريم أن يتزوجها ليبطل (حكم التبني) ولكنه كان يخشى من ألسنة المنافقين أن يقولوا تزوج امرأة ابنه من التبني فكان يتمهل في الأمر حتى أنزل الله سبحانه وتعالى حكمه القاطع بتزويج الرسول من (زينب) والي ذلك تشير الآية الكريمة (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيتئهم) توفيت بعد الرسول صلى الله عليه وسلم سنة وعشرين من الهجرة ودفنت بالبقيع وصلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الشرح الأدبي:

في هذا الحديث الشريف من دلائل النبوة ومظاهر الرسالة ما فيه فقد أشار إلى ناحية غيبية تقع للعرب في المستقبل القريب وقد حصل كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم حيث كثرت الفتن والنكبات على العرب والمسلمين واشتد عليهم البلاء وحلت بهم الكوارث وذلك كله ناتج عن تغيرهم وانحرافهم عن هدي الإسلام الحنيف واستبدالهم النظم والقوانين الغربية التي هي من وضع البشر بالنظام السماوي الإلاهي .... فلذلك استحقوا عذاب الله وانتقامه وإذا كثر الشر والفساد وانتشرت المعاصي والمنكرات هلك الناس جميعا صالحهم وطالحهم وأحاط بهم العذاب لأنهم بهذا السكوت عن مقاومة المنكر جرأوا الناس على اقتراف الآثام والفواحش وهذا ما أشار إليه هدي الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم حين سألته السيدة زينب : أنهلك وفينا الصالحون؟ قال : نعم إذا كثر الخبث.

والحديث الشريف يصور حالة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدخل بيت زوجه زينب رضي الله عنها وهو في حالة من الفزع والاضطراب تشير إليهما علائم وجهه الشريف وحزنه العميق وهو يردد هذه الكلمات (لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب) فإن هذه الصورة المفزعة لتشهد بمبلغ الأسى والحزن الذي كان يختلج في صدر النبي عليه الصلاة والسلام لما يلحق العرب من كوارث ومصائب لا تعد ولا تحصى وقد أشار الرسول الكريم إلى تلاحق الفتن وتتابع النكبات على العرب بكناية لطيفة هي ابتداء انثقاب السد (سد يأجوج ومأجوج) وهو السد الذي يحجز وراءه تلك الأقوام المتوحشة التي إن خرجت أهلكت الحرث والنسل فهو إذا تشبيه للفتن التي تحصل للعرب والمسلمين بالبلاء الذي يكون وراء خراب ذلك السد وما يتولد على أثر الخراب من أضرار فادحة تلحق بالناس الآمنين أجارنا الله من فتنة الدنيا والدين.

الإسلام دين القوة

الحديث السابع:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير إحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن

أصـــابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل فإن "لو" تفتح عمل الشيطان.

رواه مسلم

الأبحاث العربية :

المـــؤمن القـــوي: لفظ "القوي" هنا ليس المراد منه قوة الجسم فحسب بل إن اللفظ جاء عاما ليشمل القوة بجمـــيع أنـــواعها من قوة البدن وقوة النفس وقوة العلم وقوة الإيمان وهكذا فالمؤمن القوي في إيمانه وفي عقيدته وفي علمه وفي جسمه خير من المؤمن الضعيف.

خيـــر: أفعل تفضيل حذفت ألفه تخفيفا وليس مصدرا لأن معناه التفضيل بدليل ما بعده وهو (أحب) وأما في قوله (وفي كل خير) فإنها مصدر.

وفي كل: التنوين في (كل) يسمى (تنوين عوض) وهو التنوين الذي يأتي عوضا عن الاسم ويلحق لفظ كل فهذا التنوين عوض عن قوله (وفي المؤمن القوي خير والمؤمن الضعيف خير).

إحـــرص: من الحرص وهو العناية بالشيء والاهتمام به حتى لا يفوت والماضي (حرص) بفتح الراء ومنه قوله تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) والمضارع يحرص قال تعالى: (إن تحرص على هداهم).

واســـتعن بالله : الاستعانة طلب العون من الله سبحانه والاعتماد عليه دون الاعتماد على الأسباب أو الاشخاص فمن أعانه الله فهو المعان وقد أحسن القائل:

إذا لم يعنك الله فيما تريده فليس لمخلوق إليه سبيل

وإن هو لم يرشدك في كل مسلك ضللت ولو أن السماك دليل

ولا تعجـــز: بكســـر الجيم على الأفصح أي لا تفرط ولا تقصر في العمل بل اعتمد على الله مع اتخاذ الأسباب.

كذا وكذا: أي حصل الأمر الفلاني أو الشيء العلاني فهما كناية عن شيء مبهم.

تفتح عمل الشيطان: أي وساوس وأوهامه التي يلقيها على افنسان فيكون سببا لخسرانه وهلاكه.

الأبحاث البلاغية:

١) قـــوله (المؤمن القوي) جملة خبرية من الضرب الابتدائي وفائدة الخبر هو تحريك الهمة والحث والترغيب لاكتساب أنواع القوة.

2) قوله (خير) أفعل تفضيل بمعنى أكثر فضلا ومثله (أحب إلى الله) فإن كلا اللفظين يقصد بـــه التفضيل لكن لفظ (خير) لا تدخله الهمزة وكذلك لفظ (شر) تقول فلان خير من فلان ولا تقول : أخير.

3) قوله (وفي كل) فيه (مجاز بالحذف) وهو حذف إيجاز وفي التنوين إشارة إلى هذا الحذف وأصله في المؤمن القوي خير وفي المؤمن الضعيف خير.

4) قوله (القوي) : بين لفظ (القوي) ولفظ (الضعيف) من المحسنات البديعية ما يسمى بـ (الطباق) مثل قوله تعالى (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود).

5) قوله (تفتح عمل الشيطان) المراد تأتي بالوساوس والأوهام فهو إذن كناية عن الوساوس التي تصيب الانسان من جراء قوله (لو) .

الأبحاث النحوية

(المؤمن القوي) : المؤمن (مبتدأ) والقوي (صفة) والخبر هو (خير) (وفي كل خير) الجار والمجرور (خبر) مقدم وخير مبتدأ مؤخر (على ما ينفعك) ما : اسم موصول في محل جر بعلى والجار والمجرور متعلق بإحراص (قدر الله) فعل وفاعل وضبطه بعضهم بفتح الدال ورفع الراء ليكون مبتدأ (قدر الله) أي تقدير الله ومشيئته وجملة قدر الله ... إلخ مقول القول. (فإن لو) كلمة (لو) كلمة قصد لفظها اسم إن وجملة (تفتح عمل الشيطان) خبر إن.

الشرح الادبي:

في هذا الحديث النبوي الكريم دعوة إلى القوة وإلى الخذ بأسباب العزة والنصر فالإسلام دين القوة ودين العزة والكرامة لا يرضى بحال من الأحوال أن يكون أتباعه في ضعف وهوان أو ذلة واستكانه لأن المؤمن عزيز "والله العزة" ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون فلا يجتمع إيمان وهوان كما لا يجتمع النور مع الظلام كيف لا ... والمؤمن يعلم أن له إحدى الحسنين: إما النصر والسعادة وإما الفوز بالشهادة وشعاره الذي يردده قول الشاعر العربي:

عش عزيزا أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود

ولهذا فقد دعا الإسلام إلى القوة في كثير من آيات الذكر الحكيم (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ...) الآية وضرب رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في الشجاعة والقوة حين فر الناس يوم حنين ولم يبق معه إلا نفر يسير فكان صلى الله عليه وسلم وهو راكب على بغلته يخترق صفوف الاعداء وهو يقول: "أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب".

ولا عجب أن نرى هذا التوجيه الكريم من رسول الهدى ونبي الرحمة يدعونا فيه إلى سلوك طريق القوة ويفضل المؤمن القوي على المؤمن الضعيف لأن القوة هي طريق العزة وهي طريق النصر وليست القوة التي دعا إليها نبي الإسلام قاصرة على قوة الجسم والعقل والعلم وقوة الخلق والدين وجميع السبل التي تقوي الإنسان جسميا أو عقليا أو روحيا حتى يبقى المؤمن مهيب الجانب عزيز النفس مصون الكرامة وليس الأخذ بالأسباب يتنافى مع الاعتماد على الله والاستعانة به فعلى الإنسان أن يسعى للأخذ بالأسباب مع اعتماده الأساسي على الله عز وجل .. ولو أن المسلمين أخذوا بهذا الهدى النبوي الكريم لعاشوا أعزة سعداء كرماء وليتهم يفعلون!!

علماء السوء

الحديث الثامن:

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يؤتى بالرجل يـــوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع إليه أهل الـــنار فـــيقولون: مالـــك يـــا فلان؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى كنت آمر بالمعروف، ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه.

رواه مسلم

الأبحاث العربية:

تندلق: الاندلاق : خروج الشيء من مكانه يقال: اندلق الماء واندلقت الفتنة.

أقـــتاب بطنه: جمع قتب بمعنى الأمعاء جمع معى والمعنى تخرج أمعاؤه من بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالطاحون.

الرحـــى: المراد بالرحى الحجر الكبير المسمى بالطاحون يطحن الحب فيجعله دقيقا فهو من باب التمثيل لا الحقيقة.

المعروف كل ما يستحسنه الشرع وترتضيه العقول السليمة من قول أو عمل.

المنكـــر: والمنكـــر كـــل ما يستقبحه الشرع ولا ترتضيه العقول السليمة من قول أو عمل. والمعروف والمنكر متلازمان غالبا فقلما يأتي لفظ الأمر بالمعروف إلا ويتبعه النهي عن المنكر في الآيات والأحاديث الشريفة قال تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف ويـــنهون عـــن المنكر) وقال تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون).

ولا آتـــيه: المراد لا أفعله أي كنت آمر الناس بالمعروف ولا أفعل المعروف وأنهاهم عن المنكر وأفعله وفي أمثال هؤلاء يقول الله تعالى: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم).

الأبحاث النحوية:

(يؤتى) فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل هو الجار والمجرور (بارجل). (يوم القيامة) منصـــوب علـــى الظرفية الزمانية مضاف ومضاف إليه. (أقتاب بطنه) أقتاب فاعل لتندلق و (بطنه) مضاف إليه. (كما يدور) الكاف حرف تشبيه وجر و (ما) مصدرية أي كدوران الحمار بالرحى. (مالك يا فلان) ما: اسم استفهام في محل رفع مبتدأ والجار والمجرور (لك) متعلق بمحذوف خبر والتقدير أي شيء حاصل لك. (تكن تأمر) تكن متصرفة من كان الناقصة واسمها هو الضمير المستتر وخبرها هو جملة تأمر بالمعروف.

الأبحاث البلاغية:

١) قوله (يؤتى بالرجل) جملة خبرية من النوع الابتدائي والغرض إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة ويسمى هذا النوع (فائدة الخبر).

(2 قوله (كما يدور) فيه تشبيه يسمى (مرسلا مفصلا) لأنه تام الأركان فالرجل يدور بأمعائه في جهنم كما يدور الحمار برحى الطاحون.

(3 قوله (تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر) فيه من المحسنات البديعية ما يسمى بـــ (المقابلة) فلفظة (تأمر) يقابلها (تنهى) ولفظة (المعروف) يقابلها (المنكر).

(4 قوله (بلى) تفيد معنى التحقيق وهي توجب ما يقابل فإذا قيل (ألست عالما) فقلت بلى فمعناه أنا عالم وإذا قلت في الجواب نعم فمعناه لست عالما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ألست بربكم قالوا بلى) قال: لو قالوا نعم لكفروا لأن المعنى يصبح لست ربنا وهذا دقيق فتنبه له.

(5 قــوله (ألم تكن تأمر) هذا استفهام انكاري والغرض منه (التوبيخ واللوم) واعلم أن الانكار إذا وقع فــي الإثــبات يجعله نفيا وإذا وقع في النفي يجعله إثباتا لأن نفي النفي – كما يقول علماء اللغة – إثــبات. ونفي الإثبات نفي مثاله قوله تعالى (ألم يجدك يتيما فآوى) دخل الاستفهام على النفي (لم) فصار المعنى اثباتا أي قد وجدتك يتيما فآويتك.

ترجمة الراوي:

هــو (أسامة بن زيد بن حارثة) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الرسول الكريم يحــبه حــبا عظيما كما كان يحب والده ولهذا يدعى (الحب بن الحب) أي الحبيب بن الحبيب وقد كان صــلوات الله عليه تبنى والده زيدا فكان في أول الإسلام يدعى (زيد بن محمد) حتى نزل قوله تعالى: (أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله) ونزل قوله تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن أسامة من أحب الناس إلي وإني لارجو أن يكون صالحهم فاستوصوا به خيــرا) وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يجلونه ويعظمونه حتى كانوا يقدمونه على أولادهم روي أن عمر بن الخطاب لما فرض العطاء جعل لابنه عبد الله ألفين وجعل لأسامة خمسة آلاف فقال له في ذلــك ابنه (عبد الله) فقال عمر: فضلته لأنه كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك. وكان أبــوه أحــب إلــيه من أبيك فقدمت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كان منذ صغره ذا فطنة وذكاء وكان شجاعا لا يخاف الأخطار وقد أمره الرسول صلى الله عليه وسلم على جيش لحرب الروم وأمره أن يسير إلى الشام وكان عمره آنذاك 18 سنة وكان في الجيش أبو بكر وعمر وكبار الصحابة وتوفى الرسول الكريم بعد أن عقد له أمارة الجيش ولكنه انتقل إلى الرفيق الأعلى وكان الجيش لم يسر بعــد فلما تولى الخلافة أبو بكر رضي الله عنه أنفذ إرسال الجيش إلى بلاد الشام وأبقى اللواء والقيادة بــيد أسامة واستأذن في ابقاء عمر عنده فذهب اسامة بالجيش ثم عاد منتصرا بعد أن ربح في المعركة ولمــا طلــب بعــض الصــحابة من (أبي بكر) عزل أسامة لصغر سنه غضب وقال ولاه رسول الله وتأمرونــي بعــزله والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم. روي له في الصحيحين أحاديث عديدة وتوفى بالجرف بعد مقتل عثمان سنة 54 هــ وحمل إلى المدينة المنورة رضي الله عنه وأرضاه.

الشرح الأدبي:

العلم حياة النفوس وغذاء القلوب ونور العقول والأبصار .... ولكن ما أتعس الإنسان وما أشقاه حــين يصــبح العلــم وبالا عليه. ويكون سببا لهلاكه ودماره؟ فالرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتســليم يخبر عن ذلك العالم الذي أعطاه الله العلم ورزقه الفهم والإدراك فكان يعلم الناس ويرشدهم ويعظمهم يذكرهم ويأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر ولكنه ما كان يفعل الخير ولا يجتنب السوء والشر فكــان فعلــه غير قوله ومظهره غير مخبره ولذلك لم ينفعه علمه بل كان سببا لدخوله جهنم. أفليس عجيبا أن يكون العلم وبالا على الإنسانية ؟ وحقا .. إنها لصورة رهيبة تقشعر لها الأبدان وترتعد لها الفــرائص صورة ذلك الرجل وقد اندلعت امعاؤه من بطنه فأصبح يدور بها كما يدور الحمار بالوحى وأيــن ذلــك يكون؟ إنه في جهنم المتأججة بنيرانها الملتهبة بسعيرها والناس قد اجتمعوا عليه يسألونه مســتغربين عن سبب هذا العذاب وعن سبب ذلك المصير المشئوم؟ يقولون له: ألست أنت فلان الذي

كنت تأمرنا في الدنيا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ ألست أنت الذي كان يقضي أوقاته في الدعوة إلى الخير والبر والاصلاح ؟

فـيقول: نعـم أنا فلان الذي كنت آمركم بالخير ولكنني لا أفعله وانهاكم عن الشر وأفعله.حقا ..... إنها النهاية الأليمة المفجعة التي تذيب القلب وتلذع الفؤاد فليس أوجع على النفس ولا أنكى على القلب من أن يضل الإنسان ويشقى بسبب العلم وفي أمثال هؤلاء يقول القرآن الكريم: (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله ؟ أفلا تذكرون؟)

فـالعلم الذي هو سبب السعادة والمنار الهادي في سبيل الحياة إذا لم ترافقه تقوي الله سبحانه كان سببا للشقاء والهلاك وكان حجة على صاحبه ووبالا عليه يوم القيامة والله در القائل حيث يقول:

لو كان في العلم من دون التقى شرف: لكان أشرف خلق الله إبليس

اللهـم احفظنا من السوء والبلاء ولا تجعلنا من الذين يقولون ما يفعلون ولا من الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم إنك سميع مجيب الدعاء.

الظلم ظلمات يوم القيامة

الحديث التاسع:

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يـوم القـيامة واتقـوا الشـح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم.

رواه مسلم

الأبحاث العربية:

اتقـوا الظلم: أي اجتنبوا الظلم وابتعدوا عنه والظلم هو: التصرف في حق الغير بدون حق أو مجاوزة الحـد . قـال ابن الجوزي: الظلم يشتمل على معصيتين. 1 – أخذ حق الغير بدون حق 2 – ومـبارزة الـرب سبحانه وتعالى بالمخالفة والمعصية والظلم إنما يقع غالبا بالضعيف الذي لا يقدر على الانتصار وإنما ينشأ من ظلمة القلب لأنه لو استنار لاعتبر.

ظلمات : ظلمات جمع ظلم وهي شدة الظلام بحث لا يرى الانسان ما يحيط به ويحتمل أن اللفظ على حقيقـته أي أن الظلم كان سببا لتخبط الانسان في الظلمات يوم القيامة كما أن عمل الصالحات يكون سببا للنور يوم القيامة (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) ويحتمل أن المراد بالظلمات هنا الشدائد كما في قوله تعالى: (قل من ينجيكم من الشدائد كما في قوله تعالى: (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) أي من شدائدها واهوالها.

الشـح: أي اجتنبوا البخل الذي يعرض صاحبه للدمار والشح هو البخل مع الحرص الشديد أو هو أشد البخل قال تعالى: (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وفرق بعضهم فقال: البخل يكون بالمال والشح يكون بالمال وبعمل الخير فهو أعم. وفي الحديث الشريف (إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك ودع عنك أمر العامة).

سـفكو دمـاءهم: أي أرقـوا دمـاء بعضهم البعض والمعنى قتلوا بعضهم البعض بسبب الشح بالمال والحرص عليه.

واسـتحلوا محـارمهم: أي استباحوا ما حرمه الله عليهم من أكل الأموال وسفك الدماء والمحارم جمع محرم وأما المحرم فجمعه محرمات والمحرم بالسكون والتشديد معناه ما حرمه الله على عباده.

الأبحاث النحوية:

(إن الظلـم ظلمات: إن حرف توكيد ونصب و(الظلم) اسمها و(ظلمات) خبرها و(يوم القيامة) منصوب على الظرفية وهو مضاف.(أهلك من كان قبلكم) هذه الجملة في محل رفع خبر (إن) الثانية و(مـن) اسم موصول مفعول به و(كان) تامة بمعنى وجد فهي مثل (وإن كان ذو عسرة) أي إن وجد معسـر. (أن سـفكو) أن وما بعدها في تأويل مصدر مجرور بـ (على) أي حملهم على سفك دمائهم واستحلال محارمهم.

الأبحاث البلاغية:

١) قـوله (اتقـوا الظلم) و (اتقوا الشح) كل منهما جملة انشائية خرجت عن معناها الأصلي إلى (التحذير والتنبيه).

(2 قـوله (الظلم ظلمات) في هذه الجملة جناس لطيف يسمى (جناس ناقصا) وهو من المحسنات البديعية.

(3 قـوله (فإن الشح أهلك) نسبة الإهلاك إلى الشح من باب المجاز وهو (مجاز عقلي) مثل أنبت الربيع البقل وبنى الأمير البلدة .

(4 قـوله (سفكوا دماءهم) مجاز بالحذف فهو على حذف مضاف المعنى سفكوا دماء إخوانهم أو سفكوا دماء بعضهم.

الشرح الأدبي:

مـا أعظم الاسلام دين الحق والعدالة ودين المساواة والانصاف ..؟ إنه دين الذي يمقت الظلم ويكره العدوان ويأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي.!!

ورسـول الله صلى الله عليه وسلم يبين لنا في هذا الحديث النبوي الرائع عاقبة الظلم ومصير الظالمـين ... إنه مصير مشئوم لأنه يكون يوم القيامة ظلاما دامسا يحل بصاحبه فلا يرى طريقه ولا يعرف كيف يمضي ولا أين يسير؟ وبهذا التعبير الموجز عن مصير الظالمين ينفر الرسول الكريم من الظلـم بجميع أنواعه وضروبه ويحذر من عاقبته التي هي أسوأ عاقبة (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلـبون) ولـيس هذا فحسب بل ان الظالم سينتقم الله منه في الدنيا قبل الآخرة فإذا تأخر عنه العذاب فليس ذلم بإهمال من الله – جل وعلا – بل انه زيادة في عذابه لانه استدراج له وفي ذلك يقول رسول الهـدى والـرحمة محمد صلى الله عليه وسلم (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) ثم تلا قوله تعالى : (وكذلك أخذ ربك إذ أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد).

وأقبح أنواع الظلم وأبشعه صورة أن يظلم الإنسان قريبه أو صديقه أو من يجب الإحسان إليه والعطف عليه وما أصدق قول (طرفة ابن العبد):

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة: على النفس من وقع الحسام المهند

وهكذا تكون عاقبة الظلم والعدوان.

وفـي الحـديث الشـريف تحذير آخر من مرض اجتماعي خطير إلا وهو الشح والبخل لأن المجـتمع الاسـلامي مجتمع التكافل والتضامن والتعاون بين أفراده فإذا فشا البخل فيه عمت العداوة والبغضاء بين الفقير والغني ولذا كان البخل سببا لهلاك الأمم السابقة حيث دفعهم إلى سفك الدماء وقتل

الـــنفوس واستحلال المحارم التي حرمها الله تعالى فما اقبح الظلم والشح! وما اشنع عاقبتهما الوخيمة التي هي سبب الشقاء الدائم والخسران المبين.

عدالة الاسلام

الحديث العاشر:

عـــن عائشة رضي الله عنها: أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فكلمه أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتشفع في حـــد مـــن حـــدود الله تعالى؟ ثم قام فاختطب ثم قال: (إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشـــريف تـــركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها.

متفق عليه

الأبحاث اللغوية:

أهمهم : أي جلب لهم الهم والقلق لأن هذه المرأة كانت من الأشراف فخاف أهلها وعشيرتها أن يقطع الرسول يدها فبحثوا لها عن طريق للخلاص.

المخـــزومية: نسبة إلى (بني مخزوم) وهي قبيلة من قبائل قريش وإليها ينتسب خالد بن الوليد رضي الله عنه و (بنو مخزوم) و (بنو هاشم) و (بنو عبد المطلب) كلهم من الأشراف.

من يكلم فيها رسول الله : أي حبيب الرسول المقرب لديه وهو بالكسر بمعنى الحبيب وبالضم مصدر أحـــب قـــال تعالى : (والذين آمنوا أشد حبا لله) والحب في الله والبغض في الله أوثق عرى الإيمان.

أتشـــفع في حد؟: الاستفهام هنا للإنكار فهو صلى الله عليه وسلم ينكر على أسامة الشفاعة في الحدود التي فرضها الله وجاء في رواية أخرى : فتلون وجه رسول الله فقال أتشفع في حد من حدود الله؟

الشـــريف: صـــاحب المنـــزلة والجاه وجمعه أشراف قال صلى الله عليه وسلم: (أشراف أمتي حملة القرآن).

وأيـــم الله: قســـم بالذات المقدسة معناه قسم بالله وأصل ايم الله (أيمن الله) جمع يمين حذفت النون منه فصار (أيم الله) وهو من أنواع القسم.

الأبحاث النحوية:

(أن قريشـــا أهمهـــم) أن حرف توكيد ونصب (قريشا) اسمها منصوب والخبر جملة (أهمهم) و(شـــأن) فاعـــل لأهمهم وجملة (من يتكلم؟) مقول القول.(إلا أسامة حب رسول الله) إلا أداة خصر و (أســـامة) فاعل ليجترئ و(حب) بدل من (أسامة) وهو مضاف و (رسول الله) مضاف إليه.(إنما أهلك الذين) انما كافة مكفوفة ملغاة لا عمل لها و (أهلك) فعل ماضي و(الذين) مفعول به مقدم وجملة (أنهم كانوا إذا سرق) في محل رفع فاعل.(وأيم الله) أيم الله مبتدأ ولفظ الجلالة مضاف إليه والخبر محذوف تقديره قسمي.

الأبحاث البلاغية:

١) قوله (من يكلم فيها؟) فجاز بالحذف وأصل الكلام (من يكلمهم في شأن رفع الحد عنها) فحذفت هذه الجملة اختصارا لأن البلاغة في الإيجاز.

(2 قوله (أتشفع في حد؟) جملة إنشائية والاستفهام انكاري غرضه التوبيخ على ذلك الصنيع.

(3 قـــوله (تـــركوه) فيه مجاز بالحذف أي تركوا إقامة الحد عليخ بدليل قوله (أقاموا عليه الحد) وبين لفظي (تركوا) و (أقاموا) طباق.

(4 قوله (وايم الله لو أن فاطمة) جملة خبرية من الضرق الإنكاري لوجود القسم.

الشرح الأدبي:

فـــي هذا الجو الروحاني ومع هذه الإشراقة الوضاءة من حياة سيد البشر محمد صلى الله عليه وســـلم يضرب الرسول الكريم أروع الأمثلة في تطبيق مبدأ العدالة والمساوات دون تفريق وتمييز بين قوي وضعيف وكبير وصغير وشريف ووضيع فالكل في نظر النبي سواء لا يراعي الغني لغناه ولا يحابي الشريف لشرفه ومنزلته فالناس في ميزان الدين – سواسية كأسنان المشط.. وهكذا يأتي الرسول – علـــيه أفضل الصلاة والتسليم – على قواعد الجاهلية فيدكها من أساس ويقتلعها من جذورها ويقرر مبدأ الحق والعدل والمساوات بين طبقات الأمة الواحدة.

ها هي امرأة من أشراف قريش تسرق علة عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخشى عليها قـــومها وعشـــيرتها أن يبلغ أمرها إلى الرسول فيقيم عليها الحد ويقطع يدها ويهتمون لشأنها لأنها من الأشـــراف فيبحـــثون لهـــا شفيع عند النبي صلى الله عليه وسلم فلا يجدون إلا (أسامة بن زيد) حبيب الرسول والمقرب لديه فيتكلمه في شأن المرأة وهو واثق من قبول هذه الشفاعة فما يكون من الرسول إلا أن يغضب ويظهر الغضب في وجهه فيتلون وجهه وتحمر عيناه وتثور في نفسه دوافع الغيرة على حـــدود الله فيقول لأسامة : أتشفع في حد من حدود الله؟ يقول ذلك منكرا عليه مستعظما لعمله ثم يقف خطيـــبا في الناس يبين لهم أن هلاك الأمم السابقين إنما كان بسبب عدم تطبيق حدود الله فيقول قولته

الكريمة (أيها الناس إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد) وفي هذا بيان لسبب هلاك الأمم ودمارها...

والاســـلام ديـــن الحق والعدل والمساوات لا يرضى بهذا المبدأ الجائر الظالم مبدأ التفرقة بين الناس والتمييز بين العناصر فهذا شريف يعظم ويكرم لشرفه وجاهه وهذا ضعيف لا حول له ولا طول يزدري ويهان لضعفه وقلة شأنه ... وهكذا كان مبدأ الجاهلية تقسيم الناس إلى فئات وطبقات إلى سادة وعبـــيد إلـــى أشراف وضعفاء إلى افاضل وخدم لكل فئة قانون ولكل جماعة نظام فقانون السادة غير قانون العبيد ودستور الأشراف غير دستور العامة والسوقة..

لقد جاء الاسلام فحطم هذه النظم البالية والقوانين الجائرة وأقام الناس جميعا على قانون واحد ونظـــام عـــادل يشمل الصغير والكبير والعظيم الحقير ويجمع بين السادة والعبيد (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)

وهكـــذا يغضـــب الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه الشفاعة ويقول كلمته الذهبية (والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)

وحاشـــا للســـيد فاطمة الزهراء بنت رسول الله التي تربت في بيت النبوة أن تسرق أو أن تفعل منها ما يوجب عليها الحد .. حاشا لها أن تفعل القبيح أو تأتي المنكر ولكنه مثل يضربه الرسول الكريم حتـــى يبقـــي حثالا خالدا على كر الدهور ومر العصور في أن رسالة الإسلام ودعوة محمد صلى الله علـــيه وسلم إنما هي دعوة العدل ودعوة الانسانية والمساوات لا محاباة فيها ولا مداراة .. إنه المثل الأعلـــى والـــنموذج الكامـــل لعدالة الاسلام التي ينبغي أن تبنى عليها النظم وتساس عليها الأمم لأنها شريعة الله ..

UNIT –XIII

(NAHJUL BALGHAT)

الباب الثالث عشر
نهج البلاغة
(خطبة علي بن أبي طالب)

ومن خطبة له عليه السلام
"يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم"

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون. ولا يحصي نعماءه العادون. ولا يؤدي حقه المجتهدون، الـذي لا يدركه بعد الهمم[1] ولا يناله غوص الفطن[2] الذي ليس لصفته حد محدود[3] ولا نعت معدود ولا أجـل ممـدود فطـر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته ووتد بالصخور ميدان أرضه[4] أول الدين معـرفته[5] وكمـال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الإخلاص له وكمال الإخـلاص لـه نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنه غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصـفة. فمن وصف الله صبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزأه ومن جزأه فقد جهله[6] ومـن جهله فقد أشار إليه ومن أشار إليه فقد حده[7] ومن حده فقد عداه ومن عداه فقد ومن قال فيم فقد ضمنه. ومن قال علام فقد أخلى منه. كائن لا عن حدث[8] موجود لا عن عدم. مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة[9] فاعل لا بمعنى الحركات والآلة. بصير إذ لا منظور إليه من خلقه[10] متوحد إذ لا سـكن يسـتأنس به ولا يستوحش لفقده[11] أنشأ الخلق إنشاءا وابتدأه ابتداء بلا روية أجالها[12] ولا تجـربة استفادها ولا حركة أحدثها ولا همامة نفس اضطرب فيها[13] أحال الأشياء لأوقاتها[14] ولأم بين مختلفاتها[15] وغرز غرائزها[16] وألزم أشباحها[17] عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها وانتهائها عارفا بقـرائنها وأحـنائها[18] ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء[19] وشق الأرجاء وسكائك الهواء[20] فأجرى فيها ماء مـتلاطما تـياره[21] متـراكما زخاره حمله على متن الريح العاصفة والزعزع القاصفة فأمرها برده[22] وسلطها على شدة وقرنها إلى حده الهواء من تحتها فتيق[23] والماء من فوقها دفيق ثم أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها[24] وأدام مربها وأعصف مجراها وأبعد منشاها فأمرها بتصفيق الماء الزخار[25] وإثار موج الـبحار فمخضته مخض السقاء وعصفت به عصفها بالفضاء ترد أوله إلى آخره وساجيه إلى مائره[26] حتـى عـب عبابه ورمى بالزبد ركامه فرفعه في هواء منفتق وجو منفهق[27] فسوى منه سبع سماوات جعـل سـفلاهن مـوجا مكفوفا[28] وعلياهن سقفا محفوظا وسمكا مرفوعا بغير عمد يدعمها ولا دسار يـنظمها[29] ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب[30] وأجرى فيها سراجا مستطيرا[31] وقمرا منيرا في

فلك دائر وسقف سائر ورقيم مائر[32] ثم فتق ما بين السماوات العلا فملأهن أطوارا من ملائكته[33] منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون ومسبحون لا يسأمون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الأبدان ولا غفلة النسيان ومنهم أمناء على وحيه وألسنة إلى رسله ومختلفون بقضائه وأمره ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لأبواب جنانه ومنهم الثابتة في الأرين السفلى أقدامهم والمارقة من السماء العليا أعناقهم والخارجة من الأقطار أركانهم والمناسبة لقوائم العرش كواهلهم ناكسة دونه أبصارهم[34] متلفعون تحته بأجنحتهم مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة وأستار القدر لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدون بالأماكن ولا يشيرون إليه بالنظائر.

صفة خلق آدم عليه السلام

ثم جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها وعذبها وسبخها[35] تربة سنها بالماء حتى خلصت ولاطها بالبلة حتى لزبت[36] فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول[37] وأعضاء وفصول أجمدها حتى استمسكت وأصلدها حتى صلصلت[38] لوقت معدود وأمد معلوم ثم نفخ فيها من روحه فمثلت إنسانا ذا أذهان يجيلها[39] وفكر يتصرف بها وجوارح يختدمها[40] وأدوات يقلبها ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل والأذواق والمشام والألوان والأجناس معجونا بطينة الألوان المختلفة[41] والأشباه المؤتلفة والأشباه المؤتلفة والأضداد المتعادية والأخلاط المتباينة من الحر والبرد والبلة الجمود واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم[42] وعهد وصيته إليهم في الإذعان بالسجود له والخشوع لتكرمته فقال سبحانه اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس إعترفه الحمية وغلبت عليه الشقوة[43] وتعزز بخلقة النار واستهون خلق الصلصال فأعطاه الله النظرة استحقاقا للسخطة واستتماما للبلية وانجازا للعدة فقال إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ثم أسكن سبحانه آدم دارا أرغد فيها عيشته وآمن فيها محلته وحذره إبليس وعداوته فاغتره عدوه نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الأبرار[44] فباع اليقين بشكة والعزيمة بوهنه واستبدل بالجذل وجلا[45] وبالاغترار ندما ثم بسط الله سبحانه له في توبته ولقاه كلمة رحمته ووعده المرد إلى جنته وأهبطه إلى دار البلية[46] وتناسل الذرية[47] واصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم[48] وعلى [illegible] أكثر خلقه عهد الله إليهم[49] فجهلوا حقه واتخذوا الأنداد معهم[50] واجتالهم الشياطين عن معرفته[51] واقتطعتهم عن عبادته فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه[52] ليستأدوهم ميثاق فطرته[53] ويذكروهم منسى نعمته ويحتجون عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول[54] ويردوهم الآيات المقدرة من سقف فوقهم مرفوع ومهاد تحتهم موضوع ومعايش تحييهم وآجال تفنيهم وأوصاب تهرمهم[55] وأحداث تتابع عليهم ولم يخل سبحانه خلق من نبي مرسل أو كتاب منزل أو حجة لازمة أو محجة قائمة[56]. رسل لا تقصر بهم قلة عددهم ولا كثرة

المكذبـــين لهم من سابق سمي له من بعده أو غابر عرفه من قبله[57] **على ذلك نسلت القرون**[58] **ومضت** الدهـــور وسلفت الآباء وخلفت الأبناء إلى أن بعث الله سبحانه محمدا رسول الله **(ص) لانجاز عدته**[59] وتمام نبوته مأخوذا على النبيين ميثاقه مشهورة سماته[60] كريما ميلاده **وأهل الأرض يومئذ ملل متفرقة** وأهواء منتشرة وظوائف متشتتة بين مشبه الله بخلقه أو ملحد في اسمه أو **مشير إلى غيره**[61] **فهداهم به** مـــن الضلالة وأنقذهم بمكانه من الجهالة ثم اختار سبحانه لمحمد **(ص)** وآله **لقاءه ورضي له ما عنده** وأكرمه عن دار الدنيا ورغب به عن مقارنة البلوى فقبضه إليه كريما **صلى الله عليه وآله وخلف فيكم** مـــا خلفت الأنبياء في أممها إذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قائم[62] **كتاب ربكم فيكم** مبينا حلاله وحرامه[63] وفرائضه وفضائله وناسخه ومنسوخه ورخصه وعزائمه **وخاصه وعامه وعبره** وأمثاله ومرسله ومحدوده ومحكمه ومتشابهه مفسرا مجمله ومبينا غوامضه **بين مأخوذ ميثاق في علمه** وموسع على العبادة في جهله وبين مثبت في الكتاب فرضه ومعلوم **في السنة نسخه وواجب في السنة** أخذه ومرخص في الكتاب تركه وبين واجب بوقته وزائل في مستقبله ومباين **بين محارمه**[64] **من كبير** أو عد عليه نيرانه أو صغير أرصد له غفرانه وبين مقبول في أدناه **موسع في أقصاه.**[65]

(منها ذكر في الحج) وفرض عليك حج بيته الحرام الذي **جعل قبلة للأنام يريدونه ورود الأنعام** ويألهـــون إليه ولوه الحمام[66] جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته وإذعانهم لعزته **واختار من خلقه** ســـماعا أجابـــوا إليه دعوته. وصدقوا كلمته ووقفوا مواقف أنبيائه **وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه** يحـــرزون الأرباح في متجر عبادته ويتبادرون عند موعد مغفرته **جعل سبحانه وتعالى للإسلام علما** والعائـــذين حـــرما فرض حجه وأوجب حقه وكتب عليكم وفادته[67] فقال سبحانه **"ولله على الناس حج** البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين". (آل عمران: 97).

2

ومن خطبة له بعد انصرافه من صفين[68]

أحمده استتماما لعزته واستعصاما من معصيته وأستعينه فاقة إلى كفايته **إنه لا يضل من هداه ولا يئل** من عاداه[69] ولا يفترق من كفاه فإنه أرجح ما وزن[70] وأفضل ما خزن **وأشهد أن لا إله إلاالله وحده لا** شـــريك لـــه شهادة ممتحنا إخلاصه معتقدا مصاصها[71] نتمسك بها أبدا ما أبقانا **وندخرها لأهاويل ما**

يلقان[72] فإنها عزيمه الإيمان وفاتحة الإحسان ومر ضـــات الرحمان. ومدحرة الشيطان[73] وأشهد أن محمـــدا عـــبده ورسوله أرسله بالدين المشهور. والعلم المأثور[74] والكتاب المسطور والنور الساطع والضياء اللامع والأمر الصادع إزاحة للشبهات واحتجاجا بالبينات وتحذيرا بالآيات وتخويفا بالمثلات[75] والـــناس في فتن انجذم فيها حبل الدين[76] وتزعزعت سواري اليقين[77] واختلفت النجر[78] وتشتت الأمر وضاق المخرج وعمي المصدر[79] فالهدى خامل والعمى شامل عصي الرحمان ونصر الشيطان وخذل الإيمـــان فانهارت دعائمه[80] وتنكرت معالمه[81] ودرست سبله[82] وعفت شكره أطاعوا الشيطان فسلكوا مســـالكه ووردوا مناهله[83] بهم سارت أعلامه وقام لواؤه في فتن داستهم بأخفافها ووطئتهم بأظلافها[84] وقامـــت علـــى سنابكها فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون في خير دار وشر جيران[85] نومهم سهود وكحلهم دموع. بأرض عالمها ملجم وجاهلها مكرم (ومنها يعني آل النبي عليه الصلاة والسلام) موضع سره ولجأ أمره[86] وعيبه علمه[87] وموئل حكمه وكهوف كتبه وجبال دينه بهم أقام انحناء ظهره وأذهب ارتعاد فرائصه[88].

ومها يعني قوما آخرين زرعوا الفجور: وسقوه الغرور وحصدوا الثبور[89] لا يقاس بآل محمد ســـلى الله عليه وعلى آله من هذه الأمة أحد ولا يسوي بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا هم أساس الدين وعمـــاد اليقـــين إلـــيهم يفـــيء الغالي وبهم يلحق التالي[90] ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة. الآن إذ رجع الحق إلى أهله[91] وقل إلى منتقله.

3

ومن خطبة له وهي المعروف بالشقشقية[92]

أمـــا والله لقـــد تقصمها فلان[93] وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني الســـيل[94] ولا يرقى إلي الطير فسدت دونها ثوبا[95] وطويت عنها كشحا وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء[96] أو أصبر علي طخية عمياء[97] يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقـــى ربـــه[98] فرأيت أن الصبر علي هاتا أحجى[99] فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا[100] أرى تراثي نهبا حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى فلان بعده[101] (ثم تمثل بقول الأعشى)

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر[102]

فـــيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته[103] إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشطر ضرعيها[104] فصـــيرها في حوزة خشناء يغلظ كلامها[105] ويخشن مسها. ويكثر العثار فيها والاعتذار منها فصاحبها كـــراكب الصـــعبة[106] إن أشـــنق لها خرم وإن أسلس لها تقحم فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس[107] وتلون واعتراض فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم

أنـــي أحـــدهم فيا الله وللشورى[108] متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائـــر[109] لكنـــي أســـففت إذ أســـفوا[110] وطرت إذ طاروا فصغى رجل منه لضغنه[111] ومال الآخر لصهره[112] مع هن وهن[113] إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه[114] بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنوا أبيه يخضـــمون مـــال الله خضـــمة الإبل نبتة الربيع[115] إلى أن انتكث فتله وأجهز عليه عمله[116] وكبت به بطنـــته[117] فمـــا راعنـــي إلا والناس كعرف الضبع إلي[118] ينثالون علي من كل جانب حتى لقد وطئ الحســـنان وشـــق عطفـــاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم[119] فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أخـــرى وقســـط آخـــرون[120] كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول "تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يـــريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين" (القصص 83) بلى والله لقد سمعواها ووعوها ولكـــنهم حليت الدنيا في أعينهم[121] وراقهم زبرجها أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة[122] لولا حضور الحاضـــر[123] وقـــيام الحجة بوجود الناصر فما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا مظلوم[124] لألقيت حبلها على غاربها[125] ولسقيت آخرها بكأس أولها ولألفيت دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز[126] (قالوا) وقام إليه رجل من أهل السواد[127] عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا فأقبل ينظر فيه قال له ابن عباس رضي الله عنهما يا أمير المؤمنين لو أطردت خطبتك من حيث أفضـــيت فقال هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة[128] هدرت ثم قرت قال ابن عباس فو الله ما أسفت على كـــرم قـــط كأسفي على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد (قوله : كـــراكب الصـــعبة إن أشـــنق لها وإن أسلس لها تقحم) يريد أنه إذا شدد عليها في جذب الزمام وهي تـــنازعه رأسها خرم أنفها وإن أرخر لها شيئا مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها يقال أشنق الناقة إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه وشنقها أيضا، ذكر ذلك ابن السكيت في إصلاح المنطق وإنما قال أشنق لها ولـــم يقـــل أشنقها لأنه جعل في مقابلة قوله أسلس لها فكأنه عليه السلام قال إن رفع لها رأسها بمعنى أمسكه.

4

ومن خطبة له عليه السلام

بنا اهتديتم في الظلماء وتسنمتم العلياء[129] وبنا انفجرتم عن السرار وقر سمع لم يفقه الواعية[130] وكـيف يراعي النبأة من أصمته الصيحة[131] ربط جنان لم يفابقه الخفقان[132] مازلت أنتظر بكم عواقب الغـدر وأتوسـمكم بحلية المغترين[133] سترني عنكم جلباب الدين[134] وبصرنيكم صدق النية. أقمت لكم علـى سنن الحق في جواد المضلة[135] حيث تلقون ولا دليل وتحتقرون ولا تميهون[136] اليوم أنطق لكم العجماء ذات البيان[137] غرب رأي امرئ تخلف عني[138] ما شككت في الحق مذ أريته لم يوجس موسى علـيه السـلام خيفة على نفسه[139] أشفق من غلبة الجهال ودول الضلال اليوم توافقنا على سبيل الحق والباطل من وثق بماء لم يظمأ.

5

ومن خطبة له عليه السلام
لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله
وخاطب العباس وأبو سفيان بن حرب في أن يبايع له بالخلافة

أيهـا الناس شقوا أمواج الفتن بسفن الناجاة. وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا عن تيجان المفاخـرة[140] أفلـح مـن نهض بجناح[141]. أو استسلم فأراح هذا ماء آجن[142] ولقمة يغص بها آكلها ومجتنـي الثمـرة لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه[143] فإن أقل يقولوا: حرص على الملك وإن أسـكت يقولـوا: جزع من الموت[144] هيهات بعد اللتيا والتي[145] والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفـل بـثدي أمه بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به رضطربتم اضطراب الأرشية في الطوي البعيدة[146].

ومن كلام له أشير عليه بأن لا يتبع طلحة والزبير
ولا يرصد لهما القتال[147]

والله لا أكون كالضبع تنام على طول اللدم[148] حتى يصل إليها طالبها ويختلها راصدها ولكنني أضرب بالمقبل إلى الحق المدبر عنه وبالسامع المطيع العاصي المريب أبدا حتى يأتي علي يومي فوالله مازلت مدفوعا عن حقي مستأثرا علي منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه حتى يؤم الناس هذا.

6

ومن خطبه عليه السلام

اتخـذوا الشـيطان لأمرهم ملاكا[149] واتخذهم له أشراكا فباض وفرخ في صدورهم[150] ودب ودرج في حجورهم[151] فنظر بأعينهم ونطق بألسنتهم فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل[152] فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه ونطق بالباطل على لسانه .

(ومن كلام له عليه السلام يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك)

يــزعم أنه قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه فقد أقر بالبيعة وادعى الوليجة[153] فليأت عليها بأمر يعرف وإلا فليدخل فيما خرج منه.

ومن كلا م له عليه السلام

وقد أرعدوا وأبرقوا ومع هذين الأمرين الفشل ولسنا نرعد حتى نوقع[154] ولا نسيل حتى نمطر.

7

ومن خطبه عليه السلام

ألا وإن الشيطان قد جمع حزبه واتجلب خيله ورجله وإن معي لبصرتي ما لبست علي نفسي ولا لبس علي وأيم الله لا أفرطن لهم حوضا أنا ماتحه[155] لا يصدرون عنه ولا يعودون إليه[156]

ومن كلام له عليه السلام
لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل.

تــزول الجبال ولا تزل. عض على ناجذك[157] أعر الله جمجمتك تد في الأرض قدمك[158] ارم ببصرك أقصى القوم وغض بصرك[159] واعلم أن النصر من عند الله سبحانه.

8

ومن خطبه عليه السلام

لمــا أظفــره الله بأصحاب الجمل وقد قال له بعض أصحابه: وددت أن أخي فلانا كان شاهدنا ليــرى مــا نصرك الله به على أعدائك. فقال له عليه السلام : أهوى أخيك معنا[160] فقال نعم قال فقد شــهدنا ولقد في عسكرنا هذا أقوام في أصلاب الرجال وأرحام النساء سيرعف بهم الزمان[161] ويقوى بهم الإيمان

ومن كلام له عليه السلام في ذم أهل البصرة

كنتم جند المرأة : وأتباع البهيمة[162]. رغا فأجبتم وعقر فهربتم أخلاقكم دقاق[163] وعهدكم شقاق ودينكم نفاق وماؤكم زعاق[164] والمقيم بين أظهركم مرتهن بذنبه. والشاخص عنكم متدترك برحمة من

ربـــه كأني بمسجدكم كجؤجؤ سفينة[165] قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من في ضـــمنها (وفي رواية) وايم الله لتغرقن بلدتكم حتى كأني أنظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينة. أو نعامة جاثمة[166] (وفي رواية) كجؤجؤ طير في لجة بحر. (وفي رواية أخرى) بلادكم أنتم بلاد الله تربة أقربها من الماء وأبعدها من السماء وبها تسعة أعشار الشر المحتبس فيها بذنبه والخارج بعفو الله كأني أنظر إلى قريتكم هذه قد طبقها الماء حتى ما يرى منها إلا شرف المسجد كأنه جؤجؤ طير في لجة بحر.

ومن كلام له عليه السلام في مثل ذلك

أرضـــكم قـــريبة مـــن المـــاء . بعيدة من السماء. خفت عقولكم وسفهت حلومكم فأنتم غرض لنابل[167] وأكلة لآكل وفريسة لصائل.

ومن كلام له عليه السلام

فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان رضي الله عنه[168]

والله لـــو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإماء لرددته فإن في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق[169].

ومن كلامه عليه السلام لما بويع بالمدينة

ذمتـــي بما أقول رهين[170] وأنا به زعيم إن من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات[171] حجـــزته التقوى عن تقحم الشبهات. ألا وإن بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيكم صلى الله عليه وآلـــه[172] والـــذي بعـــثه بالحق لتبلون بلبلة ولتغربلن غربلة سوط القدر[173] حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكـــم أســـفلكم. وليســـبقن ســـابقون كانوا قصروا وليقصرن سباقون كان سبقوا[174] والله ما كتمت وشـــمة[175] ولا كـــذبت كذبة ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم. ألا وإن الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلهـــا وخلعـــت لجمها فتقحمت بهم في النار[176] ألا وإن التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها وأعطوا أزمـــتها فـــأوردتم الجنة. حق وباطل ولكل أهل[177] فلئن أمر الباطل لقديما فعل. ولئن قل الحق فلربما ولعـــل. ولقلما أدبر شيئ فأقبل[178] أقول إن في هذا الكلام الأدنى من مواقع الإحسان مالا تبلغه مواقع الاحسان. وإن حظ العجب منه أكثر من حظ العجب به وفيه مع الحال التي وصفنا زوائد من الفصاحة لا يقـــوم بها لسان. ولا يطلع فجها إنسان[179] ولا يعرف ما أقول إلا من ضرب في هذه الصناعة بحق وجرى فيه على عرق[180]. (وما يعقلها إلا العالمون) (العنكبوت: 43).

9

ومن هذه الخطبة

شغل من الجنة والنار أمامه[181] ساع سريع نجا[182] وطالب بطيئ رجا ومقصر في النار هوى. اليمين والشمال مضلة. والطريق الوسطى هي الجادة[183]. عليها باقي الكتاب وأثار النبوة. ومنها منفذ السنة وإليها مصير العاقبة هلك من إدعى وخاب من إفترى. من أبدى صفحته للحق هلك[184] وكفى بالمرء جهلا أن لا يعرف قدره. لا يهلك على التقوى سنخ أصل[185]. ولا يظمأ عليها زرع قوم فاستتروا ببيوتكم. وأصلحوا ذات بينكم. والتوبة من ورائكم ولا يحمد حامد إلا ربه ولا يلم لائم إلا نفسه.

ومن كلام له عليه السلام
في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل

إن أبغض الخلائق إلى الله رجلان: رجل وكله الله إلى نفسه[186] فهو جائر عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعة. ودعاء ضلالة فهو فتنة لمن افتتن به. ضال عن هدي من كان قبله. مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته. حمال خطايا غيره. رهن بخطيئته[187] ورجل قمش جهلا[188] موضع في جهال الأمة[189] عاد في أغباش الفتنة. عم في عقد الهدنة[190] قد سماه أشباه الناس عالما وليس به. بكر فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر[191] حتى إذا ارتوى من آجن. واكتنز من غير طائل[192] جلس بين الناء قاضيا ضامنا لتخليص ما التبس على غيره[193] فإن نزلت به إحدى المبهمات هيأ لها حشو رثا من رأيه ثم قطع به[194] فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت[195]. لا يدري أصاب أم أخطأ فإن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب. جاهل خباط جهالات. عاش ركاب عشوات[196] لم يعض على العلم بضرس قاطع[197] يذري الروايات إذراء الريح الهشيم[198] لا ملىء والله بإصدار ما ورد عليه . ولا هو أهلا لما فوض إليه[199] لا يحسب العلم في شيء مما أنكره ولا يرى أن من وراء ما بلغ مذهبا لغيره. وإن أظلم أمر اكتتم به[200] لما يعلم من جهل نفسه، تصرخ من جور قضائه الدماء. وتعج منه المواريث[201] إلى الله أشكو من معشر يعيشون جهالا[202] ويموتون ضلالا ليس فيهم سلعة أبوار من الكتاب تلي حق تلاوته[203] ولا سلعة أنفق بيعا ولا أغلى ثمنا من الكتاب إذا حرف عن مواضعه. ولا عندهم أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر.

ومن كلام له عليه السلام
في ذم اختلاف العلماء في الفتيا

ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلافه ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهم[204] فيصوب آراءهم جميعا وإلههم واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد. أفأمرهم الله تعالى بالإختلاف فأطاعوه أم نهاهم عنه فعصوه

أم أنزل الله دينا ناقصا فاستعان بهم على اتمامه. أم كانوا شركاء له . فلهم أنه يقولوا وعليه أن يرضى أم أنزل الله سبحانه دينا تاما فقصر الرسول صلى الله عليه وآله عن تبليغه وأدائه والله سبحانه يقول " (مـــا فـــرطنا في الكتاب من شيء) (الأنعام : 38) فيه تبيان لكل شيء وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضا وأنه لا اختلاف فيه فقال سبحانه (ولو كان من عند الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) (النساء : 82) وإن القرآن ظاهره أنيق[205] وباطنه عميق . لا تفنى عجائبه ولاتنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات إلا به.

ومن كلام له عليه السلام

قالـــه للأشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فقال : يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لك[206] فخفض عليه السلام إليه بصره فقال:

مـــا يـــدريك مـــا علي مما لي عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين. حائك ابن حائك[207]. منافق ابن كافر[208] والله لقد أسرك الكفر مرة والإسلام أخرى[209]. فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك وإن امرأ دل على قومه السيف. وساق إليهم الحتف. لحري أن يمقته الأقرب. ولا يأمنه الأبعد[210].

ومن كلام له عليه السلام

فإنكم لو عانيتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم[211] وسمعتم وأطعتم. ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا. وقريب ما يطرح الحجاب[212] ولقد بصرتم إن أبصرتم وأسمعتم إن يمعتم وهديتم إن اهتديتم بحـــق أقول لكم لقد جاهرتكم العبر[213] وزجرتم بما فيه مزدجر. وما يبلغ عن الله بعد رسل السماء إلا البشر[214].

10
ومن خطبة له عليه السلام

فـــإن الغايـــة أمـــامكم[215] وإن وراءكم الساعة تحدونكم . تخففوا تلحقوا[216] فإنما ينتظر بأولكم آخركم[217] أقول : إن هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه وبعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله بكل كلام لمال به راجحا وبرز عليه سابقا. فأما قوله عليه السلام: تخففوا تلحقوا فما سمع كلام أقل منه مسموعا ولا أكثر محصولا وما أبعد غورها من كلمة. وأنقع نطفتها من حكمة[218]. وقد نبهنا في كتاب الخصائص على عظم قدرها وشرف جوهرها

UNIT - XIV

الـمـلـحـقـات

---

[1] – أي أن همم النظار وأصحاب الفكر وإن علت وبعدت فإنها لا تدركه تعالى ولا تحيط به علما.

[2] – والفطن جمع فطنة. وغوصها: استغراقها في بحر المعقولات لتلتقط در الحقيقة.

[3] – فـرغ مـن الكـلام فـي الذات وامتناعها على العقول إدراكا، ثم هو الآن في تقديس صفاته عن مشابهة الصـفات الحادثـة فكـل صفات الممكن لها في أثرها حد تنقطع إليه كما نجده في قدرتنا وعلمنا مثلا فإن لكل طـورا لا يـتعداه. أما قدرة الله وعلمه فلا حد لشمولها. وكذا يقال في باقي الصفات الكمالية. والنعت يقال لما يتغيـر وصـفاتنا لها نعوت. فحياتنا مثلا لها أطوار من طفولية وصبا وما بعدهما وقوة وضعف وتوسط. وقد رتـنا كـذلك وعلمنا له أدوار نقص وكمال وغموض ووضوح أما صفاته تعالى فهي منزهة عن هذه النعوت وأشباهها ثم هي أزلية أبدية لا تعد الأوقات لوجودها واتصاف ذاته بها ولا تضرب لها الآجال.

[4] – المـيدان: الحـركة، ووتـد بالتخفـيف والتشديد أي ثبت أي سكن الأرض بعد اضطرابها بما رسخ من الصخور الجامدة في أديمها ، وهو يشير إلى أن الأرض كانت مائرة مضطربة قبل جمودها.

[5] – أسـاس الـدين معـرفة الله وهـو قد يعرف بأنه صانع العالم وليس منه بدون تنزيه وهي معرفة ناقصة وكمالهـا التصـديق بـه ذاته بصفته الخاصة التي لا يشركه فيها غيره وهي وجوب الوجود. ولا يكمل هذا التصـديق حتـى يكون معه لازمه وهو النوحيد لأن الواجب لا يتعدد كما عرف في فن الإلهيات والكلام. ولا يكمـل التوحيد إلا بتمحيض السر له دون ملاحمة لشيء من شؤون الحوادث في التوجه إليه واستشراق نوره، ولا يكـون هذا الإخلاص كاملا حتى يكون معه نفي الصفات الظاهرة في التعينات المشهودة في المشخصات، لأن معـرفة الـذات الأقدس في نحو تلشك الصفات اعتبار للذات ولشيء آخر مغاير لها معها فيكون قد عرف مسـمى الله مؤلفا لا متوحدا، فالصفات المنفية والإخلاص صفات المصنوعين وإلا فللإمام كلام قد ملئ بصفاته سبحانه، بل هو في هذا الكلام يصفه أكمل الوصف

[6] – جهلـه: أي جهل أنه منزه عن مشابهة الماديات مقدس مقدس عن مضارعة المركبات وهذا الجهل يستلزم القول بالتشخيس الجسماني وهو يستلزم صحة الإشارة إليه تعالى الله عن ذلك.

[7] – إنمـا يشير إلى شيء إذا كان منك في جهة فأنت تتوجه إليها بإشارتك وما كان في جهة فهو منقطع عن غيـرها فيكون محدوداأي له طرف ينتهي إليه فمن أشار إليه فقد حده ومن حده فقد عد أي أحصى وأحاط بذلك المحـدود لأن الحد حاصر لمحدوده وإذا قلت لشيء فيم هو فقد جعلته في ضمن شيء ثم تسأل عن تعيين ذلك الذي تضمنه وإذا قلت على أي شيء فأنت ترى أنه مستعل على شيء بعينه وما عداه خال منه.

[8] – الحـدث الإبـداء أي هوموجود لكن لا عن إبداء وإيجاد موجد والفقرة الثانية لازمة لهذه لأنه إن لم يكن وجوده عن إيجاد موجد فهو غير مسبوق الوجود بالعدم.

[9] – المزايلة = المفارقة والمباينة

[10] – أي بصير بخلقه قبل وجودهم

[11] – العـادة والعرفة على أنه لا يقال متوحد إلا لمن كان له من يستأنس بقربه ويستوحش لبعده فانفرد عنه والله متوحد مع التنزه عن السكن.

[12] – الروية: الفكر، وأجالها: أدارها ورددها وفي نسخة أحالها بالمهملة أي صرفها.

[13] – همامة التفس: بفتح الحهاء اهتمامها بالأمر وقصدها إليه.

[14] – حـولها مـن العدم إلى الوجود في أوقاتها، أو هو من حال في متن فرسه أي وثب وأحاله غيره أوثبه ومن أقر الأشياء في أحيانها صار كمن أحال غيره على فرسه.

[15] – كما قرن النفس الروحانية بالجسد المادية.

[16] – الغرائز: جمع غريزة وهي الطبيعة. وغرز الغرائز كضوء الأضواء أي جعلها غرائزها والمراد أودع فيها طبائعها

[17] – الضـمير فـي أشـباحها للغرائز أي ألزم الغرائز أشباحها أي أشخاصها لأن كل مطبوع على غريزة لازمته فالشجاع لا يكون خورا مثلا.

[18] – جمـع حنو بالكسر أي الجانب، أو ما اعوج من الشيء بدنا كان أو غيره كناية عما خفي أو من قولهم أحناء الأمور أي مشتبهاتها وقرائنها ما يقترن بها من الأحوال المتعلقة بها والصادرة عنها.

[19] – التـرتيب والترخـي فـي قول الإمام لا في الصنع الإلهي كما لا يخفى والأجواء: جمع جو وهو هذا الفضـاء العالي بين السماء والأرض واستفيد من كلامه أن الفضاء مخلوق وهو مذهب قوم كما استفيد منه أن الله خلـق في الفضاء ما حمله على متن ريح فاستقل عليها حتى صارت مكانا له ثم خلق فوق ذلك الماء ريحا أخـرى سلطها عليه فموجته تمويجا شديدا حتى ارتفع فخلق منه الجرام العليا وإلى هذا يذهب قوم من الفلاسفة منهم تالسين الإسكندري يقولون: أن الماء أي الجوهر السائل أصل كل الأجسام كثيفها من متكاثفة ولطيفها من شفائه والرجاء: الجوانب واحدها رجا كعصا.

[20] – السكائك جمع سكاكة بالضم وهي الهواء

[21] – التـيار: الموج والمتراكم: ما يكون بعضه فوق بعض، والزخار: الشديد الزخر أي الامتداد والارتفاع والـريح العاصـفة الشـديدة الهـبوب كأنها تلك الناس بشدة هبوبها وكذلك الزعزع كأنها تزعزع كل ثابت وتقصف: تحطم كل قائم.

[22] – مـنعه من الهبوط لأن الماء ثقيل وشأن الثقيل الهوى والسقوط وسلطها على شده أي وثاقه كأنه سبحانه أوثقه بها أو منعه من الحركة إلى السفلى التي هي من لوازم طبعه وقرنها إلى حده أي جعلها مكانا له أي جعل حـد المـاء المذكـور وهو سطحه السفل مماسا لسطح الريح التي تحمله أو أراد من الحد المنع أي جعل من لوازمها ذلك.

[23] – الفتيق = المفتوق، والدفيق = المدفوق.

[24] – جعـل هبوبها عقيما، والريح العقيم التي لا تلقح سحبا ولا شجرا وكذلك كانت هذه لأنها أنشأت لتحريك المـاء ليس غير، والمرب ميمي من أرب بالمكان مثل ألب به أي لازمه فأدام مربها أي ملازمتها ، أو أن أدام من أدمت الدلو ملأتها والمرب بكسر أو له المكان والمحل.

[25] – تصـفيقه: تحريكه وتقليبه، ومخصته: حركته بشدة كما يمخض السقاء بما فيه من اللبن ليستخرج زبده، والسـقاء جلـد السـخلة يجـذع فيكون وعاء للبن والماء جمعه أسقية وأسقيات وأساق. وعصفت به الريح إذا عصـفت بالفضاء الذي لا أجسام فيه كانت شديدة لعدم المانع وهذه الريح عصفت بهذا الماء ذلك العصف الذي يكون لها لو لم يكن مانع.

[26] – السـاجي: الساكن، المائر: الذي يذهب ويجيء أو المتحرك مطلقا، وعب عبابه: ارتفع علاه وركامه: أثبت وهضبته وما تراكم منه بعضه علة بعض.

[27] – المنفهق: المفتوح الواسع.

[28] – المكفوف: الممنوع من السيلان ويدعمها أي يسندها ويحفظها من السقوط.

[29] – الدسار: واحد الدسر وهي المسامير او الخيوط تشد بها ألواح السفينة من ليف ونحوه.

[30] – الثواقب المنيرة المشرقة

[31] – مستطيرا: منتشر الضياء وهو الشمس.

[32] – الرقيم: اسم من أسماء الفلك، سمي به لأنه مرقوم بالكواكب. ومائر: متحرك ويفسر الرقيم باللوح وشبه الفلك باللوح لأنه مسطح فيما يبدو للنظر.

[33] – جعل الملائكة أربعة أقساما الأول: أرباب العبادة ومنهم الراكع والساجد والصاف والمسبح وقوله صافون أي قائمون صفوفا، لا يتزايلون أي لا يتفارقون والسم الثاني: الأمناء على وحي الله لأنبيائه والسنة الناطقة في أفواه رسه والمختلفون بالأقضية إلى العباد، بهم يقضي الله على من شاء بما شاء والقسم الثالث: حفظة العباد كأنهم قوى مودعة في أبدان البشر ونفوسهم يحفظ الله الموصولين بها من المهالك والمعاطب ولولا ذلك لكان العطب ألصق بالإنسان من السلامة. ومنهم سدنة الجنان جمع سادن وهو الخادم، والخادم يحفظ ما عهد إليه وأقيم على خدمته. والقسم الرابع: حملة العرش كأنهم القوة العامة التي أفاضها الله في العالم الكلي فهي الماسكة له الحافظة لكل جزء منه مركزه وحدوده مسيره فيمداره فهي المخترقة له النافذة فيه الآخذة من أعلاه إليه أسفله إلى أعلاه، وقوله المارقة من السماء: المروق = الخروج وقوله : الخارجة من الأقطار أركانهم: الأركان الأعضاء والجوارح، والتمثيل في الكلام لا يخفى على أهل البصائر.

[34] – الضمير في دونه للعرش كالضمير في تحته، ومتلفعون: من تلفعت بالثوب إذا التحفت به.

[35] – الحزن بفتح فسكون: الغليظ الخشن، والسهل ما يخالفه، والسبخ ما ملح من الرض وأشار باختلاف الأجزاء التي جبل منها الإنسان إلى أنه مركب من طباع مختلفة وفيه استعداد للخير والشر والحسن والقبيح.

[36] – سن الماء: صبه والمراد صب عليها وأو سنها هنا بمعنى ملسها، وقوله حتى خلصت أي صارت طينة خالصة وفي بعض النسخ حتى خضلت بتقديم الضاد المعجمة على اللام أي ابتلت ولعلها أظهر، لاطها: خلطها وعجنها أو هو من لاط الحوض بالطين ملطه وطينه به. والبلة: بالفتح من البلل ولزب: ككرم تداخل بعضه في بعض وصلب، ومن باب نصر بمعنى التصق وثبت واشتد.

[37] – الأحناء جمع حنو وهو بالكسر والفتح كل ما فيه اعوجاج من البدن كعظم الحجاج واللحى والضلع أو هي الجوانب مطلقا وجبل = خلق.

[38] – أصلدها: جعلها سلبة ملساء متينة وصلصلت: يبست حتىكانت تسمع لها صلصلة إذا هبت عليها رياح وذلك هو الصلصال واللام في قوله لوقت متعلة بمحذوف كأنه قال حتى يبست وجفت معدة لوقت معلوم، ويمكن أن تكون متعلقة بجبل أي جبل من الأرض هذه الصورة ولا يزال يحفظها لوقت معدود ينتهي بيوم القيامة.

[39] – مثل ككرم قام منتصبا والأذهان: قوى التعقل، ويجيلها: يحركها في المعقولات.

[40] – يختدمها يجعلها في مأربه وأوطاره كالخدم الذين تستعملهم في خدمتك وتستعملهم في شؤونك، والأدوات: جمع أداة وهي الآلة، وتقليبها: تحريكها في العمل بها فيما خلقت له.

[41] – معجونا: صفة إنسان والألوان المختلفة الضروب والفنون وتلك الألوان هي التي ذكره من الحر والبرد والبلة والجمود.

[42] – استأدى االملائكة وديعته طلب منها أداءها. والوديعة هي عهده إليهم بقوله " إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين" (ص:71، 72) ويروي الخنوع ببالنون بدل الخشوع وهو بمعتنى الخضوع، فقال اسجدوا إلخ عطف على استأدى.

[43] – الشقوة بكسر الشين وفتحها ما حتم عليه من الشقاء ضد السعادة وهو النصب الدائم والألم الملازم. وتعززه بخلقة النار استكباره مقدار نفسه بسبب أنه خلق من جوهر لطيف ومادة أعلى من الصلصال. والصلصال: الطين الحر خلط بالرمل أو الطين ما لم يجعل خزفاز والمراد من الصلصال هنا مادة الأرض التي خلق آدم عليه السلام منها. وجوهر ما خلق منه الجن وهم من الجواهر اللطيفة – أعلى من جوهر ما خلق الإنسان وهو مجبول من عناصر الأرض. والنظرة: بفتح فكسر الإنتظار به حيا ما دام الإنسان عامرا

لـلأرض متمتعا بالوجود فيكون من الشيطان في هذا الأمد ما يستحق به سخط الله وما تتم به بلية الشقاء عليه ويكون الله جل شأنه قد أنجز وعده في قوله " إنك من المنظرين".

44 – إغتر آدم عدوه الشيطان أي انتهز منه غرة فأغواه وكان الحامل للشيطان على غواية آدم حسده له على الخلود في دار المقام ومراقته الأبرار من الملائكة الأطهار.

45 – أدخـل الشـيطان علـيك الشك في أن تناول منه سائغ التناول بعد أن كان في نهي الله له عن تناول ما يـوجب له اليقين بحظره عليه وكانت العزيمة في الوقوف عند ما أمر الله فاستبدل بها الوهن الذي أفضي إلى المخالفـة. والجـذل: بالتحـريك الفرح وقد كان في راحة المن بالإخبات إلى الله وامتثال الأمر فلما سقط في المخالفـة تـبدل ذلـك بالـوجل والخوف من حلول العقوبة وقد ذهبت عنه الغرة وانتبه إلى عاقبة ما اقترف فاستشعر الندم بعد الاغترار.

46 – أهبطه من مقام كان الإلهام الإلهي لانسياق قواه إلى مقتضى الفطرة السليمة الأولى إلى مقر قد خلط له فـيه الخيـر والشـر واخـتط له فيه الطريقان ووكل إلى نظره العقلي والتلى بالمييز بين النجدين واختيار أي الطريقين، وهو العناد الذي تكدر به صفو هذه الحياة على الآدميين.

47 – تناسل الذرية من خصائص تلك المنزلة الثانية التي أنزل الله فيها آدم وهو مما ابتلى به الإنسان امتحانا لقوته على التربية واقتداره على سياسة من يعولهم والقيام بحقوقهم وإلزامهم بتأدية ما يحق عليهم.

48 – أخـذ علـيهم الميـثاق أن يـبلغوا ما أوحي إليهم ويكون ما بعده بمنزلة التأكيد له أو أخذ عليهم أن لا يشرعوا للناس إلا ما يوحى إليهم.

49 – عهد الله إلى الناس هو ما سيأتي يعبر عنه بميثاق الفطرة.

50 – الأنداد: الأمثال وأراد المعبودين من دونه سبحانه وتعالى.

51 – اجتالـتهم: بالجـيم: صرفتهم عن قصدهم الذي وجهوا إليه بالهداية المغروزة في فطرتهم. وأصله من الوران كأن الذي يصرفك عن قصدك ويصرفك تارة هكذا وأخرى هكذا.

52 – واتر إليهم أنبياءه: أرسلهم وبين كل نبي ومن بعده فترة لا بمعنى أرسلهم تباعا بعضهم يعقب بعضا.

53 – كـان الله تعالـى بما أودع في الانسان من الغرائز والقوى وبما أقام له من الواهد وأدلة الهدى قد أخذ علـيه ميـثاقا بـأن يصرفك ما أوتي من ذلك فيما خلق له وقد كان يعمل على ذلك الميثاق ولا ينقضه لولا ما اعترضه من وساوس الشهوات فبعث إليه النبيين ليطلبوا من الناس أداء ذلك الميثاق أي ليطالبوهم مما تقتضيه فطرتهم وما ينبغي لأن تسوقهم إليه غرائزهم.

54 – دفـائن العقـول: أنـوار العـرفان التي تكشف للانسان أسرار الكائنات وترتفع به إلى الإيقان بصانع الموجـودات، وقـد يحجب هذه الأنوار غيوم من الأوهام وحجب من الخيال فيأتي النبيون لإثارة تلك المعارف الكامنة وإبراز تلك الأسرار الباطنة.

55 – السقف المرفوع = السماء، والمهاد الموضوع = الأرض، والأوصاب = المتاعب.

56 – المحجة = الطريق القويم الواضحة.

57 – من سابق بيان للرسل، وكثير من الأنبياء السبقين سميت لهم الأنبياء الذين يأتون بعدهم فبشروا بهم كما ترى ذلك في التوراة والغبر: الذي يأتي بعد أن يشير به السابق جاء معروفا بتعريف من قبله.

58 – نسلت بالبناء للمجهول: ولدت وبالبناء للفاعل: مضت متتابعة.

59 – الضمير في عدته لله تعالى لأن الله وعد بإرسال محمد (ص) على لسان أنبيائه السابقين وكذلك الضمير فـي نبوته لأن الله تعالى أنبأ به وأنه سيبعث وحيا لأنبيائه فهذا الخبر الغيبي قبل حصوله يسمى نبوة. ولما كان الله هو المخبر له أضيفت النبوة إليه.

60 – سماته: علاماته التي ذكرت في كتب الأنبياء السابقين الذين بشروا به.

61 – الملحـد في اسم الله: الذي يميل به ع حقيقة مسماه فيعتقد في الله صفات يجب تنزيهه عنها غيره: الذي يشرك معه في التصرف إلها آخر فيعبده ويستعينه.

62 – أي الأنبـياء لم يهملوا أممهم مما يرشدهم بعد موت أنبيائهم وقد كان من محمد (ص) فإنه خلف في أمته كتاب الله تعالى حاويا لجميع ما يحتاجون إليه في دينهم.

63 – حلالـه كالأكـل مـن الطيبات وحرامه: كأكل أموال الناس بالباطل وفرائضه كالزكاة، وفضـائله" كنوافل الصدقات التي يعظم لأجر فيها ولا حرج في التقصير عنها وناسخه ما جاء كـان عليه الضالون من العقائد أو إزالة السابق من الأحكام كقوله تعالى " قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما علـى طـاعم يطعمه" (النعام 146) ورخصه كقوله تعالى "فمن اضطر في مخمصة (المائدة 3) غير متجانف لإثم" كقوله "لا تأكلو مما لم يذكر اسم الله عليه" (النعام – 121) وخاصة كقوله"يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك" (التحـريم – 1) وعامـة كقوله " يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهم" (الطلاق – 1) وكالآيات التـي تخبـر عمـا أصاب الأمم الماضية من النكال ونزل بهم العذاب لم حادوا عن الحق وركبوا الظلم والعـدوان، والأمثال كقوله "ضرب الله مثلا عبدا مملوكا" (النحل – 75) وقوله "كمثل الذي استوقد نارا" (البقرة – 17) وأشـباه ذلـك كثير والمرسل = المطلق، والمدود = المقيد، والمحكم كآيات الأحكام والآيات الصريحة فـي معانـيها والمتشاب كقوله " يد الله فوق أيديهم" (الفتح – 10) والموسع على العباد في جنس الحروف المفتتحة بها السور نحو آلم والر. والمثبت في الكتاب فرضه مع بيان السنة لنسخه كالصلاة فإنها عرفت على الـذين مـن قبلـنا غير أن السنة بينت لها الهيئة التي إختصنا بها الله وكفلنا أن نؤدي الصلاة على ما في الكـتاب وتبيين نسخه لما كان قبله في السنة، والمرخص في الكتاب تركه: مالم يكن منصوصا عليه في ذكـر فـي الكـتاب مـا يشـتمله وغيره كقوله"فاقرؤو ما تيسر منه" (المزمل – 20) وقد جعلت السورة مخصوصة في كل ركعة فوجب الأخذ عينته السنة ولو بقينا عند مجمل الكتاب كان لنا أن نقرأ بالفاتحة جوازا لا مؤاخذة معه. والواجب بوقته الزائل في مستقبله: كصوم رمضان يجب في وقته ولا يجب في غيره.

64 – ومـباين بين محارمه بالرفع لا بالجر خبر لمبتدأ محذوف أي والكتاب قد خولف في حظـرها فمـنها كبيـر أو عد عليه نيرانه كالزنا وقتل النفس، ومنها صغير أرصد له غفرانه كالقبلة ونحوها.

65 – رجـوع إلـى تقسـيم الكتاب والمقبول في أدناه الموسع في أقصاه كما في كفارة اليمين بإطعام عشرة مساكين وموسع في كسوتهم عتق الرقبة.

66 – يألهون إليه: أي يفزعون إليه أو يلوذون له ويعكفون عليه.

67 – الوفادة = الزيارة.

68 – صـفين : كسـجين محلـة عدها الجغرافيون من بلاد (ما بين الفرات والدجلة) والمورخون العرب عدوها من أرض سوريا وهي اليوم في ولاية حلب الشهباء وهذه الولاية كانت من أعمال سوريا.

69 – وأل – يئل : خلص.

70 – الضمير في فإنه : للحمد المفهوم من أحمده.

71 – مصاص كل شيء : خالصه.

72 – الأهاويل : جمع أهوال جمع هول فهي جمع الجمع.

73 – مدحرة الشيطان : أي تبعده وتطرده.

74 – العلم بالتحريك ما يهتدي به وهو هنا الشريعة الحقة. والمأثور: المنقول عنه.

75 – المـثلات : بفـتح فضم العقوبات جمع مثلة بضم الثاء وسكونها بعد الميم وجمعها مثلات وقد تسكن ثاء الجمع تخفيفا.

[76] – انجذم – انقطع.

[77] – السواري : جمع سارية العمود والدعامة.

[78] – النجـر : بفتح النونوسكون الجيم الأصل أي اختلفت الأصول فكل يرجع إلى أصل يظنه مرجع حق وما هو من الحق في شيء.

[79] – مصـادرهم فـي أوهامهم وأهوائهم مجهولة غير معلومة خفية غير ظاهرة فلا عن بينة يعتقدون ولا إلى غاية صالحة ينزعون.

[80] – انهـارت : هـوت وسقطت والدعائم: جمع دعامة وهي ما يستند إليه الشيء ويقوم عليه. ودعامة السقف مثلا ما يرتفع عليه من الأعمدة.

[81] – التنكر : التغير من حال تسر إلى حال تكره أي: تبدلت علاماته وآثاره بما أعقب السوء وجلب المكروه.

[82] – درسـت: كاندرسن أي انطمست والشرك: قال بعضهم : جمع شراك ككتاب وهي الطريق الذي يفهم من القاموس أنها بفتحات جواد الطريق أو ما لا يخفى عليك ولا يستجمع لك من الطرق اسم جمع لا مفرد له من لفظه. وعفت: بمعنى درست.

[83] – المناهل : جمع منهل وهو مورد الشاربة من النهر.

[84] – الأظـلاف : جمع ظلف بالكسر للبقر والشاء وشبههما كالخف للبعير والقدم للإنسان السنابك : جمع سنبك كقنفذ طرف الحافر.

[85] – خيـر دار : هي المكة المكرمة. وشر الجيران: عبدة الأوثان من قريش وقوله نومهم سهود إلخ كما تقول فلان جوده بخل وأمنه مخافة فهم في أحداث أبدلتهم النوم بالسهر والكحل بالدمع. والعالم ملجم لأنه لو قال حقا والجمهور على الباطل لا نتاشوه ونهشوه والجاهل مكرم لأنه على شاكلة العامة مشاييع لهم في أهوائهم فمنزلته عـندهم منزلة أوهامهم وعاداتهم وهي في المقام الأعلى من نفوسهم. وهذه الأوصاف كلها لتصوير حال الناس في الجاهلية قبل بعثة النبي (ص) .

[86] – اللجأ : محركة الملاذ وما تلتجئ إليه كالوزر محركة ما تعتصم به.

[87] – العيبة : بفتح العين الوعاء والموئل: المرجع أي أن حكمه وشرعه يرجع إليهم وهم حفاظ كتبه يحوونها كمـا تحوي الكهوف والغيران ما يكون فيها والكتب : القرآن وجمعه لأنه فيما حواه كجملة ما تقدمه من الكتب ويزيد عليها ما خص الله به هذه الأمة.

[88] – كنى بانحناء الظهر عن الضعف وباقامته عن القوة وبهم آمنه من الخوف الذي ترعد منه الفرائض.

[89] – جعـل مـا فعلوا من القبائح كزرع زرعوه وما سكنت إليه نفوسهم من الإمهال واغترارهم بذلك بمنزلة السقي فإن الغرور يبعث على مداومة القبيح والزيادة فيه ثم كانت عاقبة أمرهم هذا الثبور وهو الهلاك.

[90] – يـريد أن سـيرتهم صـراط الدين المستقيم فمن غلا في دينه وتجاوز بالإفراط حدود الجادة فانما نجاته بالـرجوع إلـى سيرة آل النبي وتفيؤ ظلال أعلامهم . وقوله: وبهم يلحق التالي يقصد به أن المقصر في عمله المتباطـئ في سيره الذي أصبح وقد سبقه السابقون إنما يتسنى له الخلاص بالنهوض ليلحق بآل النبي ويحذو حذوهم.

[91] – الآن : ظرف متعلق برجع وإذ زائدة للتوكيد سوغ ذلك ابن هشام في نقله عن أبي عبيدة أو أن إذ للتحقيق بمعنى : قد كما نقله بعض النحاة.

[92] – لقوله : فيها أنه شقشقة هدرت ثم قرت كما يأتي.

[93] – الضمير يرجع إلى الخلافة . وفلان : كناية عن الخليفة الأول أبي بكر رضي الله عنه.

[94] – تمثـيل لسمو قدره كرم الله وجهه وقربه من مهبط الوحي وأن ما يصل إلى غيره من فيض الفضل فإنما يـتدفق من حوضه ثم ينحدر عن مقامه العالي فيصيب منه من شاء الله وعلى ذلك قوله ولا يرقى إلخ غير أن الثانية أبلغ من الأولى في الدلالة على الرفعة.

95 – فسـدت إلخ: كناية عن غض نظره عنها. وسدل الثوب: أرخاه وطوى عنها. كشحا: مال عنها. وهو مثل لأن من جاع فقد طوى كشحه ومن شبع فقد ملأه فهو قد جاع عن الخلافة أي لم يلتقمها.

96 – وطفقت إلخ: بيان لعلة الإغضاء. والجذاء بالجيم والذال المعجمة والدال المهملة وبالحاء المهملة مع الذال المعجمة بمعنى المقطوعة ويقولون: رحم جذاء أي توصل وسن جذاء : أي متهتمة والمراد هنا ليس ما يؤيدها كأنه قال: تفكرت في الأمر فوجدت الصبر أولى فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا.

97 – طخية : بطاء فخاء بعدها ياء ويثلث أولها أي ظلمة. ونسبة العمى إليها مجاز عقلي. وإنما يعمى القائمون فيها إذ لا يهتدون إلى الحق وهو تأكيد لظلام الحال واسودادها.

98 – يكدح : يسعى سعي المجهود.

99 – أحجى : ألزم من حجى به كرضي أولع به ولزمه منه هو حجي بكذا أي : جدير وما أحجاه وأحج به أي أخلـق بـه وأصله من الحجا بمعنى العقل فهو أحجى أي أقرب إلى العقل. وهاتا بمعنى هذه أي رأى الصبر على هذه الحالة التي وصفها أولى بالعقل. من الصلة يلا نصير.

100 – الشجا: ما اعترض في الحق من عظم نحوه والتراث : الميراث.

101 – أدلى بها: ألقى بها إليه.

102 – الكور بالضم: الرحل أو هو مع أداته. والضمير راجع إلى الناقة المذكورة في الأبيات قبل في قوله:

وقد أسلى الهم إذ يعتري بجسرة دوسرة عاقر

والجسـر: العظيم من الإبل. والدوسرة: الناقة الضخمة وحيان : كان سيدا في بني حنيفة مطاعا فيهم وكان ذا خطوة عند ملوك فارس وله نعمة واسعة ورفاهية وافرة وكان الأعشى يناديه والأعشى هذا هو الأعشى الكبير أعشى قيس وهو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل. وأول القصيدة:

علقم ما أنت إلى عامر الناقض الأوتار والواتر

وجابـر أخـو حيان أصغر منه ومعنى البيت: أن فرقا بعيدا بين يومه في سفره وهو على كور ناقته وبين يوم حـيان في رفاهية فإن الأول كثير العناء شديد الشقاء والثاني وافر : النعيم وافي الراحة ويتلو هذا البيت أبيات منها :

في مجدل شيد بنيابه يزل عنه ظفر الطائر ما يجعل الجد الظنون الذي

جنب صوب اللجب الماطر مثل الفراتي إذ ما طما يقذف بالبوصي والماهر

(المجدل كمنبر القصر . والجد بضم أوله: البئر القليلة الماء والظنون: البئر لا يدري أفيها ماء أم لا . واللجب : المـراد مـنه السحاب لاضطرابه وتحركه. والفراتي: الفرات. وزيادة الياء للمبالغة. والبوصي: ضرب من السفن معرب بوزي والماهر السابح المجيد) ووجه تمثل الإمام بالبيت ظاهر بأدنى تأمل.

103 – رووا أن أبـا بكـر قال بعد البيعة: أقيلوني فلست بخيركم. وأنكر الجمهور هذه الرواية والمعروف عنه وليتكم ولست بخيركم.

104 – لشـدة مـا تشطر ضرعيها: جملة شبه قسمية اعترضت بين المتعاطفين. فالفاء في فصيرها عطف على عقـدها. وتشـطر مسـند إلى ضمير التثنية وضرعها تثنية ضرع وهو للحيوانات مثل الثدي للمرأة. قالوا: إن للـناقة فـي ضـرعها شطرين كل خلفين شطر ويقال شطر بناقته تشطيرا صر خلفين وترك خلفين. والشطر أيضـا: أن تحلب شطرا وتترك شطرا فتشطرا أي أخذ كل منهما شطرا سمي شطري الضرع ضرعين مجازا وهـو هنا أبلغ أنواعه حيث إن من ولى الخلافة لا ينال الأمر إلا تاما ولا يجوز أن يترك لغيره سهما. فأطلق علـى تـناول الأمر واحدا بعد واحد اسم التشطر والاقتسام كأن أحدهما ترك منه شيئا للآخر وأطلق على كل شطر اسم الضرع نظرا لحقيقة ما نال كل.

الضـــم : الأرض الغليظة وفي نسخة كلمها إنما هو بمعنى الجرح كأنه يقول خشونتها تجرح

من الابل : ما ليست بذلول. واشنق البعير وشنقه: كفه بزمامه حتى ألصق ذفراه (العظم الناتئ
إدامة الرحل أو رفع رأسه وهو راكبه واللام هنا زائدة للتحلية ولتشاكل أسلس. وأسلس: أرخى
نفسه في القحمة أي الهلكة وسيأتي معنى هذه العبارة في الكتاب وراكب الصعبة إما أن يشنقها
فيجره إلى أن يسلس لها فترمي به في مهواة تكون فيها هلكته.

: ابتلوا وأصيبوا. والشماس: بالكسر إباء ظهر الفرس عن الركوب والنفار . والخبط: السير
والتلون : التبدل والاعتراض السير على غير خط مستقيم كأنه يسير عرضا في حال سيره
عرضي يعترض في سيره لأنه لم يتم رياضته وفي فلان عرضية أي عجرفة وصعوبة.

القصـــة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما دنا أجله وقرب مسيره إلى ربه استشار فيمن
يوليه من بعده فأشير إليه بابنه عبد الله فقال: لا يليها أي الخلافة اثنان من ولد الخطاب حسب عمر ما
ان يكـــل الأمر إلى ستة قال : إن نبي سلى الله عليه وسلم مات وهو راض عنهم وإليهم بعد
بنرا واحدا منهم يقوم بأمر المسلمين والستة رجال الشورى هم : علي بن أبي طالب وعثمان بن
بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمان بن عوف وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم
بني عم عبد الرحمان كلاهما من بني زهرة وكان في نفسه شيء من علي كرم الله وجهه من
قبل أنه لأن أمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد الشمس ولعلي في قتل صناديهم ما هو مشهور. وعبد
الرحمان صهرا لعثمان لأن زوجته أم كلثوم بنت عقبة بن أبي سفيان كانت أختا لعثمان من أمه. وكان
بين عثمان لصلات بينهما على ما ذكره بعض رواة الأثر وقد يكتفي في ميله إلى عثمان انحرافه عن
علي وقد كان بين بني هاشم وبن تيم مواجدا لمكان الخلافة في أبي بكر وبعد موت عمر بن الخطاب
رضي اجتمعوا وتشاوروا فاختلفوا وانضم طلحة في الرأي إلى عثمان والزبير إلى علي وسعد إلى عبد
الرحمان وكان عمر قد أوصى بأن لا تطول مدة الشورى فوق ثلاثة أيام وأن لا يأتي الرابع إلا ولهم أمير
وقال كن خلاف فكونوا مع الفريق الذي فيه عبد الرحمان فأقبل عبد الرحمان على علي وقال عليك عهد
الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده فقال علي: أرجوا أن أفعل وأعمل مبلغ
علمي وطاقتي ثم دعا عثمان وقال له مثل ذلك فأجاب بنعم فرفع عبد الرحمان رأسه إلى سقف المسجد حيث
كان أبو طلحة وقال : اللهم اسمع واشهد اللهم إني جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان وصفق بيده
في يده وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين وبايعه. قالوا: وخرج الإمام علي واجدا فقال المقداد بن
الرحمان: والله ما تركت عليا وإنه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون فقال يا المقداد تقصيت
فقال المقداد والله إني لأعجب من قريش إنهم تركوا رجالا ما أقول ولا أعلم أن رجلا أقضى
بالعدل منه فقال عبد الرحمان : يا مقداد إني أخشى عليك الفتنة فاتق الله ثم لما حدث في عهد
عثمان من قيام الأجداث من أقاربه على ولاية الأمصار ووجد عليه كبار الصحابة روي أنه قيل لعبد
الرحمان ما هذا عمل يديك فقال: ما كنت أظن هذا به ولكن الله علي أن لا أكلمه أبدا. ثم مات عبد الرحمان وهو
مهاجر حتى قيل إن عثمان دخل عليه في مرضه يعوده فتحول إلى الحائط لا يكلمه والله أعلم والحكم
لله فيما بينهم.

بعضهم بعضا دونه.

دنا من الأرض يريد أنه لم يخالفهم في شيء.

مال والضغن : الضغينة يشير إلى سعد.

عبد الرحمان.

أغراض آخر يكر ذكرها.

عثمان وكان ثالثا بعد انضمام كل من طلحة والزبير وسعد إلى صاحبه كما تراه في خبر
حضنيه : رافعا لهما. والحضن: ما بين الإبط والكشح. يقال للمبتكر: جاء نافجا حضنيه وقال

مـــثله لمن امتلأ بطنه طعاما والنثيل: الروث. والمعتلف: من مادة علف موضع العلف وهو معروف أي لا هم لهم له إلا ما ذكر.

115 – الخضم: على ما في القاموس الأكل أو بأقسى الأضراس أو ملء الفم بالمأكول أو خاص بالشيء الرطب والقضم: الأكل بأطراف الأسنان أخف من الخضم والنبتة: بكسر النون كالنبات في معناه.

116 – انتكث فتله : انتفض. وأجهز عليه عمله : تمم قتله تقول: أجهزت على الجريح وذففت عليه

117 – البطـــنة: بالكســـر البطر والأشر والكظة (أي التخمة) والإسراف في الشبع وكبت به من كبا الجواد إذا سقط لوجهه.

118 – عرف الضبع: ما كثر على عنقها من الشعر وهو ثخين يضرب به المثل في الكثرة والازدحام وينثالون: يتـــتابعون مـــزدحمين والحسنان: ولداه الحسن والحسين وشق عطفاه: خدش جانباه من الاصطكاك وفي رواية شق عطافي والعطاف الرداء وكان هذا الازدحام لأجل البيعة على الخلافة

119 – ربيضة الغنم : الطائفة الرابضة من الغنم يصف ازدحامهم حوله وجثومهم بين يديه.

120 – الناكثة : أصحاب الجمل والمارقة: أصحاب النهروان والقاسطون: الجائرون أصحاب الصفين.

121 – حليت الدنيا: من حليت المرأة إذا تزينت بحليها والزبرج : الزينة من وشي أو جوهر.

122 – النسمة: محركة الوح وبرأها : خلقها.

123 – من حضر لبيعته ولزوم البيعة لذمة الإمام بحضوره.

124 – والناصر: الجيش الذي يستعين به على إلزام الخارجين بالدخول في البيعة الصحيحة والكظة: ما يعتري الآكـــل مـــن إمـــلاء الـــبطن بالطعام والمراد استئثار الظالم بالحقوق والسغب : شدة الجوع والمراد منه هضم حقوقه.

125 – الغارب : الكاهل والكلام تمثيل للترك وإرسال اللأمر.

126 – عفطـــة العنز: ما تنثره من أنفها كالعطسة عفطت تعفط من باب ضرب غير أن أكثر ما يستعمل ذلك في النعجة والأشهر في العنز النفطة بالنون يقال ما له عافط ولا نافط أي نعجة ولا عنز كما يقال ما له ثاغية ولا راغية والعفطة: الحبقة أيضا لكن الأليق بكلام أمير المؤمنين هو ما تقدم.

127 – الســـواد : العراق وسمي سوادا لخضرته بالزرع والأشجار والعرب تسمي الأخضر أسود قال الله تعالى (مدهامتان) (الرحمان: 64) يريد الخضرة كما هو ظاهر.

128 – الشقشـــقة : بكســـر فســـكون فكسر شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج. وصوت البعير بها عند إخراجها هدير ونسبة الهدير إليها نسبة إلى الآلة قال في القاموس : والخطبة الشقشقة العلوية وهي هذه.

129 – تســـنمتم العلـــياء : ركبـــتم سنامها وارتقيتم إلى أعلاها. والسرار : كسحاب وكتاب آخر ليلة من الشهر يختفـــي فـــيها القمـــر. وانفجرتم : دخلتم في الفجر . والمراد كنتم في ظلام حالك وهو ظلام الشرك والضلال فصرتم إلى ضياء ساطع بهدايتنا وإرشادنا والضمير لمحمد صلى الله عليه وسلم والإمام ابن عمه ونصيره في دعوته. ويروي أفجرتم بدل انفجرتم وهو أفصح وأوضح لأن الفعل لا يأتي لغير المطاوعة إلا نادرا. أما أفعل فيأتي لصيرورة الشيء إلى حال لم يكن عليها كقولهم : أجرب الرجل إذا صارت إبله جربى وأمثاله كثيرة.

130 – الواعية : الصاخبة والصارخة والصراخ نفسه. والمراد هنا العبر والمواعظ الشديدة الأثر. ووقرت أذنه فهي موقورة ووقرت كسمعت صمت . دعاء بالصمم على من لم يفهم الزواجر والعبر .

131 – الصـــيحة : هنا الصوت الشديد والنبأة أراد منها الصوت الخفي أي من أصمته الصيحة فلم يسمعها كيف يمكـــن أن يسمع النبأة فيراعيها. ويشير بالصيحة إلى زواجر كتاب الله ومقال رسوله وبالنبأة إلى ما يكون منه رضي الله عنه.

132 – ربـــط جاشـــة رباطـــة: اشتد قلبه . ومثله رابطة الجنان أي القلب وهو دعاء للقلب الذي لازمه الخفقان والاضطراب خوفا من الله بأن يثبت ويستمسك.

[133] – ينتظـر بهـم الغـدر : يتـرقب غدرهم ثم كان يتفرس فيهم الغرور والغفلة وأنهم لا يميزون بين الحق والباطل ولهذا لا يبعد أن يجهلوا قدره فيتركوه إلى من ليس له من الحق على مثل حاله. والحلية هنا: الصفة.

[134] – جلـباب الـدين : ما لبسوه من رسومه الظاهرة أي الذي عصمكم منى هو ما ظهرتم به من الدين وإن كـان صـدق نيتي قد بصرني ببواطن أحوالكم وما تكنه صدوركم . وصاحب القلب الطاهرة تنفذ فراسته إلى سائر النفوس فستخرجها .

[135] – المضـلة: بكسر الضاج وفتحها الأرض يضل سالكها وللضلال طرق مثيرى لأن كل ما جار عن الحق فهو باطل وللحق طريق واحد مستقيم وهو الوسط بين طرق الضلال لهذا قال: أقمت لكم على سنن الحق وهو طـريقه الواضح فيما بين جواد الضلة وطرقها المتشعبة حيث لا يلاقي بعضكم بعضا وكلكم تائهون فلا فائجة في التقائكم حيث لا يدل أحدكم صاحبه لعدم عمله بالدليل.

[136] – تميهون: تجدون ماء من أما هو أريكتكم أنبطوا ماءها أو تستقون من أماهوا دوابهم سقوها.

[137] – أراد مـن العجماء رموزه وإشارته فإنها وإن كانت غامضة على من لا بصيرة لهم لكنها جلية ظاهرة (لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) (ق: 37) لهذا سماها ذات البيان مع أنها عجماء.

[138] – غرب: غاب أي لا أرى أن يخلف عني ولم يطعني.

[139] – يتأسـى بموسـى عليه السلام إذ رموه بالخليفة ويفرق بين الواقع وبين ما يزعمون فإنه لا يخاف على حـياته ولكنه يخاف من غلبة الباطل كما كان من نبي الله موسى وهو أحسن تفسير لقوله تعالى: (فأوجس في نفسه خيفة موسى) (طه: 67) وأفضل تبرئة لنبي الله من الشك في أمره.

[140] – قلـب قصـد بـه المبالغة والقصد ضعوا له تيحان المفاخرة عن رؤوسكم وكأنه يقول طأطئوا رؤوسكم تواضعا ول تبفعوها قافمفاخرة بجون لفظ وهو ظاهر. وعرج عن الطريق: مال عنه وتنكبه.

[141] – المفلـح : أحد رجلين إما ناهض للأمر بجناح أي بناصر ومعين يصل بمعونته إلى ما نهض إليه وإما مستسـلم يـريح الناس من المنازعة بلا طائل وذلك عند عدم الناصر وهذا ينحوا نحو قول عنترة لما قيل إنك أشجع العرب فقال لست بأشجعهم ولكني أقدم إذا كان الإقدام عزما وأحجم إذا كان الإحجام حزما.

[142] – الآجن : المتغير الطعم واللون لا يساسلف والإشارة إلى الخلافة أي أن الإمرة على الناس والولاية على شـؤونهم مما لا يهنأ لصاحبه بل ذلك أمر يشبه تناول الماء الآجن ولا تحمد عواقبه كاللقمة بغض آكلها فيموت بها.

[143] – يشـير إلـى أن ذلـك لم يكن الوقت الذي يسوغ فيه طلب الأمر فلو نهض إليه كان كمجتني الثمرة قبل إيناعها ونضجها وهو لا ينتفع بما جنى كما أن الزارع في غير أرضه لا ينتفع بما زرع.

[144] – إن تكلـم بطلب الخلافة رماه من لا يعرف حقيقة قصده بالحرص على السلطان وإن سكت وهم يعلمونه أهلا للخلافة يرمونه بالجزع من الموت في طلب حقه.

[145] – أي بعـد ظـن من يرميني بالجزع بعد ما ركبت الشدائد وقاسيت المخاطر صغيرها وكبيرها. قيل: أن رجـلا تـزوج بقصيرة سيئة الخلق فشقي بعشرتها ثم طلقها وتزوج أخرى طويلة فكان شقاؤه بها أشد فطبقها وقـال: لا أتـزوج بعـد التيا والتي يشير بالأولى إلى الصغيرة وبالثانية إلى الكبيرة فصارت مثلا في الشدائد والمصاعب صغيرها وكبيرها وقوله: هيهات إلخ نفي لما عساهم يظنون من جزعه من الموت عند سكوته.

[146] – أدمجـه: لفـه في ثوب فاندمج أي انطويت على علم والتففت عليه. والأرشية جمع رشاء بمعنى الحبل والطوي: جمع طوية وهي البئر والبعيدة : بمعنى العميقة أو هي بفتح الطاء كعلي بمعنى السقاء ويكون البعيدة نعتا سببيا أي البعيدة مقرها من البئر أو نسبة البعد إليها في العبارة مجاز عقلي.

[147] – يرصد: يترقب أو هو رباعي من الإرصاد بمعنى الإعداد أي ولا يعد لهما القتال.

[148] – اللدم: الضرب بشيء ثقيل يسمع صوته قال أبو عبيد يأتي صائد الضبع فيضرب بعقبه الأرض عند باب جحرها ضربا غير شديد وذلك هو اللدم ثم يقول خامري أم عامر بصوت ضعيف يكررها مرارا فتنام الضبع

علـــى ذلـــك فيجعل في عرقوبها حبلا يجرها فيخرجها وخامري أي استتري في جحرك ويقال : خامر الرجل منزله أي لزمه.

149 – مـــلاك الشـــيء: بالفـــتح وبكسر قوامه الذي يملك به والأشراك جمع شريك كشريف وأشراف فجعلهم شركاؤه أو جمع شرك وهو ما يصاد به فكأنهم آلة الشيطان في الإضلال.

150 – بـــاض وفـــرخ كـــناية عن توطنه صدورهم وطول مكنه فيها لأن الطائر لا يبيض إلا في عشه وفراخ الشيطان وساوسه.

151 – دب ودرج إلـــخ: أي أه تربى في حجورهم كما يربى الأطفال في حجور والديهم حتى بلغ فتوته وملك قوته.

152 – الخطل : أقبح الخطأ. والزلل: الغلط والخطأ.

153 – الوليجة : الدخلية وما يضمر في القلب ويكتم والبطانة.

154 – إذا أوقعنا بعدو أو عدنا آخر بأن يصيبه ما أصاب سابقه وإذا أمطرنا أسلنا أما أولئك الذين يقولون نفعل ونفعل وماهم بفاعلين فهم بمنزلة من يسيل قبل المطر وهو محال غير موجود فهم كالاعدام فيما به يوعدون.

155 – أفـــرطه: مـــلأه حتى فاض. والماتح من متح الماء نزعه أي أنا مازع ماءه من البئر فمالئ به الحوض وهو حوض البلاء والفناء أو أنا الذي أسقيهم منه.

156 – أي إنهم سيردون الحرب فيموتون عندها ولا يصدرون عنها ومن نجا منهم فلن يعود إليها.

157 – الـــنواجذ : أقسى الأضراس أو كلها أو الأنياب ةالناجذ وحدها. قيل إذا عض الرجل على ألسنانه اشتدت أعصـــاب رأســـه وعظامه ولهذا يوصى به عند الشدة ليقوى والصحيح أن ذلك كناية عن الحمية فإن من عادة الإنســـان إذا حمـــى واشـــدت غيظه على عدوه عض على أسنانه. وأعر: أمر من أعار أي ابذل جمجمتك الله تعالى كما يبذل المعير ماله للمستعير.

158 – أي ثبتها من وتد يتد.

159 – ارم بصرك: أي أحط بجميع حركاتهم وغض النظر عما يخيفك منهم أي لا يهولنك منهم هائل.

160 – هوى أخيك : ميله ومحبته.

161 – يرعف بهم : سيجود بهم الزمان كّما يجود الأنف بالرعاف يأتي بهم على غير انتظار.

162 – يـــريد الجمـــل ومجمل القصة أن طلحة والزبير بعدما بايعا أمير المؤمنين فارقاه في المدينة وأتيا مكة مغاضـــبين فالتقـــيا بعائشة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم فسألتهما الأخبار فقالا إنا تحملانا هربا من غوغاء العـــرب بالمديـــنة وفابقنا قومنا حيارى لا يعرفون حقا ولا ينكرون باطلا ولا يمنعون أنفسهم فقالت تنهض إلى هـــذه الغوغاء أو نأتي الشام فقال أحد الحاضرين لا حاجة لكم في الشام قد كفاكم أملاها معاوية فلنأت البصرة فـــإن لأهلها هوى مع طلحة فعزموا على المسير وجهزهم يعلى بن منبه وكان واليا لعثمان على اليمن وعزله علـــي كـــرم اللله وحهه وأعطى للسيجى عائشة جملا اسمه عسكر ونادى مناديها في الناس يطلب ثأر عثمان فاجـــتمع نحؤ ثلاثة آلاف فسارت بهم إلى البصرة وبلغ الخبر عليا فأوسع لهم النصيحة وحذرهم الفتنة فلم ينجح النصـــح فتجهـــز لهـــم وأدركهـــم بالبصرة وبعد محاولات كثيرة منه يبغي بها حقن الدماء انتشبت الحرب بين الفـــريقين واشـــتد القـــتال وكان الجمل يعسوب البصريين قتل دونه خلق كثير من الفئتين وأخذ خطامه سبعون قرشـــيا ما نجا منهم أحد وانتهت الموقعة بنصر علي كرم الله وجهه بعد عقر الجمل. وفيها قتل طلحة والزبير وقتل سبعة عشر ألفا من أصحاب الجمل وكانوا ثلاثين ألفا وقتل من أصحاب علي ألفا وسبعون.

163 – دقة الخلاق: دناءتها.

164 – مالح

165 – الجؤجؤ: الصدر.

166 – مـن جـثم إذا وقـع على صدره أو تلبد الأرض وقد وقع ما أوعد به أمير المؤمنين فقد غرقت البصرة جاءهـا الـناء مـن بحر فارس من جهة الموضع المعروف بجزيرة الفرس ومن جهة الجبل المعروف بجبل السـنام ولـم يـبق ظاهـرا مـنها إلا مسجدها الجامع ومعنى قوله أبعدها من السماء أنها في أرض منخفضة والمنخفض أبعد عن السماء من المرتفع بمقدار انخفاضه وارتفاع المرتفع.

167 – الغرض ما ينصب ليرمي بالسهام. والنابل : الضارب بالنبل.

168 – قطائع عثمان : ما منحه للناس من الأراضي.

169 – أي : مـن عجـز عـن تدبير أمره بالعدل فهو عن التدبير بالجور أشد عجزا فإن الجور مظنة أن يقاوم ويصـد عـنه وهذ الخطبة رواها الكلبي مرفوعة إلى أبي صالح عن إبن عباس أن عليا خطب ثاني يوم منن فـي المدينة فقال: ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان وكل مال أعطاه من الله فهو مردود في بيت المال فإن الحق القديم لا يبطله شيء ولو وجدته قد تزوج إلخ.

170 – الذمـة : العهد تقول هذا الحق في ذمتي كما تقول في عنقي وذلك كناية عن الضمان والالتزام. والزعيم : الكفيل يريد أنه ضامن لصدق ما يقول كفيل بأنه الحق الذي لا يدفع.

171 – العبـر: بكسر ففتح جمع عبرة بمعنى الموعظة والمثلاث : العقوبات أي من كشف له النظر في أحوال من سبق بين يديه وحقق له الاعتبار والاتعاظ أن العقوبات التي نزلت بالأمم والأجيال والأفراد من ضعف وذل وفاقـة وسوء حال إنما كانت بما كسبوا من ظلم وعدوان وما لبسوا من جهل وفساد أحوال ملكته التقوى وهي الـتحفظ مـن الوقوع فيما جلب تلك العقوبات لأهلها فمنعته عن تقحم الشبهات والتردي فيها فإن الشبهة مظنة الخطيئة والخطيئة مجلبة العقوبة.

172 – إن بلـية العـرب كانت محيطة بهم يوم بعث الله نبيه محمد صل الله عليه وسلم وهي بلية الفرق ومحنة الشـتات حـيث كانوا متباغضين متنافرين يدعوا كل إلى عصبيته وينادي نداء عشيرته يضرب بعضهم رقاب بعـض فـتلك الحالـة التي هي مهلكة الأمم قد صاروا إليها بعد مقتل عثمان بعثت العداوات التي كان قد قتلها الدين ونفخت روح الشحناء بين الأمويين والهاشمين وأتباع كل ولا حول ولا قوة إلا بالله .

173 – لتبلـبلن: أي لتخلطن من نحو تبلبلت الألسن اختلطت ولتغربلن أي لتقطعن من غربلت اللحم أي قطعته ولتسـاطن من السوط وهو أن تجعل شيئين في الإناء وتضربهما بيدك حتى يختلطا. وقوله سوط القدر أي كما تختلط الأبزار ونحوها في القدر عند غليانه فينقلب أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها وكل ذلك حكاية عما يؤولون إليه من الاختلاف وتقطع الأرحام وفساد النظام.

174 – ولقد سبق معاوية إلى مقام الخلافة وقد كان في قصوره عنه بحيث لا يظن وصوله إليها وقصر آل بيت النبوة عن بلوغه وقد كانوا أسبق الناس إليه.

175 – الوشمة : الكلمة وقد كان رضي الله عنه لا يكتم شيئا يحوك بنفسه كان أمارا بالمعروف نهاء عن المنكر لا يحابي ولا يداري ولا يكذب ولا يداجي وهذا القسم توطئة لقوله : ولقد نبئت بهذا المقام أي أنه قد أخبر من قبل على لسان النبي صل الله عليه وسلم بأن سيقوم هذا المقام ويأتي عليه يوم مثل هذا اليوم.

176 – الشـمس: بضـمتين وضم فسكون جمع شموس وهي مَن شمس كنصر أي منع ظهره أي يركب وفاعل الخطيئة إنما يقترفها لغاية زينت له يطلب الوصول إليها فهو شبيه براكب فرس يحريه إلى غايته ولكن الخطايا ليست إلى الغايات بمطايا فإنها اعتساف عن السبيل واختباط في السير لهذا شبهها بالخيل الشمس التي قد خلعت لجمهـا لأن مـن لـم يلجـم نفسه بلجام الشريعة أفلتت منه إلى حيث ترديه وتقتحم به في النار وتشبيه التقوى بالمطايـا الذلل طاهرة فإن التقوى تحفظ النفس من كل ما ينكبها عن صراط الشريعة فصاحبها على الجادة لا يزال عليها حتى يوافي الغاية والذلل: جمع ذلول : هي المروضة الطائعة السلسة القيادة.

177 – أي أن مـا يمكن أن يكون عليه الإنسان ينحصر في أمرين : الحق والباطل ولا يخلو العالم منهما ولكل مـن الأمـرين أهل فللحق أقوام وللباطل أقوام. ولئن أمر بالباطل أي كثر بكثرة أعوانه فلقد كان منه قديما لأن البصـائر الزائغة عن الحقيقة أكثر من الثابتة عليها. ولئن كان الحق قليلا بقلة أنصاره فلربما غلبت قلته كثرة الباطل ويمحقه.

178 – هذه الكلمة صادرة من ضجر بنفسه يستبعد بها أن تعود دولة لقوم بعد ما زالت عنهم ومن هذا المعنى قول الشاعر:

وقالوا يعود الماء في النهر بعدما ذوي نبت جنبيه وجف المشارع

فقلت إلى أن يرجع النهر جاريا ويوشب جنباه يموت الضفادع

179 – لا يطلع :من قولهم اطلع الأرض أي بلغها والفج: الطريق الواسع بين جبلين في قبل من أحدهما.

180 – العرق : الأصل أي سلم في العمل بصناعة الفصاحة والصدور عن ملكتها عن أصولها وقواعدها.

181 – شغل مبني للمجهول نائب فاعله من والجنة والنار مبتدأ خبره أمامه. والجملة صلة من أي كفى شاغلا أن تكون الجنة والنار أمامك. ومن كانت أمامه الجنة والنار على ما وصف الله سبحانه فحري به أن تنفد أوقاته جميعا في الإعداد للجنة والابتعاد عما عساه يؤدي إلى النار.

182 – يقسم الناس إلى ثلاثة أقسام الأول: الساعي إلى ما عند الله السريع في سعيه وهو الواقف عند حدود الشريعة لا يشغله فرضها عن نفلها ولا شاقها عن سهلها. والثاني: الطالب البطئ له قلب تغمره الخشية وله صلة إلى الطاعة لكن ربما قعد به عن السابقين ميل الراحة فيكتفي من العمل بفرضه وربما انتظر به غير تقته وينال من الرخص حظه وربما كانت له هفوات ولشهوته نزوات على أنه رحاع إلى ربه كثير الندم على ذنبه فذلك الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا فهو يرجوا أن يغفر له. والثالث: المقصر وهو الذي حفظ الرسم ولبس الاسم وقال بلسانه أنه مؤمن وربما شارك الناس فيما يأتون من أعمال ظاهرة كصوم وصلاة وما شابههما وظن أن كل ما يطلب منه ثم لا تورده شهوته منهلا إلا عب منه ولا يميل به هواه إلى أمر إلا انتهى إليه فذلك عبد الهوى وجدير به أن يكون في النار هوى.

183 – اليمين والشمال: مثال لما راغ عن جادة الشريعة. والطريق الوسطى: مثال للشريعة القويمة. ثم أخذ يبين أن الجادة والطريق الوسطى وهي سبيل النجاة جاء الكتاب هاديا إليها والسنة لا تنفذ إلا منها فمن خالف الكتاب ونبذ السنة ثم ادعى أنه على الجادة فقد كذب ولهذا يقول خاب من ادعى أي من ادعى دعوة وكذب فيها ولم يكن عنده مما يدعيه إلا مجرد الدعوى فقد هلك لأنه مائل عن الجادة.

184 – الرواية الصحيحة هكذا من أبدى صفحته للحق هلك أي من كاشف الحق مخاصما له مصارحا له بالعداوة هلك ويروي من أبد صفحته للحق هلك عند جهلة الناس وعلى هذه الرواية يكون المعنى من ظاهر الحق ونصره غلبته الجهلة بكثرتهم وهم أعوان الباطل فهلك.

185 – السنخ : المثبت يقال السن في سنخها أي منبتها والأصل لكل شيء قاعدته وما قام عليه بقيته فأصل الجبل مثل أسفله الذي يقوم عليه أعلاه وأصل النبات جذره الذاهب في منبته وهلاك السنخ فساده حتى لا يثبت فيه أصول ما اتصل به ولا ينمو غرس غرس فيه وكل عمل ذهبت أصوله في أسناخ التقوى كان جديرا بأن تثبت أصوله وتنموا فروعه ويزكو بزكاء منبته ومغرس أصله وهو التقوى وكما أن التقوى سنخ لأصول الأعمال كذلك منها اسمتد الأعمال غذاءها وتستقي ماءها من الإخلاص وجدير بالزرع يسقى بماء التقوى أن لا يظمأ وعليها في الموضعين في معنى معها وقد يقال في قوله سنخ أصل أنه هو على نحو قول القائل : إذا خاص عينيه كرى النوم والكرى هو النوم والسنخ هو الأصل.

186 – وكله الله إلى نفسه: تركه ونفسه وهوكناية عن ذهابه خلف هواه فيما يعتقد لا يرجع إلى حقيقى من الدين ولا يهتدي بدليل من الكتاب فهذا جائر عن قصد السبيل وعادل عن جادته والمشغوف بشيء : المولع به وكلام البدعة: ما اخترعته الأهواء ولم يعتمد على ركن من الحق ركين.

187 – هذا الضال المولع بتنميق الكلام لتزيين البدعة الداعي إلى الضلالة قد غرر بنفسه وأورجها هلكتها فهو رهن بخطيئته ولا مخرج له منها وهو مع ذلك حامل لخطايا الذين أضلهم وأفسد عقائدهم بدعائه كما قال تعالى (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم) (العنكبوت: 13).

188 – قمش جهلا : جمعه والجهل هنا بمعنى المجهول وكما يسمى المعلوم علما بل قال قوم : إن العلم هو صورة الشؤء في العقل وهو المعلوم حقيقة كذلك يسمى المجهول بل الصورة التي اعتبرت مثالا لشيء وليست

بمنطبقة عليه وهي الجهل حقيقة بالمعنى المقابل للعلم بذلك التفسير السابق فالجهل المجموع هو المسائل والقضايا التي يظنها جامعها تحكي واقعا ولا واقع لها.

189 – موضع في جهالة الأمة : مسرع فيهم بالغش والتغرير: وضع البعير أسرع وأوشعه راكبه فهو موضع به أي مسرع به وقوله عاد في أغباش الفتنة الأغباش: الظلمات واحدها غبش بالتحريك أغباش الليل بقايا ظلمته وعاد بمعنى مسرع في مشيته أي أنه ينتهز افتتان الناس بجهلهم وعماهم في فتنتهم فيعدوا إلى غايته من التصدر فيهم والسيادة عليهم بما جمع مما يظنه الجهلة علما وليس به ويرى غار في أغباش الفتنة من غره يغره إذا غشه وهو ظاهر.

190 – عم وصف من العمى : أي جهل بما أودعه الله في السكون والاطمئنان من المصالح وقد يراد بالهدنة إمهال الله له في العقوبة وإملاؤه في أخذه ولوعقل ما هيأ الله له من العقاب لأخذ من العلم بحقائقه وأوغل في النظر لفهم دقائقه ونصح لله ولرسوله وللمؤمنين.

191 – بكر: بادر إلى الجمع كالجاد في عمله يبكر إليه من أول النهار فاستكثر أي احتاز كثيرا من جمع بالتنوين أي مجموع قليله خير من كثيره إن جعلت ما موصولة فإن جعلتها مصدرية كان المعنى قلته خير من كثرته ويروى جمع بغير تنوين ولا بد من حذف على تلك الرواية أي من جمع شيء قلته خير من كثرته.

192 – الماء الآجن : الفاسد المتغير الطعم واللون شبه به تلك المجهولات التي ظنها معلومات وهي تشبه العلم في أنها صورة قائمة بالذهن فكأنها من نوعه كما أن الآجن من نوع الماء لكن الماء الصافي ينقع الغلة ويفئ من الأوار والآجن يجلب العلة ويفضي بشاربه إلى البوار . واكتنز أي عد ما جمعه كنزا وهو غير طائل أي دون خسيس.

193 – التخليص: التبيين والتبس على غيره: اشتبه عليه.

194 – المبهمات: المشكلات لأنها ابهمت عن البيان كالصامت الذي لم يجعل على مافي نفسه دليلا ومنه قيل: لما لا ينطق من الحيوان بهيمة والحشو : الزائد لا فائدة فيه والرث: الخلق البالي ضد الجديد أي أنه يلاقي المبهمات برأي ضعيف لا يصيب من حقيقتها شيئا بل هو حشو لا فائدة له في تبينها ثم يزعم بذلك أنه بينها.

195 – الجاهل بشيء ليس على بينة منه فإذا أثبته عرضت له الشبهة في نفيه وإذا نفاه عرضت له الشبهة في ‘ثباته فهو في ضعف حكمه في مثل نسج العنكبوت ضعفا ولا بصيرة له في وجود الخطأ والإصابة فإذا حكم لم يقطع بأنه مصيب أو مخطئ وقد جاء الإمام في تمثيل حاله بأبلغ ما يمكن من التعبير عنه .

196 – خباط : صيغة مبالغة من خبط الليل إذا سار فيه على غير هدى ومنه خبط عشواء وشبه الجهالات بالظلمات التي يخبط فيها السائر وأشار إلى التشبيه بالخبط والعاشي : الأعمى أو ضعيف البصر أو الخابط في الظلام فيكون كالتأكيد لما قبله والعشوات: جمع عشوة مثلثة الأول وهو ركوب الأمر على غير هدى.

197 – من عادات عاجم العود أي مختبره ليعلم صلابته من ‘ينه أن يعضه فلهذا ضرب المثل في الخبرة بالعض بضرس قاطع أي أنه لم يأخذ العلم اختبارا بل تناوله كما سول الوهم وصور الخيال على محض الخبرة ليتبين أحق هو أم باطل.

198 – الهشيم ما يبس من النبت وتفتت وأذقته الريح إذراء: أطارته ففرقته ويروى تذور الروايات كما تذور الريح الهشيم وهي أفصح قال الله تعالى: (فأصبح هشيما تذروح الرياح) (الكهف: 45) وكما أن الريح في حمل الهشيم وتبديده لا تبالي بتمزيقه واختلال نسقه كذلك هذا الجاهل يفعل في الروايات ما تفعل الريح بالهشيم.

199 – المليء بالقضاء : من يحسنه ويحيد القيام عليه وهذا لا مليء بإصدار القضايا التي ترد عليه وإرجاعها عنه مفصولا فيها النزاع مقطوعا فيها الحكم أي غير رحيم بذلك ولا غناء فيه لهذا الأمر الذي اصدر له وروى ابن قتيبة بعد قول: لا مليء والله بإصدار ما ورد عليه (ولا أهل لما قرظ به) أي مدح به بدل ولا هو أهل لما فوض إليه.

200 – اكتتم به : أي كتمه وستره.

201 – العج : رفع الصوت و صراخ الماء وعج المواريث تمثيل لحدة الظلم وشدة الجور

202 – إلـــى الله : متعلق بأشكو وفي رواية إسقاط لفظ أشكو فيكون إلى الله متعلقا بتعج وقوله من معشر يشير إلى أولئك الذين قمشوا جهلا.

203 – تلي حق تلاوته: أخذ على وجهه وما يدل عليه جملته وفهم كما كان النبي وأصحابه صلى الله عليه وسلم يفهمـــونه وأبـــور: مـــن بارت السلعة كسدت وأنفق من النفاق بالفتح وهو الرواج وما أشبه حال هذا المعشر بالمعاشر من أهل هذا الزمان.

204 – الإمام الذي استقضاهم الخليفة الذي ولاهم القضاء .

205 – أنيق : حسن معجب وأنقني: الشيء أعجبني.

206 – كان أمير المؤمنين يتكلم في أمر الحكمين فقام رجل من أصحابه وقال: نهينا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فلـــم ندر أي الأمرين أرشد فصق بإحدى يديه على الأخرى وقال هذا جزاء من ترك العقيدة فقال : الأشعث ما قال وأمير المؤمنين يريد هذا جزاؤكم فيما تركتم الحزم وشغبتهم وألجأتموني لقبول الحكومة.

207 – قـــيل إن الحائكين أنقص الناس عقلا وأهل اليمن يعيرون بالحياكة والأشعث يمني من كندة قال خالد ابن صـــفوان في ذم اليمانيين ليس فيهم إلا حائك برد أو دابغ جلد أو سائس قرد ملكتهم امرأة وأغرقتهم فأرة ودل عليهم هدهد.

208 – كـــان الأشعث في أصحابه علي كعبد الله بن سلول في أصحاب رسول الله صل الله عليه وسلم كل منهما رأس النفاق في زمنه.

209 – أســـر مـــرتين مـــرة وهو كافر بعش حروب الجاهلية وذلك أن قبيلة مراد قتلت قيسا الأشج أبا الأشعث فخـــرج الأشعث طالبا بثأر أبيه فخرجت كندة متساندين إلى ثلاثة ألوية على أحدها كبش بن هانئ وعلى أحجها الشـــعن بـــن الأرقم وعلى أحدها الشعث فأخطأوا مرادا ووقعوا على بني الحارث بن كعب فقتل كبش والقشعم وأســـر الأشـــعث وفدي بثلاثة آلاف بعير لم يفد بها عربي قبله ولابعده فمعنى قول أمير المؤمنين فما فداك لم يمـــنعك مـــن الأســـر وأما أسر الإسلام له فذلك أن بني وليعة لما ارتدوا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وقـــاتلهم زيـــاد بـــن لبيد الياضي الأنصاري لجأوا إلى الأشعث مستنصرين به فقال لا أنصركم حتى تملكوني فـــتوجوه كمـــا يتوج الملك من قحطان فخرج معهم مرتدا يقاتل المسلمين وأمد أبو بكر زيادا بالمهاجر بن أبي أمـــية فالتقوا بالأشعث فتحصن منهم فحاصروه أياما ثم نزل إليهم على أن يؤمنوه وعشرة من أقاربه حتى يأتي أبـــا بكـــر فيرى فيه رأيه وفتح لهم الحصن فقتلوه كل من فيهم من قوم الأشعث إلا العشرة الذين عزلهم وكان المقـــتولون ثمانمائـــة ثم حملوه أسيرا مغلولا إلى أبي بكر فعفا عنه وعمن كان معه وزوجه أخته أم فروة بنت أبي قحافة.

210 – دلالـــة الســـيف على قومه وسوق الحتف إليه تسليمهم لزياد بن لبيد وفتح الحصن عليهم حتى قتلهم كما تقـــدم وإن كان الذي ينقل عن الشريف الرضي أن ذلك إشارة إلى وقعة جرت بين الأشعث وخالد بن الوليد في حـــرب المـــرتدين باليمامة وأن الأشعث دل خالدا على مكامن قومه ومكر بهم حتى أوقع بهم خالد فإن ما نقله الشـــيف لا يتم إلا إذا قلنا: إن بعض القبائل من كندة كانت انتقلت من اليمن إلى اليمامة وشاركت أهل الردة في حروبهم وفعل بهم الأشعث ما فعل وعلى كل حال فقد كان الأشعث ملوما على ألسنة المسلمين والكافرين وكان نساء قومه يسمينه عرف النار وهو اسم للغادر عندهم.

وفـــين نسخة زيادة (يريد عليه السلام أنه أسر في الكفر مرة وفي الإسلام مرة) وأما قوله عليه السلام دل علـــى قـــومه السيف فأراد به حديثا كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة غر فيه قومه ومكر بهم حتى أوقع بهم خالد بن الوليد وكان قومه بعد ذلك يسمونه عرف النار وهو اسم للغادر عندهم.

211 – الوهل : الخوف وهل يهل.

212 – ما مصدرية : أي قريب طرح الحجاب وذلك عند نهاية الأجل ونزول المرء أول منازل الآخرة.

213 – جاهـــرتكم العبـــر: انتصبت لبنبهكم جهرا وصرحت لكم بعواقب أموركم والعبر: جمع عبرة والعبرة : المـــوعظة لكن اللفظ وأراد ما به الاعتبار مجازا فإن العبر التي جاهرتهم إما قوارع الوعيد المنبعثة عليهم من ألسنة الرسل الإلهيين وخلفائهم وإما ما يشهدون من تصاريف القدرة الربانية ومظاهرة العزة الإلهية.

214 – رسـل السـماء : الملائكـة أي إن قلـتم لم يأتنا عن الله شيء فقد أقيمت عليكم الحجة بتبليغ رسول الله وإرشاد خليفته.

215 – الغايـة : الثواب أو العقاب والنعيم والشقاء فعليكم أن تعدو للغاية ما يصل بكم إليها ولا تستبطئوها فإن السـاعة التـي يصيبونها فيها وهي يوم القيامة آزفة إليكم فكأنها في تقربها نحوكم وتقليل المسافة بينها وبينكم بمنزلة سائق يسوقكم إلى ما تسيرون إليه.

216 – سـبق سـابقون بأعمالهم إلى الحسنى فمن أراد اللحاق بهم فعليه أن يتخفف من أثقال الشهوات وأوزار العـناء في تحصيل اللذات ويحفز بنفسه عن هذا الفانيات فيلحق بالذين فازوا بعقبى الدار وأصله الرجل يسعى وهو غير مثقل بما يحمله يكون أجدر أن يلحق الذين سبقوه.

217 – أي أن السـاعة لا ريـب فـيها وإنما ينتظر بالأول مدة لا يبعث فيها حتى يرد الأخرون وينقضي دور الإنسان من هذه الدنيا ولا يبقى على وجه الأرض أحد فتكون الساعة بعد هذا وذلك يوم يبعثون.

218 – من قولهم : ماء ناقع ونقيع أي ناجع أي إطفاء العطش والنطفة: الماء الصافي.

UNIT –XV

(KHUTBATUL BATRA')

الباب الرابع عشر
الخطبة البتراء
(زياد بن أبيه)

وقـدم زيـاد البصرة غرة جمادى الأولى سنة 45ه واليا لمعاوية بن أبي سفيان، وضم إليه خراسـان وسجستان، والفسق بالبصرة كثير فاش ظاهر، فخطب خطبة بتراء لم يحمد الله فيها، وقيل : بل قال:

الحمد لله على إفضاله وإحسانه، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه، اللهم كما زدتنا نعما فألهمنا شـكرا .أمـا بعـد، فـإن الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، والغي الموفي بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ينبت فيها الصغير، ولا يتحاشى عنها الكبير كأنكم لـم تقـرؤوا كـتاب الله ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكبير لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصـيته فـي الـزمن السرمدي الذي لا يزول، أتكونون كمن طرفت عينيه الدنيا، وسدت مسامعه الشهوات، واختار الفانية على الباقية، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه؛ من تركككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله، هذه المواخير المنصوبة والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر والعـدد غير قليل، ألم يكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار، قربتم القرابة، وباعدتم الـدين، تعتذرون بغير العذر، وتغضون على المختلس، كل امرئ منكم يذب عن سفيهه صنيع من لا يخـاف عاقبة ولا يرجو معادا، ما أنتم بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونـه حتـى انـتهكوا حرم الإسلام، ثم أطرقوا وراءكم كنوسا في مكانس الريب، حرام علي الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدما وإحراقا .إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله : لـين في غير ضعف، وشدة في غير عنف. وإني أقسم بالله لآخذن الولي بالمولى، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والمطيع بالعاصي، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم حتى يلقي الرجل منكم أخاه فيقول :انـج سـعد فقـد هلـك سـعيد، أو تسـتقيم لـي قـناتكم.

إن كذبـة المنبـر بلقـاء مشهورة؛ فإذا تعلقتم علي بكذبة فقد حلت لكم معصيتي، فإذا سمعتموها مني فاغتـزوها في، واعلموا أن عندي أمثالها .من نقب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب منه، فإياي ودلج اللـيل؛ فإنـي لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه، وقد أجلتكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إلـيكم، وإياي ودعوى الجاهلية؛ فإني لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه، وقد أحدثتم أحداثا لم تكن وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة؛ فمن غرق قوما غرقناه، ومن أحرق قوما أحرقناه، ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبرا دفناه حيا فيه، فكفوا عني أيديكم وألسنتكم أكفف عنكم يدي ولساني، ولا تظهر من

أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه، وقد كانت بيني وبين أقوام إحن فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي، فمن كان منكم محسنا فليزدد إحسانا، ومن كان منكم مسيئا فلينزع عن إساءته.

إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعا، ولم أهتك له سترا حتى يبدي لي صفحته؛ فإذا فعل ذلك لم أناظره، فاستأنفوا أموركم، وأعينوا على أنفسكم، فرب مبتئس بقدومنا سيسر، ومسرور بقدومنا سيبتئس .

أيها الناس، إنا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل فيما ولينا، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا، واعلموا أني مهما قصرت عنه فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولو أتاني طارقا بليل، ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن إبانه، ولا مجمرا لكم بعثا، فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم؛ فإنهم ساستكم المؤدبون لكم، وكهفكم الذي إليه تأوون، ومتى يصلحوا تصلحوا، ولا تشربوا قلوبكم بغضهم، فيشتد لذلك غيظكم، ويطول له حزنكم، ولا تدركوا له حاجتكم مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شرا لكم.

أسأل الله أن يعين كلا على كل، وإذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه على أذلاله، وايم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي.

فقام إليه عبد الله بن الأهتم، فقال:

أشهد أيها الأمير لقد أوتيت الحكمة، وفصل الخطاب .فقال له:

كذبت، ذاك نبي الله داود صلوات الله عليه .فقام الأحنف بن قيس فقال : إنما الثناء بعد البلاء، والحمد بعد العطاء، وإنا لن نثني حتى نبتلي .فقال له زياد : صدقت .فقام أبو بلال مرداس بن أدية وهو يهمس ويقول : أنبأنا الله بغير ما قلت؛ قال الله تعالى { وإبراهيم الذي وفى * ألا تزر وازرة وزر أخرى* وأن ليس للإنسان إلا ما سعى } وأنت تزعم أنك تأخذ البريء بالسقيم، والمطيع بالعاصي، والمقبل بالمدبر . فسمعها زياد، فقال : إنا لا نبلغ ما نريد فيك وفي أصحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوضا.

وقد شهد العراق أمناعلى يد زياد بن أيه. وهو كان ابن جارية اسمها سمية. وكانت جارية للحارث بن كلدة. ولما غرق العراق في المنازعات والتقاتل والفوضى بعد مقتل الإمام حسين رأى معاوية بن أبي سفيان أن أمره لا ينصلح إلا بمثل هذا الرجل فكلفه بولاية العراق لوضع حد لما كان جاريا فيه. وصل زياد بن أبيه البصرة فجمع الناس في المسجد وألقى فيهم تلك الخطبة المجلجلة التي عرفت بالبتراء لأنه دخل فيها في الموضوع رأسا بدون البسملة التقليدية والصلاة على النبي.

"وإني لأقسم بالله لآخذن الوالي بالمولى والقيم بالصاغر والمقبل بالمدبر والصحيح والصحيح منكم في نفسه بالسقيم حتى يلقى الرجل أخاه فيقول انج سعد فقد هلك سعيد أو تستقيم قناتكم وقد أحدثتم إحداثا وأحدثنا لكل ذنب عقوبة فمن غرق قوما أغرقناه ومن أحرق قوما أحرقناه. ومن نقب نقبنا عن قلبه ومن نبش قبرا دفناه فيه حيا فكفوا أيديكم أكفف عنكم يدي ولساني".

وقد طبق تهديده بتفسير الريبة والشط لجانب العقوبة على خلاف المتبع في العدل والقضاء بتفسيرها لصالح المتهم. فبع أن أعلن حظر التجول في المدينة وهي أول عملية منع تجول في الإسلام جاءوه بأعرابي وجدوه سائرا في الطريق سأله ألم تسمع بمنع التجول؟ فأجاب قائلا إنه كان واحدا من أعراب البدو ولم يسمع شيئا عن ذلك. شردت منه عنزة فجرى وراءها يبحث عنها. قال له زياد بن أبيه أصدقك في ذلك ولكنه أمر بضرب عنقه ليكون عبرة لمن يعتبر. وبها عاد الهدوء والإستقرار في المدينة

خطبة حجاج بن يوسف حينما ولى العراق سنة 75 هـ

حدث عبد الملك بن عمير الليثي قال : بينا نحن في المسجد الجامع بالكوفة -وأهل الكوفة يومئذ ذوو حال حسنة، يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه- إذ أتى آت فقال: هذا الحجاج قد قدم أميرا على العراق .فإذا به قد دخل المسجد معتما بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه، متقلدا سيفا، متنكبا قوسا، يؤم المنبر، فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر، فمكث ساعة لا يتكلم، فقال الناس بعضهم لبعض : قبح الله بني أمية؛ حيث تستعمل مثل هذا على العراق .حتى قال عمير بن ضابئ البرجمي : ألا أحصبه لكم؟ فقالوا : أمهل حتى ننظر .فلما رأى عيون الناس إليه حسر اللثام عن فيه، ونهض، فقال:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني ثم قال : يا أهل الكوفة، أما والله إني لأحمل الشـ ،حملـه، وأحذوه بنعله، وأجزيه بمثله، وإني لأرى أبصارا طامحة، وأعناقا متطاولة، ورؤوسا قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى تترقرق، ثم قال:

ذا أوان الشد فاشتدي زيم *** قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعي إبل ولا غنم *** ولا بجـــزار علـــى ظهـــر وضـــم

ثم قال:

أروع خراج من الدوي مهاجر ليس بأعرابي *** [illegible] الذين بعصابي

ثم قال:

قد شمرت عن ساقها فشدوا *** ذ وجدت الحرب بكم فجدوا

والقوس فيها وتر عرد *** مثل ذراع البكر أو أشد لا بد مما ليس منه بد

إني والله يا أهل العراق، ومعدن الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق ما يقعقع لي بالشنان، ولا يغمز جانبي كتغماز التين، ولقد فررت عن ذكاء، وفتشت عن تجربة، وجريت إلى الغاية القصوى، وإن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه نثر كنانته بين يديه، فعجم عيدانها، فوجدني أمرها عودا وأصلبها مكسرا، فرماكم بي لأنكم طالما أوضعتم في الفتن، واضطجعتم في مراقد الضلال، وسننتم سنن الغي.

أما والله لألحونكم لحو العصا، ولأقرعنكم قرع المروءة، ولأعصبنكم عصب السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل؛ فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون.

وإني والله لا أعد إلا وفيت، ولا أهم إلا أمضيت، ولا أخلق إلا فريت؛ فإياي وهذه الشفعاء والزرافات والجماعات، وقالا وقيلا، و«ما تقول؟» و«فيم أنتم وذاك؟.«

أما والله لتستقيمن على طريق الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلا في جسده!

وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم، وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة، وإني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا سفكت دمه، وأنهبت ماله، وهدمت منزله!

SECTION – B

CLASSICAL POETRY

UNIT – XVI

POETRY

(QASEEDATU IMRUL QAISE)

الباب الخامس عشر

معلقة امرئ القيس

1) قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

الذكرى = التذكر, السقط= الطرف والحدود, اللوى = الرمل المنعطف, الدخول وحومل = موضعان معروفان

اتباعا لعادة الشعراء الجاهلية يبدأ امرئ القيس معلقته بذكر الأطلال وفراق حبيبته. ولما وصل الشاعر خلال رحلته بالمكان الذي كانت تسكنه حبيبته يقف ويستوقف لصاحبيه ويبكي على فراقها ويستبكي لهما من حزن مغادرتها. كانت تسكن من قبل بمنقطع الرمل المعوج بين الموضعين المسميين بالدخول وحومل. وكان الشاعر لمدة من الزمان يعيش بها في جوارها يحبها وتحبه وأن الزمان فرقت بينهما. ورؤية أطلال بيتها تثير ذكرياته المغمورة ويسبب في قلبه القلق والحزن على فراقها.

2) فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

توضح والمقراة = اسما مكانين, عفى = انمحى, رسم = اثر, شمأل = شمال, الجنوب والشمأل = ريحان معروفتان عند العرب, توضح والمقراة موضعان تقع بينهما سقط اللوى حيث توجد آثار بيت حبيبة الشاعر.

يقول الشاعر ان آثار مسكنها لم تنمح ولم تذهب أثرها ريحا الشمال والجنوب اللتان تهب من الاتجاهات المتقابلة وهي اذا غطي احداهما الاثار بالتراب فالاخرى كشفت التراب عنها.

3) ترى بعر الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل

رئم ج ارآم = الظباء الخالصة البياض, عرصة ج عرصات = ساحة الدار, قاع ج قيعان = المستوى من الأرض, قاعة الدار = ساحتها.

هذه الديار التي كانت تسكنها مرة قبيلة حبيبته قد غادرت أهلها وأصبحت أرضها مقفرة من بعدهم وسكنت برمالها الظباء البيض ونثرت في ساحتها أرواثها كأنها حبات الفلفل المنتشرة على رحباتها.

4) كأني غدات البين لما تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل

غداة ج غدوات= أول النهار, البين=الفراق, تحملوا أو احتملوا=ارتحلوا, سمرة ج سمرات = شجرة الطلح, الحي = القبيلة, ناقف حنظل= الذي يشقه, الحنظل من الثمار له طعم مر وصعب شقه وله شكل برتقال.

يتذكر الشاعر يوم فراق الحبيبة حين رحلوا عنه وكان واقفا وقفة حيرة عند شجرة الطلح والوقت أول النهار. وحينما رحلوا كان يقف هناك كمن ينقف الحنظل بظفره ليستخرج منها حبها. يصف الشاعر هنا قلق قلبه وشدة حزنه. ويقال أيضا أنه كان يخرج من عينيه الدموع كما يحدث لمن يحاول شق الحنظل.

٥) وقوفا بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل

واقف ج وقوف مثل شاهد شهود، صاحب ج صحب، مطية ج مطي = المركب أو الراحلة.

قد أحس شدة الألم والحزن في قلبه لما أثار ذكرياته وهناك وقف صحبته عليه رواحلهم يأمرونه بالصبر وينهونه عن الجزع والقلق وقالوا له: لا تهلك من فرط الحزن وشدة الجزع وتجمل بالصبر.

(6 وأن شفائي عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول

المهراق = المصبوب، المعول = المعتمد والمتوكل عليه، العبرة = الدمع، الرسم = الأثر، الدارس = المحوى.

يريق الشاعر دموعا غزيرة على فراق حبيبته لانه يرى فيه البرء والشفاء لداء الهوى الذي أصابه وتخلصه مما دهاه يكون بدمع يصبه ثم يقول: هل يوجد معتمد عند رسم قد درس أو هل الرسم الدارس موضع البكاء يعني أنه لا طائل في البكاء في هذا المكان لا أحد يعول عليه وفزع إليه ولذلك بكاؤه ليس مخلصه مما به ولا ينفع البكاء عند رسم دارس.

(7 كدأبك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسل

الدأب = العادة، مأسل = اسم مكان، أم الحويرث وأم الرباب = اسما إمرأتين.

يقارن الشاعر قلة حظه من وصال هذه الحبيبة ومعاناته الوجد بها مع ما تعود بها في شأن حبيبتيه السابقتين وهما أم الرباب وأم الحويرث وكان نصيبه من هواهما الفراق وقلة الحظ من لقائهما ومعاناته الوجد بهما وقد ذكر الشاعر اسم الحبيبتين السابقتين وهما أم الحويرث وجارتها ام الرباب اللتان كانتا في مكان اسمه مأسل.

(8 إذا قامتا تضوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

تضوع = انتشر وفاح، نسيم الصبا = الريح الذي يهب من الشرق، الريا = الرائحة الطيبة.

م يشبه الشاعر رائحة المسك التي تفوح منهما بنسيم الصبا التي تجتاز القرنفل ويقول إذا قامتا أم الحويرث وأم الرباب فاحت منهما رائحة المسك كريح التي تأتي من الشرق حاملا معها شذى القرنفل حين يهب عليه النسيم ينشر طيبه.

(9 ففاضت دموع العين مني صبابة على النحر حتى بل دمعي محمل

الصبابة = الشوق الشديد، النحر = الخنجر، المحمل = حمالة السيف.

يشير الشاعر إلى فرط حزنه ووجده وحنينه إليها حين يقول أن الدموع الغزيرة سالت من عينيه بشدة الشوق حتى فاض على الخنجرة وبل حمالة سيفه.

(10 ألا رب يوم لك منهن صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل

رب = للدلالة على الكثير، الصالح = الناعم، لاسيما = خصوصا، دارة جلجل = اسم غدير.

يتذكر الشاعر أيام أنسه مغامرته مع عدد من النسوة خاصة يوم دارة جلجل ويقول أمثال تلك الأيام كانت كثيرة حيث فاز فيها بوصال النسوة وعاش عيشا ناعما معهن ومن أحسن تلك الأيام يوم دارة جلجل وكان ذلك اليوم أتم الأيام وأحبها إليه ولا ينساها أبدا في حياته.

11) ويوم عقرت للعذارى مطيتي فيا عجبا من كورها المتعجل

عقر = ذبح، عذراء ج عذارى، المطية = الراحلة، كور ج أكوار = الرحل، المتحمل = المحمول.

من خلال الأبيات الآتية يذكر الشاعر قصة الغدير أو قصة يوم دارة جلجل لانه يفضل ذلك اليوم على سائر الايام كلها التي فاز بها من حبائبه ذكر رواة القصة أن امرؤ القيس كان يعشق عنيزة ابنة عمه ولكنه لم يحظ بلقائها ووصالها ولذالك انتظر فرصة ظعن الحي. لما جاء يوم السفر تخلف عن الرجال جنة إذا ظعنت النساء سبقهن إلى الغدير المسمى بدارة جلجل حيث علم أنهن إذا وردن سيغتسلن فيها. ولما وصلت العذارى اللواتي بينهن عشيقته إلى الغدير استخفى امرؤ القيس ونزلت النسوة إلى الماء ليغتسلن بعد أن جردن ثيابهن. انتهز امرؤ القيس هذه الفرصة وجمع ثيابهن وجلس عليها ثم حلف أنه لا يدفع إليهن ثيابهن الا بعد أن يخرجن إليه عاريات وخرجت إليه واحدة تلو أخرى حتى لم يبق أحد إلا عنيزة. وألحت عليه دفع ثيابها إليها ولكنه رفض وأخيرا خرجت عارية. فلما لبسن ثيابهن أحسسن الجوع فنحر امرؤ القيس ناقته التي كان يركبها مطية له وأكلن من لحمها فلما ارتحلن قسمن أمتعته وحملنها وألح امرؤ القيس أن يركب مع عنيزة في راحلتها ووافقت بعد الحاحهن عليها وذكر هذه القصة في أثناء القصيدة. وفي ذلك اليوم ذبح امرؤ القيس راحلته لاطعامهن لما اشتكينه بالجوع ثم يتعجب من حملهن رحل مطيته وأداته بعد أن عقر راحلته وقسمن أمتعة مطيته بينهن.

12) فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل

ارتمى = رمى وألقى البعض إلى البعض، الشحم = السمن، الهدابة والهدبة ج هداب = طرف ج أطراف، الدمقس والمدقس = الأبيض من الإ بريسم أو الحرير المفتل

فجعلن يلقي بعضهن إلى بعض الشواء من اللحم وشحمه استطابوا أو توسعا فيه. فشبه الشاعر شحمها بأطراف القز أو الحرير الذي أجيد فتله وبولغ فيه.

13) ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات إنك مرجلي

خدر = الهودج، ويل ج ويلات = شدة العذاب، المرجل (ارجله) = صيره راجلا أو ماشيا.

يتذكر الشاعر أن ذلك اليوم كان من أحسن أيامه لانه حينئذ دخل هودج العنيزة وراح يقبلها ويشمها وهي دعت عليه باللعنة وقالت إنه يصيرها راجلة لان عبثه يتلف ظهر بعيرها.

14) تقول وقد مال الغبيط بنا معا عقرت بعيري يا امرؤ القيس فانزل

الغبيط = الهودج، عقر = أجرحه أو أدبر ظهره.

لما ألح امرؤ القيس بمغازلته معها مال بهم الهودج فقالت: يا امرؤ القيس قف عن هذا أنك تدبر ظهر بعيري أو تجرحه ولذلك أنزل عنه.

15) فقلت لها سيري وأرخي زمامه ولا تبعديني من جناك المعلل

أرخى زمامه = أطلق عنانه, الجنى = الثمر, المعلل = الملهى ويراد به أيضا المنعش.

لما أمرته للنزول عن البعير قال لها الشاعر: سيري وأرخى زمام البعير أو أطلقي عنانه ليتمكن له السير بالتأني ولا تبعديني عن ثمارك الكررة أو الملهية والمنعشة . هنا يشبه الشاعر بما ناله عناقها وشمها وتقبيلها بما يجني من الأشجار من ثمارها.

16) فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذي تمائم محول

الحبلى = المرأة الحامل, طرق = أتاه ليلا, مرضع = ذات رضيع, ألهى = ألفت عنه, تميمة ج تمائم = العوذة, ذو تمائم = الولد الصغير, المحول = الذي تم له حول أو سنة واحدة.

رب امرأة حاملة أتيتها ليلا أو رب مرأة ذات رضيع أتيتها ليلا فشغلتها عن ولدها الذي علقت عليه العوذة وحملته سنة واحدة فقط أو قد حملت أمه بغيره فهي ترضعه على حملها وقد خص الشاعر بذكر الحبلى والمرضع لانهما أزهد الناس عن الرجال وأقلهن شغفا بهم ووصالهم. ويريد أنه خدع حتى الحبلى والمرضع اللوائي يشغلن بأنفسهما إذن كيف هي العذراء تتخلص منه.

17) إذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وتحتي شقها لم يحول

انصرف = تحول, الشق – النصف

ثم يصف الشاعر غاية ميلها إليه وكنفها به حيث لم يشغلها عن مرامه ما يشغل الأمهات عن كل شيء وهو اهتمامهن البالغة لرضيعتها يقول: إذا ما بكى الرضيع من خلفها في وقت وصالها معه تحولت عليه بنصفها الأعلى لترضعه ونصفها السفل لا يزال تحته لم تحوله عنه لشدة ولعها به.

18) ويوما على ظهر الكثيب تعذرت علي وآلت خلفة لم تحلل

الكثيب = أكمة الرمل, تعذر = رفض وتشدد, آلى = أقسم, الحلفة = القسم, التحلل في اليمين = الإستثناء منه.

يذكر الشاعر يوما له مع العشيقة وذلك أنها رفضته على ظهر الكثيب وتشددته وساءت عشرتها وحلفت لا تستثني منها بأنها ستقطع أواصرها معه وتهجره إلى الأبد.

19) أفاطم مهلا بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

مهلا = رفقا, التدلل = ثقة الانسان بحب غيره إياه ويؤذيه على حسب ثقته, أزمع = أراد, الصرم قطع علاقة الحب, أجمل = تلطف.

يقول الشاعر إن عشيقته واثقة بشدة حبه بها ولذلك تؤذيه ويقول يا فاطمة دعي بعض ادلالك وان كنت أردت قطع علاقة الحب فافعليها رفقا.

20) أغرك مني أن حبك قاتلي وأنك مهما تأمر القلب يفعل

غر = خدع

يقول انها أصبحت مغرورة لكون حبه لها يقتله وكون قلبه منقادا إليها بحيث مهما أمرته بشيء فعله وهذا الكلام يدل غرامه الشديد.

21) وإن تك قد ساءتك مني خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

ساء = أحرج, الخليقة = الخصلة والخلق والسلوك, سلي = استخرج وخلع, الثياب هنا بمعنى القلب كما في القرآن وثيابك فطهر, نسل = سقط.

إن أحرجتك خلق من أخلاقي أو كرهت خصلة من خصالي فردي على قلبي أفارقك. استخرجي قلبي من قلبك يفارقه. بمعنى آخر إن سائتك شيء من أخلاقي فاستخرجي ثيابي من ثيابك أو فارقيني وصارميني كما تحبين. وإني لا أوثر إلا ما أثرت ولا أختار إلا ما اخترت لانقيادي لك وميلي إليك فإذا آثرت فراقي فآثرته وان كان سبب هلاكي وجالب موتي.

22) وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل

ذرف = سال الدمع, السهم = نظرة كرمي السهام, أعشار = أجزاء, المقتل = المذلل.

دمعت عيناك وبكيت لتصيدي بسهمي لحاظك قطعات قلبي الذي ذللته بعشقك غاية التذليل أو نكايتهما في قلبي نكاية السهم في المرام وما بكيت إلا لتملك قلبي وتفوزي بجميع أجزائه وتذهبي بكله.

23) وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل

الخدر = الستر, رام – يروم = طلب – يطلب, الخباء = الخيمة أو البيت المصنوع من صوف أو قطن, تمتع – انتفع, غير معجل = على مهل من غير سرعة.

رب امرأة مصونة غير مفتضة مختلطة لون بياضها بالصفرة أو نقية في بياضها والتي تلازم خدرها وسترها انتفعت باللهو بها على تمكث وتلبث لم أعجل عنها ولم أشغل عنها بغيرها. شبهت المرأة بالبيضة لأنها صحيحة عن الطمث ومصونة مثل الطائرة يصون بيضه ومستورة من عيون الرجال ومشوبة بياضها بالصفرة مثل بيض النعام.

24) تجاوزت أحراسا إليها ومعشرا علي حراصا لو يسرون مقتلي

تجاوز = عبر, حارس ج أحراس = رقيب ج رقباء, المعشر = القوم, حريص ج حرص = طامع, أسر يسر = أضمر يضمر أو ستر يستر.

تجاوزت في ذهابي إليها وزيارتي لها أهوالا كثيرة وقوما يحرسونها وقوما حراصا على قتلي لو قدروا عليه سرا وفي خفية لأنهم لا يجرءون على قتلي جهارا. يجوز هنا معنى آخر وهو قوما حراصا

حراصاً على قتلي لو أمكنهم قتلي ظاهرا ليردع غيري عن مثل صنيعي ومن المحتمل أن يكون الأول معناه لان الشاعر كان ابن ملك من الملوك لا يقدر الناس على قتله علانية.

25) إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفضل

الثريا = فئة النجوم الستة، تعرض = أبدى عرضه، ثنى ج أثناء = ناحية ج نواحي، الوشاح = الحزام المصنوع من الذهب أو الفضة يلبسها المرأة على خاصرتها، المفصل = المرصع بالذهب.

كان ذهابه إليها في وقت إبداء الثريا عرضها في السماء وكان إبداؤها مثل ثنايا الوشاح الذي فصل جواهره بالذهب. أو أتيت إليها عندما ظهرت فئة الكواكب الستة ولمعت في الأفق الشفقي. ثم شبه لمعتها بثنايا الوشاح اللامعة المرصعة بالذهب.

26) فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر إلا لبسة المتفضل

نضى الثوب = خلعه، الفضلة أو الفضل = اسم ثوب يلبس لخفة إذا اريد العمل أو إذا اريد النوم ويرادفها حاليا بدلة النوم، المتفضل = لابس الفضلة أو لابس بدلة النوم.

أتيتها وقد خلعت ثيابها للنوم فلم تلبس الا ثوبا واحدا تنام فيه وكانت واقفة لدى الستر.

27) فقالت يمين الله ما لك حيلة وما إن أرى عنك الغواية تنجلي

يمين الله = أحلف بالله، الحيلة = العذر أو الحجة، الغواية = الغي والضلالة أو العمى بالعشق، انجلى = انكشف.

فقالت الحبيبة: أحلف بالله مالي لدفعك عني حيلة أو مالك عذر أو حجة في أن تفضحني بطروقك اياي وفي أن ينكشف أمري معك بزيارتك بالليل وما أرى ضلال العشق وعماه منكشفا عنك. وبمعنى آخر مالي سبيل إلى دفعك عني أو مالك عذر في زيارتي وما أراك نازعا عن هواك وغيك.

28) خرجت بها أمشي تجر وراءنا على أثرينا ذيل مرط مرحل

جر = جلب، أثر = علامة الاقدام على الأرض حين يمشي فوق الرمال، المرط = كساء خزن، المرحل = المنقوش بصورة رحال الابل.

أخرجتها من خدرها ومشيت بها وكانت حين تمشي تجر وراءها ذيل ملاءتها لتعفي بها آثار أقدامها وكانت الملاءة موشاة بنقوش الرحال.

29) فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن خبت ذي حقاف عقنقل

انتحى بـ = اعتمد على، البطن = المكان المطمئن وحوله أماكن مرتفع، الخبت = الأرض المطمئنة، حقف ج حقاف = أكمة الرمل أو الرمل المرتفع، العقنقل = الرمل المنعقدة المتلبد.

فلما جاوزنا ساحة الحي وخرجنا من بين البيوت وسرنا إلى أرض مطمئنة بين أكام الرمال المرتفعة المعوجة المنعقدة المتلبدة وطاب حالنا وراق عيشنا.

(30 هصرت بفودي رأسها فتمايلت علي هضيم الكشح ريا المخلخل

هصر = جلب، الفود = الذؤابة أو خصلة الشعر، الهضيم = النحيف الضامر. كشح ج كشوح = خصر، الريان = ممتلئ اللحم، المخلخل = الساق.

بعد أن خرجنا من ساحة الحي وأمنا الرقباء جذبت ذؤابتي رأسها إلي فتمايلت علي مطاوعة لما أرجو منها وكانت جميلة و ضامرة الخصر وساقاها كانتا ممتلئة وسمينة.

(31 مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقوله كالسجنجل

المهفهفة = اللطيفة الخصر وضامرة البطن، المفاضة = العظيمة البطن المترخية اللحم، تريبة ج ترائب = موضع القلادة من الصدر، المصقولة = المزالة من الدنس والمصفاة، السجنجل = المرآة.

يصور الشاعر جمالها ويقول هي دقيقة الخصر ضامرة البطن غير عظيمة البطن و مسترخيته وصدرها متلألئ براق اللون ولامع مثل المرآة.

(32 كبكر المقاناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير المحلل

البكر = أول البيض للنعام أو درة الصدفة أو بكر البردى، المقاناة = الخلط، المحلل = الذي حل عليه الناس.

ثم يصف الشاعر لونها ويقول إنها بيضاء تشوب بياضها صفرة والبيض الذي شابته الصفرة أحسن الوان النساء عند العرب ويشبهها ببكر (بأول بيض النعام) التي تخالط بياضها بالصفرة ويقول في صفتها أيضا غذاها ماء عذب الذي لم يكثر حلول الناس عليه ولذلك لم يكدر بل ما عذب صاف يعني أنها كريمة المنبت. تفسيرا لهذا البيت من جهة أخرى يقال إنها كبكر الصدفة التي خولطها بياضها بصفرة وأريد ببكرها الدرة التي لم تر مثلها والتي غذاها ماء نمير عذب صاف في قاع البحر لم يتحلل الناس عليه لان قاع البحر لاتصل إليه أيديهم. ومن وجه ثالث يفسر هذا البيت إنها كبكر البردى التي شاب بياضها بصفرة وقد غذاها ماء نمير صاف لم يكدر بحلول الناس عليه.

(33 تصد وتبدي عن أسيل وتتقي بناظرة من وحش وجرة مطفل

صد = أعرض عن، أبدى = أعرض، الأسيل = الخد الأسيل حذف الموصوف لدلالة الصفة عليه، الأسيل = الناعم، الناظر = العين، اتقى = استقبل، وحشي ج وحش = الظبي، الوجرة = اسم موضع، المفطل = ذات الأطفال.

يصور الشاعر جمال خدها وعيونها ويقول حينما تعرض عني تظهر خدها الطويل الناعم الجميل وتستقبلنا بعين جميل ولحاظ رائع مثل ناظرى ظباء وجرة ذات الاطفال وقد خصهن بذكرها لأنهن أحسن العيون وأجملها في حالة نظرهن إلى أولادهن بالعطف والشفقة.

(34 وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش إذا هي نصته ولا بمعطل

CUP 6566/08/1000/SDE-13

عطا يعطو عطوا = تناول, الرخص = اللين الناعم, الشثن = الغليظ أو الكز, أسروع ج أساريع = ضرب من الديدان يكون في البقل والأماكن الندية تشبه أنامل النساء به.

ثم يصف أصابعها في دقتها واستوائها ويقول أنها تتناول الأشياء بأنامل لين ناعم غير غليظ ولا كز كأنها ديدان بمكان الظبي أو مسواك مصنوع من شجرة الأسحل.

40) تضيء الظلام بالعشاء كأنها منارة ممسى راهب متبتل

المنارة = المصباح, الممسي بمعنى الامساء والليل, المتبتل = المنقطع إلى الله بنيته وعمله والمتزهد الناسك.

تضيء العشيقة بنور وجهها ظلام الليل كأنها مصباح الراهب لأنه شديد الإضاءة ويهتدي به.

41) إلى مثلها يرنو الحليم صبابة إذا ما اسبكرت بين درع ومجول

رنا يرنو = نظر ينظر, اسبكرت = أصبحت بكرا, الدرع = قميص المرأة البالغة, المجول = ثوب تلبسه الجارية أو المرأة الصغيرة.

قد بلغت في عمر فيه أوج الجمال إذ أنها طويلة القد مديدة القامة وفي عمر بين من تتلبس الدرع وبين من تتلبس المجول (ثوب تلبسه الجارية الصغيرة) إلى مثلها ينبغي أن ينظر العاقل كلفا بها وحنينا إليها إذا أنها في مرحلة بين اللوائي أدركن الحلم وبين اللوائي لم يدركن الحلم بعد وقد ارتفعت عن سن الجواري الصغار.

42) تسلت عمايات الرجال عن الصبا وليس فؤادي عن هواك بمنسل

تسلي = زال حبه من قلبه أو زال حزنه, العمايات = الظلمات, الصبا = الهوى في الشباب.

يقول الشاعر أن عشقه لها يبقي غلى الأبد ولا يزول بزوال الدهر ولا يبطل أبدا. ويفسر هذا البيت من ناحيتين. الأولى أكثر الأئمة زعموا أن في البيت قلبا تقديره تسلت الرجال عن عمايات لاصبا أي خرجو من ظلماته وليس فؤادي خارج من هواها. وزعم بعضهم أن في البيت معناه بعد وتقديره انكشفت وبطلت ضلالات الرجال بعد مضي شبابهم ولكن فؤادي لا يزال في ضلالة هواها.

43) ألا رب خصم فيك ألوى رددته نصيح على تعذاله غير مؤتل

الألوى = شديد الخصومة, النصيح = الناصح, التعذال = والعذل = اللوم, المؤتل = المقصر.

قد بلغ في حبه اياها الغاية القصوى إذ لم يهتم بنصيحة ناصح ولومة لائم ولم يردعه عن حبها عذلهم ونصيحتهم. رددت لأجل حبك كثيرا من الخصوم بذي شديد الخصومة الذين كانوا ينصحونني علي فرط لومهم إياي على هواك غير مقصر في النصيحة واللوم ولم أترك هواك بعذله ونصيحته.

44) وليل كموج البحر مرخ سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي

أرخى = أرسل، السدول = الستور = ابتلى = اختبر، هم ج هموم = الحزن.

هنا في هذا البيت ينتقل الشاعر من النسيب إلى مدح نفسه بالصبر والجلد يقول كم من ليال كأمواج البحر في هواها وصعوبتها ونكارة أمرها أرسلت عليه ستور ظلامها مع أنواع من الهموم والأحزان ليختبر صبره على ضروب الشدائد وفنون والنوائب.

45) فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل

تمطى = تمدد، الصلب = الظهر، أردف = ازداد، عجز ج أعجاز = المؤخرة، ناء بـ =بعد، الكلكل = الصدر.

يصف في هذا البيت طول الليل التي تدل مقاساة الأحزان والشدائد والسهر المتولد منها لأن المغموم يستطيل ليله والمسرور يستقصر ليله. يقول فقلت لليل لما مد ظهره يعني لما أفرط طوله وازدادت مؤخرته امتدادا وتطاولا وبعد العهد بأوله. يشبه الشاعر الليل الطويل بحيوان يمتد ظهره ومؤخرته وصدره.

46) ألا أيها الليل الطويل ألا إنجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل

انجلي = انكشف المثل = الأفضل

يقول توالي عليه الأحزان ليلا ونهارا لذلك يقول يا أيها الليل الطويل انكشف وتنح بصبح أو ليزل ظلامك بضياء من ثم قال ليس الصبح أفضل منك عندي لأنني أقاسي الأحزان وأعاني الهموم في النهار أيضا ويقول أن أحزانه لا تنتهي حينما ينكشف الليل وينفجر النهار ولذلك يضيف أن الاصباح أيضا مثل الليالي عنده ولا يزول حزنه.

47) فيا لك من ليل كأن نجومه بأمراس كتان إلى صم جندل

مرس ج أمراس = الحبل، الجندل = الصخرة.

يشير إلى استطالة الليل بعهده من المعاناة والمقاساة ويخاطب الليل يا عجبا من ليل كأن نجومه شدت بحبال من الكتان إلى صخور صلب وأن نجومه لا تزول من أماكنها ولا تغرب كأنها مشدودة بحبال إلى صخور صلبة وفي رواية أخرى كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بذبل بمعنى: كأن نجومه شدت إلى جبال يذبل بكل حبل محكم الفتل.

48) وقربة أقوام جعلت عصامها على كاهل مني ذلول مرحل

القربة = إناء الماء، عصام ج عصم = وكاء القربة، الكاهل = الكتف، الذلول = المتواضع، المرحل = المعتاد على السفر.

يمدح الشاعر نفسه على خدمته لرفقاء السفر وحمله لأجلهم سقاء الماء على كاهله الذي مرن عليه. يقول: رب قربة أقوام جعلت أثقال القوم من الحقوق والنوائب وقد تعود أيضا على قرى الأضياف وإعطاء العفات ودفع مال الفدية والدية عن القاتلين.

(49 وواد كجوف العير قفر قطعته به الذئب يعوي كالخليج المعيل

الجوف = البطن، العير = حمار الوحش، القفر = خال من النبات والأنيس، قطع = اجتاز، عوى = صاح، الخليع = المقامر، المعيل = ذو العيال.

يقول أنه طوى سيرا كثيرا من الوديان القفر المتوحش التي خلت من النبات والأنس ويشبهها ببطن الحمار حيث كان الذئب يعوى فيه من فرط الجوع كالمقامر الخليع الذي كثر عياله. والخليع الرجل الفقير المقامر الذي كثر أولاده ومعولوه ولا يستطيع تحمل نفقتهم ولذلك لا يرضون به ويصيح بهم على اصرارهم في طلبهم إليه ما يحتاجون في سبيل الإنفاق ولذلك يخاصمهم ويصيح بهم.

(50 فقلت له لما عوى إن شأننا قليل الغنى إن كنت لما تمول

الشأن = الأمر، تمول = صار ذا مال كثير.

لما صاح الذئب قال الشاعر يخاطبه يا ذئب إن كنت تعول بسبب كونك غير ذي مال وقليل الغنى فنحن كلانا سواء في هذا الأمر. أنا مثلك عديم الحظ وقليل المال وأنا أيضا مثلك ليس بيدى شيء يرضيك.

(51 كلانا إذا ما نال شيئا أفاته ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل

أفاته = ضيعه، احترث = سعى للكسب، الإحتراث والحرث = إصلاح الأرض وإلقاء البذر فيه.

وكل واحد منا إذا ظفر بشيء فوته على نفسه أي إذا نال شيئا أنفقه وأتلفه ولا يدخره فمن يسعى سعي مثلنا سيكون مصيره الفقر والعيش المهزول.

UNIT – XVII

POETRY

(QASEEDATU HASSAN BIN THABIT)

الباب السادس عشر

شعر حسان بن ثابت

1) ما بال عينك لا تنام كأنما كحلت مآقيها بكحل الأرمد

المآقي = مجاري الدموع من العين, والأرمد = الذي يشتكي وجع عينيه.

2) جزعا على المهتدي أصبح ثاويا يا خير من وطئ الحصى لا تيعد

3) وجهي يقيك الترب لهفي ليتني غيبت قبلك في بقيع الغرقد

بقيع الغرقد = هو بقيع المدينة الذي يدفنون فيه موتاهم

4) بأبي وأمي من شهدت وفاته في ثوم الإثنين النبي المهتدي

بأبي وأمي = أي أفديه بأبيه وأمي. توفي سيدنا رسول الله (ص) يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة في مثل الوقت الذي دخل فيه المدينة.

5) فظللت بعدك وفاته متبلدا متلددا يا ليتني لم أولد

المتبلد = من أدركته حيرة, مثله المتلدد.

6) أأقيم بعدك بالمدينة بينهم يا ليتني صبحت سم الأسود

وله: صبحت أي سقيت صبحا, الأسود = العظيم من الحيات وفيه سواد, ويقال له أسود سالخ لأنه يسلخ جلده في كل عام, السود هو أخبث الحيات وأعظمها وأنكاها, وليس شيء من الحيات أجرأ منه وربما عارض الرفقة وتبع الصوت ولا ينجو سليمه.

7) أو حل أمر الله فينا عاجلا في روحة من يومنا أو في غد

8) فتقوم ساعتنا فنلقى طيبا محضا ضرائبه كريم المحتد

فتقوم ساعتنا أي فتقوم القيامة, وقوله فنلقى طيبا يعني سيدنا رسول الله (ص) والضرائب جمع ضريبة وهي الطبيعة والسجية, يقال فلان كريم الضيبة ولئيم الضريبة, المحتد = الأصل.

9) يا بكر امنة المبارك بكرها ولدته محصنة بسعد الأسعد

المحصـــنة = العفيفة، وأصل الإحصان المنع، وقوله: بسعد الأسعد يريد سعد السعود النجم أي باليمن والبركة.

10) نورا أضاء على البرية كلها من يهد للنور المبارك يهتدي

11) يا رب فأجمعنا معا ونبينا في جنة تثني عيون الحسد

تثني = تصرف وتدفع من ثنى – يثني.

12) في جنة الفردوس فأكتبها بنا يا ذا الجلال وذا العلا والسؤدد

13) والله أسمع ما بقيت بهالك إلا بكيت على النبي محمد

قوله أسمع : يريد لا اسمع، يقول يمين الله لا اسمع نعي ميت مدة حياتي إلا بكيت على النبي محمد (ص).

14) يا ويح أنصار النبي ورهطه بعد المغيب في سواء الملحد

المغيب هو سيدنا محمد (ص) وسواء الملحد = وسطه، وويح كلمة ترحم وتوجع لمن تنـــزل به بلية، وربما جعلت مع ما كلمة واحدة، وقيل: ويحما تنصب على المصدر، وقد ترفع وضاف وهي هنا مضافة،

15) ضاقت بالأنصار البلاد فاصبحت سودا وجوههم كلون الإثمد

الإثمـــد = حجر يتخذ منه الكحل، وقيل الكحل نفسه، ويقال للرجل يسهر ليله ساريا أو عاملا فلان يجعل الليل إثمدا أي يسهر، فجعل سواد الليل لعينه كالإثمد.

16) ولقد ولدناه وفينا قبره وفضول نعمته بنا لم يجحد

قوله ولقد ولدنا.. لأن بني النجار أخوال سيدنا رسول الله (ص).

17) والله أكرمنا به وهدى به أنصاره في كل ساعة مشهد

18) صل الإله ومن يحف بعشره والطيبون على المبارك أحمد

UNIT – XVIII

POETRY

(GAZL' UMAR BIN ABI RABEEA'T)

الباب السابع عشر
غزل عمر بن أبي ربيعة

1) قف بالديار عفا من أهلها الأثر عفى معالمها الأرواح والمطر

عفا = انمحى, الأرواح = جمع الريح

2) بالعرصتين فمجرى السيل بينهما إلى القرين إلى ما دونه البسر

العرصتان = اسم موضع, وكذلك القرين والبسر

3) تبدوا لعينيك منها كلما نظرت معاهد الحي دوداة ومحتضر

الدوداة = أثر الرجوحة التي يلعب عليها الصبيان, المحتضر = مكان الحضورز

4) وركد حول كاب قد عكفن به وزينة مائل منه ومنعفر

الركد = جمع الراكد وهو الثابت وأراد أثافي القدر, الكابي = الرماد الكثير المتخلف عن الحريق, عكفن به = أقمن معه, زينة = كناية عن أثار الدار, مائل = ظاهر أو منتصب, منعفر = مغطى بالتراب.

5) منازل الحي أقوت بعد ساكنها أمست ترود بها الغزلان والبقر

أقوت = خلت, ترود = تسرح ويريد أنها أصبحب مسكنا للوحوش.

6) تبدلوا بعدها جارا وغيرها صرف الزمان وفي تكراره غير

7) وقفت فيها طويلا كي أسائلها والدار ليس لها علم ولا خبر

8) دار التي قادني حين لرؤيتها وقد يقود إلى الحين الفتى القدر

الحين = الموت والهلاك

9) خود تضيء ظلام البين صورتها كما يضيء ظلام الحندس القمر

الخود = الفتاة الحسناء الشابة, الحندس = الشديد الظلمة.

10) مجدولة الخلق لم توضع مناكبها ملء العناق ألوف جيبها عطر

مجدولة = تامة, لم توضع مناكبها = لم تنحط أكتافها, الجيب = طوق الثوب.

11) ممكورة الساق مقصوم خلاخلها فمشبع نشب منها ومنكسر

ممكورة = مستديرة, الخلاخل =جمع الخلخال وهو ما يوضع في الساق من الحلي, ومقصوم = مشقوق, يريد أن ساقها سمينة, نشب =ضاغط.

12) هيفاء لفاء مصقولة عوارضها تكاد من ثقل الأرداف تنبتر

هيفاء = ضامرة البطن, فاء = متدانية الفخذين لسمنها, عوارضها = جانب وجهها.

13) تنكل عن واضح الأنياب متسق عذب المقبل مصقول له أشر

تنكل = تضحك, المقبل = الفم, الأشر = شدة البياض السنان وتحزيزها.

14) كالمسك شيب بذوب النحل يخلطه ثلج بصهباء مما عتقت جدر

شيب = مزج, ذو النحل = العسل, الصهباء = الخمرة, جدر = قرية بين حمص وسلمية تنسب إليها الخمرة الجيدة.

15) تلك التي سلبتني العقل وامتنعت والغانيات وإن واصلننا غدر

16) قد كنت في معزل عنها فقيضني للحين حين دعاني للشفا النظر

قيضني = أعدني للهلاك, الحين = الموت والهلاك, الشفا = الأشراف على الهلكة.

17) إني ومن أعمل الحجاج خيفته خوص المطايا وما حجوا وما اعتمروا

المطايا الخوص = الغائرة العيون

18) لا أصرف الدهر ودي عنك أمنحه أخرى أواصلها ما أورق الشجر

19) أنت المنى وحديث النفس خالية وفي الجميع وأنت السمع والبصر

خالية = وحيدة, الجميع = جميع الناس, يريد أنه دائم الذكر لها.

20) يا ليت من لامنا في الحب مر به مما نلاقي وإن ل نحصه العشر

21) حتى يذوق كما ذقنا فيمنعه مما يلذ حديث النفس والسهر

22) دست إلي رسولا تكن فرقا واحذر, وقيت, وأمر الحازم الحذر

الفرق = الخائف

23) إني سمعت رجالا من ذوي رحمي هم الدو بظهر الغيب قد نذروا

24) أن يقتلوا وقاك القتل قادره والله جارك مما أجمع النفر

25) السر يكتمه الإثنان بينهما وكل سر عدا الإثنين منتشر

عجز البيت حكمة ومثل شائع

26) والمرء إن هو لم يرقب بصبوته لمح العيون بسوء الظن يشتهر

UNIT – XIX

POETRY

(QASEEDAT JAREER)

الباب الثامن عشر

قصيدة جرير بن عطية

١. سقيا لنهي حمامة وحفير بسجال مرتجز الرباب مطير[1]
٢. سقيا لتلك منازلا هيجنني وكأن باقيهن وحي زبور[2]
٣. كم قد رأيت وليس شيء باقيا من زائر طرف الهوى ومزور
٤. لا تفخرن وفي أديم مجاشع حلم فليس سيوره بسيور[3]
٥. أبني شعرة لم نجد لمجاشع حلما يوازن ريشة العصفور
٦. إنا لنعلم: ما غدا لمجاشع وفد وما ملكوا وثاق أسير
٧. ماذا رجوت من العلالة بعدما نقضت حبالك واستمر مريري
٨. إن الفرزدق حين يدخل مسجدا رجس فليس طهوره بطهور
٩. إن الفرزدق لا يبالي محرما ودم الهدي بأذرع ونحوري
١٠. أمسى الفرزدقفي حلاحل كرج بعد الأخيط زوجة جرير
١١. رهط الفرزدق من نصارى تغلب أو يدعى كذبا دعاوة زور
١٢. حجوا الصليب وقربوا قربانكم وخذوا نصيبكم من الخنزير
١٣. إني سأخبركم عن بلاء مجاشع من كان بالنخبات غير خبير[4]
١٤. أخزى بني نقبان عقر فتاتهم واغتر جارهم بحبل غرور
١٥. لو كان يعلم ما استجار مجاشع أشباه مملحة هوارم خور
١٦. قال الزبير وأسلمت مجاشع: لا خير في دنس الثياب غدور
١٧. يا شب قد ذكرت قريش غدركم بين المحصب من منى وثبير[5]
١٨. وغدا الفرزدق حين فارق منقرا في غير عافية وغير سرور[6]
١٩. خري الفرزدق بعد وقعة سبعة كالحصن من ولد الأشدة ذكور
٢٠. ترضي الغراب وقد عقرتم نابه بنت الحثاة بمحبس وسرير
٢١. قالت فدتك مجاشع فاستنشقت من منخريه عصاة القفور[7]

---

1 – السجال : الدلاء. المرتجز: الذي يشبه صوته بالرعب. الرباب : السحاب الخفيف.
2 – الزبور : الكتاب المنزل.
3 – الحلم : داء يبلي الجلد ويتلفه.
4 – النخبات : الجبناء
5 – شب : ابن عقال. المحصب ومنى وثبير : أسماء مواقع
6 – المنقر : البئر الضيق الرأس

21. قالت فدتك مجاشع فاستنشقت من منخريه عصاة القفور[7]
22. أمت هنيدة خزية لمجاشع إذ أولمت لهم بشر جزور[8]
23. ركبت ربابكم بعيرا دارسا في السوق أفضح راكب وبعير
24. ودعت غمامة بالوقيط مجاشعا فوجدت يا وقبان غير غيور[9]
25. كذب الفرزدق لن يجاري عامرا يوم الرهان بمقرف مبهور
26. فانه الفرزدق أن يعيب فوارسا حملوا أباه على أزب نفور[10]
27. ولقد جهلت بشم قيس بعدما ذهبوا بريش جناحك المكسور
28. قيس وجد أبيك في أكياره قواد كل كتيبة جمهور
29. لن تدركوا غطفان لو أجريتم يا ابن القيون ولا بني منصور
30. فخروا عليك بكل سام معلم فافخر بصاحب كلبتين وكير[11]
31. كم أنجبوا بخليفة وخليفة وأمير صائفتين وابن أمير[12]
32. ولد الحواصن في قريش منهم يا رب مكرومة ولدن وخير
33. فضلوا بيوم مكارم معلومة يوم أغر محجل مشهورة
34. قيس تبيت على الثغور جيادهم وتبيت عند صواحب الماخور
35. هل تذكرون بلاءكم يوم الصفا أو تذكرون فوارس المأمور[13]
36. أودختنوس غداة جز قرونها ودعت بدعوة ذلة وثبور[14]
37. إن الضباع تباشرت بخصاكم يوم الصفا وأماعز التسرير
38. خان القيون وقدموا يوم الصفا وردا فغور أسوأ التغوير
39. وسما لقيط يوم ذلك لعامر فاستنزلوه بلهذم مطور[15]
40. ويرحرحان غداة كيل معبد نكحوا بناتكم بغير مهور
41. فيما يسوء كجاشعا زبد أستها حتى الممات تروحي وبكور

---

[7] - القفور : الكافور
[8] - الجزور : الشاة الصغير
[9] - الوقيط : ماء بني مجاشع
[10] - الأزب : الجمل النافر التي تصعب قيادته.
[11] - الكلبتين والوكير : من أدوات الحداد.
[12] - الصائفة : غزوة الصيف.
[13] - يوم الصفا : موقعة شعب جبلة. يوم المأمور: موقعة انتصر فيها بنوا الحارث بن كعب على بني دارم.
[14] - دختنوس : هي ابنة لقيط وقد قصت جدائلها حزنا على والدها.
[15] - اللهذم : السنان الحاد. المطور : المجلو والمسنون.

UNIT – XX

POETRY

(QASEEDAT FARZDAQ)

الباب التاسع عشر
قصيدة الفرزدق
(حجاج بن يوسف)

١. لبيك على الحجاج من كان باكيا — على الدين أوشار على الثغر واقفا[1]

٢. وأيتام سوداء الذراعين لم يدع — لها الدهر مالا بالسنين الجوالف[2]

٣. وما ذرفت عينان بعد محمد — على مثله، إلا نفوس الخلائف[3]

٤. وما ضمنت أرض فتحمل مثله — ولا خط ينعي في بطون الصحائف

٥. لحزم زلا تنكيل عفريت فتنة — إذا اكتحلت أنياب جرباء شارف[4]

٦. فلم أر يوما كان أنكى رزية — وأكثر لطا للعيون الذوارف[5]

٧. من اليوم للحجاج لما غدو به — وقد كان يحمي مضلعات المكالف[6]

٨. ومهملة لما أتاها نعيه — أراحت عليها مهملات التنايف[7]

٩. فقالت لعبديها: أريحا فعقلا — فقد مات راعي ذودنا بالطرائف[8]

١٠. ومات الذي يرعى على الناس دينهم — ويضرب بالهندي رأس المخالف[9]

١١. فليت الأكف الدافنات ابن يوسف — تقطعن إذ يحثين فوق السقايف[10]

١٢. وكيف وأنتم تنظرون رميتم — به بين جولي هوة في اللفايف[11]

---

[1] – الشاري : من شرى نفسه عن قومه، من تقدك بين أيديهم فقاتل عنهم، الثغر: المكان الذي يخاف منه هجوم العدو.

[2] – سوداء الذراعين : التي اسودت ذراعاها من الشدة والنك. الجوالف – الواحدة الجالفة : مجدبة

[3] – الخلائف – الواحدة خليفة : يقول إنه أحق الناس بكاء بعد الرسول الكريم.

[4] – الجرباء : العام الذي تجرب فيه الإبل. الشارف : الناقة المسنة الهرمة وقد شبه الحرب بهما.

[5] – الرزية : المصيبة. اللط : الستر والكتمان.

[6] – غدو به: سارو به في الغداة. المضلعات : المعجزات. المكالف : الأمور الشاقة.

[7] – أراد بالمهملة، التي كانت تهمل مالها في المراعي غير خائفة عليه فلما مات الحجاج لم يتقفق من يحميه فأعادته إلى أعطائه. التنايف : من ناف ولعل المراد الطول أو التفضيل.

[8] – الطرايف : التي تبعد في المراعي إلى أطرافه آمنة.

[9] – الهندي : يقصد المهند أو السيف.

[10] – يحثين : أي يحثين التراب. السقايف : اللبن الذي على القبر

١٣. ألم تعلموا أن الذي تدفنونه ... به كل يرعى قاصيات الزعانف[12]

١٤. وكانت ظبات المشرفية قد شفى ... بها الدين والأضغان ذات الخوالف[13]

١٥. ولم يك دون الحكم مال ولم تكن ... قواه من المستخيات الضعايف

١٦. ولكنها شزرا أمرت فأحكمت ... إلى عقد تلوى وراء السوالف[14]

١٧. يقولون لما أن أتاهم نعيه ... وهم من وراء النهر جيش الروادف[15]

١٨. شقينا وماتت قوة الجيش والذي ... به تربط الأحشاء عند المخاوف

١٩. فإن يكن الحجاج مات فلم تمت ... قروم أبي العاص الكرام الغطارف[16]

٢٠. ولم يعمدوا من آل مروان حية ... تمام يدور وجهه غير كاسف

٢١. له أشرقت أرض العراق لنوره ... وأومن إلا ذنبه كل خائف[17]

---

11 ـ جولي : ناحيتي. وأراد بالهوة : البئر أو الحفرة التي تحفر للميت

12 ـ قاصيات : مبعدات في المراعي. الزعانف : الواحدة زعنفة ، كل جماعة ليس لهم أصل واحد.

13 ـ المشرفية : المنسوبة إلى قرى من أرض العرب تدنو من الريف إسمها "مشارف الشام" منها "السيوف المشرفية" وقيل إن النسبة لموضع في اليمن لا إلى مشارف الشام. الخوالف : أراد ذات الرداءة والفساد

14 ـ شزرا أمرت : أي قتلت على غير استواء، وهو أشد القتل، العقد: أراد بها العهود. تلوي وراء السوالف: أي مثبتة في الأعناق.

15 ـ الروادف : الذين هم وراء الجيش ويسمون أيضا بالرديف.

16 ـ قروم: مفردها قرم شأنه وكرمه، أي عظماء آل أبي العاص.

17 ـ أي أومن من كل خائفا إلا من كان مذنبا

الجيد = العنق, رئم ج آرام = الظبي الأبيض, الفاحش = غير رائع, نص = رفع, المعطل = خال من الحلى.

ثم يشبه الشاعر جمال عنقها في حال رفعها بعنق الظبي الأبيض الخالص البياض. وبمعنى آخر أن عنقها المرفوع جميل جدا مثل جيد الظبي الأبيض ولا تتجاوز قدره المحدود. وليس هذا التشبيه في تعطلها عن الحلى ولكنه في جمال جيدها المجرد.

35) وفرع يزين المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعثكل

فرع ج فروع = الشعر التام, الفاحم = شديد السواد, الأثيث = الكثيف, قنو ج قنوان = العنقود, النخلة المتعثكلة = التي خرجت عناقيدها أي قنوانها.

شعرها التي تزدان ظهرها طويل تام كثيف شديد السواد وهي في كثرتها وتجعدها تشبه بعناقيد النخلة التي خرجت عثاكيلها أي قنوانها.

36) غدائرها مستشزرات إلى العلا تضل العقاص في مثنى ومرسل

غديرة ج غدائر = خصلة الشعر, المستشزرات = المرفوعة, العقاص = التجعيد, المثنى = المضفور, المرسل = غير مربوط.

يقول مشيرا إلى وفرة شعرها أن ذوائبها مرفوعة إلى الوق أي شدت بخيوط وتغيب تجاعيدها في شعر بعضها مضفورة وبعضها مرسلة.

37) وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كأنبوب السقي المذلل

الكشيح = الخصر أو البطن, المخصر = الدقيق أو الضامر, الأنبوب = القصب, السقي = المسقي, المذلل = المنحني.

ثم يصف دقة خصرها وصفاء لون ورونق ساقها حيث يشبه دقة خصرها وضمور بطنها بخطام مصنوع من الأدم. أما نعومة صفاء لون ساقها يشبه بأنبوب البردى المقي المنحني بالأرواء ومن المفسرين من يجعل التشبيه الثاني بأنبوب البردى التي تظله أغصان النخيل المسقي التي ذللت بكثرة الحمل.

38) وتضحي فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنطق عن تفضل

أضحى = صادف الضحى, الفتيت والفتات = الدقاق والدقيق, نؤوم الضحى = كثير النوم في وقت الضحى, تنطق = تشد النطاق في وسطها, عن تفضل = بعد تفضل, التفضل = لبس الفضلة والفضلة ثوب واحد يلبسها المرأة للخفة في العمل.

وفي هذا البيت يدل الشاعر إلى سعة العيش التي يتمتع بها عشيقته وترفها وخفض عيشها ونعمتها ولها من يخدمها ويكفيها أمورها حيث يقول تصادف عشيقتي الضحى وأنها كثيرة النوم حتى الضحى ودقاق المسك فوق فراشها وهي كثيرة النوم في الضحى وغنية تخدم ولاتخدم أحدا ولا تشد في وسطها بنطاق استعداد للعمل بعد لبس الفضلة (الثوب الذي يلبس للخفة في العمل) يريد أنها مخدومة منعمة تخدم ولا تخدم وأنها تكفي أمورها فلا تباشر عملا.

39) وتعطوا برخص غير شثن كأنه أساريع ظبي أو مساويك إسحل